Alexo I. Cotheal

كتاب المقامات

للشيخ الامام ابي محمد القسم

ابن علي بن محمد بن عثمان

الحريري

اللهم إنا نحمدك على ما علمت من البيان وألهمت من التبيان
كما نحمدك على ما أسبغت من العطاء وأسبلت من الغطاء ونعوذ بك من
شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة اللكن وفضوح الحصر
ونستكفي بك الافتتان بإطراء المادح وإغضاء المسامح كما نستكفي
بك الانتصاب لإزراء القادح وهتك الفاضح ونستغفرك من سوق
الشهوات إلى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل الخطوات إلى
خطط الخطيئات ونستوهب منك توفيقا قائدا إلى الرشد وقلبا
متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق ونطقا مؤيدا بالحجة وإصابة
ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة ندرك بها
عرفان القدر وأن تسعدنا بالهداية إلى الدراية وتعضدنا
بالإعانة على الإبانة وتعصمنا من الغواية في الرواية وتصرفنا عن
السفاهة في الفكاهة حتى نأمن حصائد الألسنة ونكفى غوائل
الزخرفة فلا نرد مورد مأثمة ولا نقف موقف مندمة ولا نرهق
بتبعة ولا معتبة ولا نلجأ إلى معذرة عن بادرة اللهم فحقق لنا هذه
المنية وأنلنا هذه البغية ولا تقصنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا
مضغة للماضغ فقد مددنا إليك يد المسألة وبخعنا بالاستكانة
لك والمسكنة واستنزلنا كرمك الجم ومنك الذي عم بضراعة

الطلب

كتاب المقامات للشيخ العالم ابى محمد القسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى

الشيخ الامام ابو محمد القسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى

The first 34 … vowels

فى كتابك المبين ، فقلت وانت اصدق القايلين ، انه لقول رسول كريم
ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثم امين ، وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين اللهم فصل عليه وعلى آله الهادين ، واصحابه الذين شادوا الدين
واجعلنا لهديه وهديهم متبعين ، وانفعنا بمحبته ومحبتهم اجمعين ، انك
على كل شىء قدير وبالاجابة جدير وبعد فانه جرى ببعض اندية الادب
الذى ركدت فى هذا العصر ريحه ، وخبت مصابيحه ، ذكر المقامات التى
ابتدعها بديع الزمان ، وعلامة همذان ، رحمه الله ، وعزا الى ابى الفتح
الاسكندرى نشاتها ، والى عيسى بن هشام روايتها ، وكلاهما مجهول لا
لا يعرف ، ونكرة لا تتعرف ، فاشار من اشارته حكم ، وطاعته غنم
الى ان انشى مقامات ، اتلو فيها تلو البديع ، وان لم يدرك الظالع شاو
الضليع ، فذاكرته بما قيل فيمن الف بين كلمتين ، ونظم بيتا او بيتين
واستقللت من هذا المقام الذى فيه يحار الفهم ، ويفرط الوهم ، ويسبر
غور العقل ، وتتبين قيمة المرء ، ويضطر صاحبه الى ان يكون كحاطب
ليل ، او جالب رجل وخيل ، وقلما سلم مكثار ، او اقيل له عثار ، فلما
لم يسعف بالاقالة ، ولا اعفى من المقالة ، لبيت دعوته تلبية المطيع
وبذلت فى مطاوعته جهد المستطيع ، وانشات على ما اعانيه ، من قريحة
جامدة ، وفطنة خامدة ، وروية ناضبة ، وهموم ناصبة ، خمسين
مقامة تحتوى على جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله ، وغرر

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نحمدك على ما علمت من البيان وألهمت من التبيان
كما نحمدك على ما أسبغت من العطاء وأسبلت من الغطاء ونعوذ بك من
شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة اللكن وفضوح الحصر
ونستكفي بك الافتتان بإطراء المادح وإغضاء المسامح كما نستكفي
بك الانتصاب لإزراء القادح وهتك الفاضح ونستغفرك من سوق
الشهوات إلى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل الخطوات إلى
الى خطط الخطيات ونستوهب منك توفيقا قائدا إلى الرشد وقلبا
متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق ونطقا مؤيدا بالحجة وإصابة
ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة ندرك بها
عرفان القدر وأن تسعدنا بالهداية إلى الدراية وتعضدنا
بالإعانة على الإبانة وتعصمنا من الغواية في الرواية وتصرفنا عن
السفاهة في الفكاهة حتى نأمن حصائد الألسنة ونكفى غوائل
الزخرفة فلا نرد مورد مأثمة ولا نقف موقف مندمة ولا نرهق
بتبعة ٢ ولا نلجأ إلى معذرة عن بادرة اللهم فحقق لنا هذه ولا نغشى بمعتبة
المنية وأنلنا هذه البغية ولا تضحنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا
مضغة للماضغ فقد مددنا إليك يد المسألة وبخعنا بالاستكانة
لك والمسكنة واستنزلنا كرمك الجم ومنك الذي عم بضراعة

الطلب

الطلب وبضاعة الأمل ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر
الذي ختمت به النبيين وأعليت درجته في عليين ووصفته في
في كتابك المبين فقلت وأنت أصدق القائلين إنه لقول رسول كريم
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين اللهم فصل عليه وعلى آله الهادين وأصحابه الذين شادوا الدين
واجعلنا لهديه وهديهم متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم أجمعين إنك
على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وبعد فإنه جرى ببعض أندية الأدب
الذي ركدت في هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه ذكر المقامات التي
ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان رحمه الله وعزا إلى أبي الفتح
الإسكندري نشأتها وإلى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول لا
لا يعرف ونكرة لا تتعرف فأشار من إشارته حكم وطاعته غنم
إلى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع وإن لم يدرك الظالع شأو
الضليع فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتا أو بيتين
واستقلت من هذا المقام الذي فيه يحار الفهم ويفرط الوهم ويسبر
غور العقل وتتبين قيمة المرء ويضطر صاحبه إلى أن يكون كحاطب
ليل أو جالب رجل وخيل وقلما سلم مكثار أو أقيل له عثار فلما
لم يسعف بالإقالة ولا أعفي من المقالة لبيت دعوته تلبية المطيع
وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع وأنشأت على ما أعانيه من قريحة
جامدة وفطنة خامدة وروية ناضبة وهموم ناصبة خمسين
مقامة تحتوي على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر

البيان ودرره • وملح الأدب ونوادره • إلى ما وشحتها به من الآيات •
ومحاسن الكنايات • ورصعته فيها من الأمثال العربية • واللطائف
الأدبية • والأحاجي النحوية • والفتاوى اللغوية • والرسائل المبتكرة
والخطب المحبرة • والمواعظ المبكية • والأضاحيك الملهية • مما أمليت
جميعه على لسان أبي زيد السروجي • وأسندت روايته إلى الحرث
بن همام البصري • وما قصدت بالإحماض فيه • إلا تنشيط قارئيه •
وتكثير سواد طالبيه • ولم أودعه من الأشعار الأجنبية • إلا
بيتين فذين • أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية • وآخرين توأمين
ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية • وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره
ومقتضب حلوه ومره • هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق
غايات • وصاحب آيات • وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة •
ولو أوتي بلاغة قدامة • لا يغترف إلا من فضالته • ولا يسري ذلك
المسرى إلا بدلالته • ولله القائل •

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة • بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا • بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وأرجو ألا أكون في الذي أوردته • والمورد الذي توردته • كالباحث عن
حتفه بظلفه • والجادع مارن أنفه بكفه • وألحق بالأخسرين أعمالا
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا • وهم الذين يحسبون أنهم يحسنون
صنعا • على أني وإن أغمض لي الفطن المتغابي • ونضح عني المحب
المحابي • لا أكاد أخلص من غمر جاهل • أو ذي غمر متجاهل يضع

الهذر ع

مخ

منّي لهذا الموضع ويندد بأنه من مناهي الشرع ومن نقد الأشياء
بعين المعقول وأنعم النظر في مباني الأصول نظم هذه المقامات
في سلك الإفادات وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات
والجمادات ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات أو أثّم
رواتها في وقت من الأوقات ثم إذا كانت الأعمال بالنيات وبها
انعقاد العقود الدينيات فأي حرج على من أنشا ملحا للتنبيه
لا للتمويه ونحا بها منحا التهذيب لا الأكاذيب وهل هو في
ذلك إلا بمنزلة من انتدب لتعليم أو هدى إلى صراط مستقيم
على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا عليّ ولا ليا
وبالله أعتضد فيما أعتمد وأعتصم فيما يصم وأسترشد إلى
ما يرشد فما المفزع إلا إليه ولا الاستعانة إلا به ولا التوفيق
إلا منه ولا الموئل إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب

المقامة الأولى

وتعرف بالصنعانية

حدث الحارث ابن همام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب وأنأتني
المتربة عن الأتراب طوّحت بي طوائح الزمن إلى صنعاء اليمن
فدخلتها خاوي الوفاض بادي الإنفاض لا أملك بلغة ولا
أجد في جرابي مضغة فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم وأجول
في حوماتها جولان الحائم وأرود في مسارح لمحاتي ومسايح
غدواتي وروحاتي كريما أخلق له ديباجتي وأبوح إليه بحاجتي

واديبا تفرج رؤيته غمتي : وتروي روايته غلتي : حتى ادتني
خاتمة المطاف : وهدتني فاتحة الالطاف : الى ناد رحيب محتو
على زحام ونحيب : فولجت غابة الجمع : لاسبر مجلبة الدمع
فرايت في بهرة الحلقة شخصا شخت الخلقة : عليه اهبة السياحة
وله رنة النياحة : وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه : ويقرع
الاسماع بزواجر وعظه : وقد احاطت به اخلاط الزمر : احاطة
الهالة بالقمر : والاكمام بالثمر : فدلفت اليه لاقتبس من فوائده
والتقط بعض فرائده : فسمعته يقول : حين خب في مجاله : وهدرت
شقاشق ارتجاله : ايها السادر في غلوائه : السادل ثوب خيلائه
الجامح في جهلاته : الجانح الى خزعبلاته : الام تستمر على غيك
وتستمري مرعى بغيك : وحتام تتناهى في زهوك : ولا تنتهي عن
لهوك : تبارز بمعصيتك : مالك ناصيتك : وتجتري بقبح سيرتك
على عالم سريرتك : وتتوارى عن قريبك : وانت بمراى رقيبك
وتستخفي من مملوكك : وما تخفى خافية على مليكك : اتظن ان
ستنفعك حالك : اذا آن ارتحالك : او ينقذك مالك : حين
توبقك اعمالك : او يغني عنك ندمك اذا زلت قدمك : او
يعطف عليك معشرك : يوم يضمك محشرك : هلا انتهجت محجة
اهتدائك : وعجلت معالجة دائك : وفللت شباة اعتدائك
وقدعت نفسك فهي اكبر اعدائك : اما الحمام ميعادك : فما اعدادك
وبالمشيب انذارك : فما اعذارك : وفي اللحد مقيلك : فما قيلك

والى

والى الله مصيرك ، فمن نصيرك ، طالما أيقظك الدهر فتناعست
وجذبك الوعظ فتقاعست ، وتجلت لك العبر فتعاميت ، وحصحص
لك الحق فتماريت ، وأذكرك الموت فتناسيت ، وأمكنك أن تواسي
فما واسيت ، تؤثر فلسا توعيه ، على ذكر تعيه ، وتختار قصرا تعليه
على بر توليه ، وترغب عن هاد تستهديه ، إلى زاد تستهديه ، وتغلب
حب ثوب تشتهيه ، على ثواب تشتريه ، يواقيت الصلاة ، اعلق بقلبك
من مواقيت الصلاة ، ومغالات الصدقات ، آثر عندك من موالات
الصدقات ، وصحايف الألوان ، اشهى إليك من صحايف الأديان ،
ودعابة الأقران ، أنس لك من تلاوة القرآن ، تامر بالمعروف
وتنتهك حماه ، وتحمي عن المنكر ولا تتحاماه ، وتتزحزح عن
الظلم ، ثم تغشاه ، وتخشى الناس ، والله أحق أن تخشاه وانشد

تبا لطالب دنيا ، ثنى إليها انصبابه
ما يستفيق غراما ، بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه ، مما يروم صبابه

ثم انه لبد عجاجته ، وغيض مجاجته ، واعتضد شكوته ، وتأبط
هراوته ، فلما رنت الجماعة الى تحفزه ، ورأت تأهبه لمزايلة مركزه
ادخل كل منهم يده في جيبه ، فأفعم له سجلا من سيبه ، وقال اصرف
هذا في نفقتك ، او فرقه على رفقتك ، فقبله منهم مغضيا ، وانثنى
عنهم مثنيا ، وجعل يودع من يشيعه ، ليخفى عليهم مهيعه ، ويسرب
من يتبعه ، لكي يجهل مربعه ، قال الحرث بن همام فاتبعته مواريا عنه

عياني ، وقفوت اثره من حيث لا يراني ، حتى انتهى الى مغارة ، فانساب فيها على غرارة ، فامهلته ريثما خلع نعليه ، وغسل رجليه ، ثم هجمت عليه ، فوجدته محاذيا لتلميذ ، على خبز سميذ ، وجدي حنيذ ، وقبالتهما خابية نبيذ ، فقلت له يا هذا ، ايكون ذاك خبرك ، وهذا مخبرك ، فزفر زفرة القيظ ، وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق الي ، حتى خفت ان يسطو علي ، فلما ان خبت ناره وتوارى اواره ، فانشد :

لبست الخميصة ابغي الخبيصه ، وانشبت شصي في كل شيصه
وصيرت وعظي احبولة ، اريغ القنيص به والقنيصه
والجأني الدهر حتى ولجت ، بلطف احتيالي على الليث عيصه
على انني لم اهب صرفه ، ولا انبضت لي منه فريصه
ولا شرعت بي على مورد ، يدنس عرضي نفس حريصه
ولو انصف الدهر في حكمه ، لما ملك الحكم اهل النقيصه

ثم قال لي ادن فكل ، وان شئت فقم وقل ، فالتفت الى تلميذه ، وقلت عزمت عليك ، بمن تستدفع به الاذى ، لتخبرني من ذا ، فقال هذا ابو زيد السروجي ، سراج الغربا ، وتاج الادبا ، فانصرفت من حيث اتيت ، وقضيت العجب مما رأيت ،

المقامة الثانية :
وتعرف بالحلوانية

حكى الحرث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم ، ونيطت بي العمائم

بي

بأن اغشى معان الأدب، وأبدى وأنضى إليه ركاب الطلب، لأعلق
منه بما يكون لي زينة بين الأنام، ومزنة عند الأوام، وكنت لفرط اللهج
باقتباسه، والطمع في تقمص لباسه، أباحث كل من جل وقل، واستسقى
الوبل والطل، وأتعلل بعسى ولعل، فلما حللت حلوان، وقد
بلوت الإخوان، وسبرت الأوزان، وخبرت ما شان وزان، ألفيت
بها أبا زيد السروجي، يتقلب في قوالب الانتساب، ويخبط في أساليب
الاكتساب، فيدعي تارة أنه من آل ساسان، ويعتزي مرة إلى أقيال
غسان، ويبرز طورا في شعار الشعراء، ويلبس حينا كبر الكبراء،
بيد أنه مع تلون حاله، وتبين محاله، يتحلى برواء ورواية، ومداراة
ودراية، وبلاغة رائقة، وبديهة مطاوعة، وأداب بارعة، وقدم
لأعلام العلوم فارعة، فكان لمحاسن آلاته، يلبس على علاته، ولسعة
روايته، يصبى إلى رؤيته، ولخلابة عارضته، يرغب عن معارضته،
ولعذوبة إيراده، يسعف بمراده، فتعلقت بأهدابه لخصائص آدابه،
ونافست في مصافاته، لنفائس صفاته، فكنت به أجلو همومي، وأجتلي
زماني، طلق الوجه مؤتمع الضيا، أرى قربه قربى، ومغناه غنية، ورؤياه
ريا، ومحياه لي حياة، ولبثنا على ذلك برهة، ينشي لي في كل يوم
نزهة، ويذرأ عن قلبي شبهة، إلى أن جدحت له يد الإملاق، كأس
الفراق، وأغراه عدم العراق، بتطليق العراق، ولفظته معاوز
الإرفاق، ونظمه في سلك الرفاق، خفوق راية الإخفاق، فشحذ
للرحلة غرار عزمه، وظعن يقتاد القلب بأزمته، شعر

بيته

فما راقني من لاقني بعد بعده ❊ ولا شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي مذ مدّ نبذ لفضله ❊ ولا ذو خلال حاز مثل خلاله
واستسرّ عني حينا ❊ لا أعرف له عرينا ❊ ولا أجد عنه مبينا ❊ فلمّا
أبت من غربتي ❊ إلى منبت شعبتي ❊ حضرت دار كتبها التي هي منتدى
المتأدبين ❊ وملتقى القاطنين ❊ والمتغربين ❊ فدخل ذو لحية كثّة ❊ وهيئة منهم
رثّة ❊ فسلّم على الجلاس ❊ وجلس في أخريات الناس ❊ ثمّ أخذ يبدي
ما في وطابه ❊ ويعجب الحاضرين ❊ بفصل خطابه ❊ وقال لمن يليه
ما الكتاب الذي تنظر فيه ❊ فقال ديوان أبي عبادة ❊ المشهود له بالإجادة
فقال هل عثرت له ❊ فيما لمحته على بديع استملحته ❊ فقال نعم قوله شعرا
كأنّما يبسم عن لؤلؤ منضّد أو برد أو أقاح ❊ فإنّه أبدع في التشبيه ❊
المودع فيه ❊ فقال له يا للعجب ❊ ولضيعة الأدب ❊ لقد استسمنت
يا هذا ذا ورم ❊ ونفخت في غير ضرم ❊ أين أنت عن البيت النادر ❊ الجامع
مشبهات الثغر ❊ وانشد

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه ❊ وزانه شنب ناهيك من شنب
يفترّ عن لؤلؤ رطب وعن برد ❊ وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

فاستجاده من حضره ❊ واستحلاه ❊ واستعاده منه واستملاه ❊ وسئل
لمن هذا البيت ❊ وهل قائله حيّ أو ميت ❊ فقال أيم الله للحقّ أحقّ
أن يتبع ❊ وللصدق حقيق بأن يستمع ❊ إنّه يا قوم لنجيّكم منذ اليوم ❊ قال
فكأنّ الجماعة ارتابت بعزوته ❊ وأبت تصديق دعوته ❊ فتوجّس ما هجس
في أفكارهم ❊ وفطن لما بطن من استنكارهم ❊ وحاذر أن يفرط إليه ذمّ
فقرأ إنّ بعض الظنّ إثم ❊ ثمّ قال يا رواة القريض ❊ وأساة القول

المريض • إن خلاصة الجوهر تظهر بالسبك • ويد الحق تصدع رداء الشك • وقد قيل فيما غبر من الزمان • عند الامتحان • يكرم الرجل أو يهان • وها أنا قد عرضت خبيئتي للاختبار • وعرضت حقيبتي على الاعتبار • فابتدر أحد من حضر • وقال أعرف بيتا لم ينسج على منواله • ولا سمحت قريحة بمثاله • فإن آثرت اختلاب القلوب فانظم على هذا الأسلوب شعرا

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت • وردا وعضت على العناب بالبرد

فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب • حتى أنشد فأغرب •

سألتها حين زارت نضو برقعها • القاني وإيداع سمعي أطيب الخبر
فزحزحت شفقا غشى سنا قمر • وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فحار الحاضرون لبداهته • واعترفوا بنزاهته • فلما آنس استئناسهم بكلامه • وانصبابهم إلى شعب إكرامه • أطرق لطرفة العين ثم قال دونكم بيتين آخرين

وأقبلت يوم جد البين في حلل • سود تعض بنان النادم الحصر
فلاح ليل على صبح أقلهما • غصن وضرست البلور بالدرر

فحينئذ استسنى القوم قيمته • واستغزروا ديمته • وأجملوا عشرته وجملوا قشرته • قال المخبر بهذه الحكاية • فلما رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته أمعنت في توسمه • وسرحت الطرف في ميسمه • فإذا هو شيخنا السروجي • وقد أقمر ليله الدجوجي • فهنأت نفسي بوروده • وابتدرت استلام يده • وقلت له • ما الذي أحال صفتك

حتى جهلت معرفتك، وأي شيء شيّب لحيتك، حتى أنكرت حليتك، فأنشأ يقول

وقع الشوائب شيّب ... والدهر بالناس قلّب
إن دان يوماً لشخص ... ففي غدٍ يتغلّب
ولا تثق بوميض ... من برقه فهو خلّب
فاصبر إذا هو أضرى بك ... الخطوب وألّب
فما على التبر عار ... في النار حين يقلّب

ثم نهض مفارقاً موضعه، ومستصحباً القلوب معه

المقامة الثالثة

وتعرف بالقيلية

روى الحرث بن همام قال نظمني وأخداناً لي نادٍ، لم يخب فيه منادٍ، ولا كبا قدح زنادٍ، ولا ذكت نار عنادٍ، فبينا نحن نتجاذب أطراف الأناشيد، ونتوارد طرف الأسانيد، إذ وقف بنا شخص عليه سمل، وفي مشيه قزل، فقال يا أخاير الذخائر، وبشائر العشائر، عموا صباحاً، وانعموا اصطباحاً، وانظروا إلى من كان ذا ندي وندى، وجدة وجدى، وعقار وقرى، ومقار وقرى، فما زال به قطوب الخطوب، وحروب الكروب، وشرر شر الحسود، وانتياب النوب السود، حتى صفرت الراحة، وقرعت الساحة، وغار المنبع، ونبا المرتع، وأقوى المجمع ٢، واستحالت الحال، وأعول العيال، وخلت المرابط، ورحم الغابط، وأودى الناطق والصامت، ورثا لنا الحاسد والشامت، وآلنا للدهر الموقع، والفقر المدقع، إلى أن احتذينا الوجى، واغتذينا الشجى، واستبطنا الجوى

٢ وأقض المضجع صح

وطوينا

وطوينا الأحشا على الطوى ۞ واكتحلنا السهاد ۞ واستوطنا الوهاد ۞
واستوطأنا القتاد ۞ وتناسينا الأقتاد ۞ واستطبنا الحين المجتاح ۞
واستبطأنا اليوم المتاح ۞ فهل من حرٍّ آسٍ ۞ أو سمحٍ مواسٍ ۞ فوالذي
استخرجني من قيلة ۞ لقد أمسيت أخا عيلة ۞ لا أملك بيت ليلة ۞ قال
الحرث بن همام ۞ فأويت لمفاقره ۞ ولويت إلى استنباط فقره ۞ فأبرزت له
دينارا ۞ وقلت له إختبارا ۞ إن مدحته نظما فهو لك حتما ۞ فانبرى
ينشد في الحال ۞ من غير إرتجال ۞

أكرم به أصفر راقت صفرته ۞ جوّاب آفاق ترامت سفرته
قد أودعت سرّ الغنى أسرّته ۞ وقارنت نجح المساعي خطرته
وحبّبت إلى الأنام غرّته ۞ كأنما من القلوب نقرته
به يصول من حوته صرّته ۞ وإن تفانت أو توانت عترته
يا حبّذا نضاره ونضرته ۞ وحبّذا مغناته ونصرته
كم آمرٍ به استتبّت إمرته ۞ ومترفٍ لولاه دامت حرته
وجيش همٍّ هزمته كرّته ۞ وبدر تمٍّ أنزلته بدرته
ومستشيطٍ تتلظّى جمرته ۞ أسرّ نجواه فلانت شرّته
وكم أسيرٍ أسلمته أسرته ۞ أنقذه حتى صفت مسرّته
وحقّ مولًى أبدعته فطرته ۞ لولا التقى لقلت جلّت قدرته

حسرته

ثمّ بسط يده ۞ بعدما أنشده ۞ وقال أنجز حرٌّ ما وعد ۞ وسحّ خالٌ
إذ رعد ۞ فنبذت الدينار إليه ۞ وقلت خذه غير مأسوفٍ عليه ۞ فوضعه
فوضعه في فيه ۞ وقال بارك اللهمّ فيه ۞ ثمّ شمّر للانثنا بعد

نوقيه الثنا ٭ فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام ٭ سهلت علي ايتناف اغترام ٭ فجردت دينارا اخر وقلت ٭ هل لك في أن تذمه ثم تضمه ٭ فانشد مرتجلا ٭ وشدا عجلا ٭

تبا له من خادع مماذق ٭ اصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق ٭ زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوي الحقائق ٭ يدعو الى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق ٭ ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق ٭ ولا شكا الممطول مطل العايق
ولا استعيذ من حسود راشق ٭ وشر ما فيه من الخلايق
ان ليس يغني عنك في المضايق ٭ الا اذا فر فرار الابق
واها لمن يقذفه من حالق ٭ ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق ٭ لا راي في وصلك لي ففارق

فقلت له ما اغزر وبلك ٭ فقال والشرط املك ٭ فنفحته بالدينار الثاني ٭ وقلت له عوذهما بالمثاني ٭ فالقاه في فمه ٭ وقرنه بتوامه ٭ وانكفى يحمد مغداه ٭ ويمدح النادي ونداه ٭ قال الحرث بن همام فناجاني قلبي بانه ابو زيد ٭ وان تعارجه لكيد ٭ فاستعدته وقلت لقد عرفت بوشيك ٭ فاستقم في مشيك ٭ فقال ان كنت ابن همام حييت باكرام ٭ وحييت كرام ٭ فقلت انا الحارث ٭ فكيف حالك والحوادث ٭ قال اتقلب في الحالين بوس ورخاء ٭ وانقلب مع الريحين زعزع ورخاء ٭ فقلت كيف ادعيت القزل ٭ وما مثلك من هزل

فاستسر

فاستنسر بشره الذي كان تجلى، ثم أنشد حين ولى:

تعارجتُ لا رغبةً في العرج ... ولكن لأقرع باب الفرج
وألقي حبلي على غاربي ... وأسلك مسلك من قد مرج
فإن لامني القوم قلت اعذروا ... فليس على أعرج من حرج

المقامة الرابعة

وتعرف بالدمياطية

حكى الحارث بن همام قال: ظعنت إلى دمياط، في عام هياط ومياط، وأنا يومئذ مرموق الرخاء، موموق الإخاء، أسحب مطارف الثراء، وأجتلي معارف السراء، فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق، وارتضعوا أفاويق الوفاق، حتى لاحوا كأسنان المشط في الاستواء، وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء، وكنا مع ذلك نسير النجا، ولا نرحل إلا كل هوجا، وإذا نزلنا منزلا، أو وردنا منهلا، اختلسنا اللبث، ولم نطل المكث، فعنّ لنا إعمال الركاب، في ليلة فتية الشباب، غدافية الإهاب، فأسرينا إلى أن نضا الليل شبابه، وسبت الصبح خضابه، فحين مللنا السرى، وملنا إلى الكرى، صادفنا أرضا مخضلة الربا، معتلة الصبا، فتخيرناها مناخا للعيس، ومحطا للتعريس، فلما حلها الخليط، وهدأ بها الأطيط والغطيط، سمعت صيتا من الرجال، يقول لسميره في الرحال: كيف حكم سيرتك، مع جيلك وجيرتك؟ فقال: أرعى الجار ولو جار، وأبذل الوصال لمن صال، وأحتمل الخليط ولو أبدى التخليط، وأود الحميم

ولو جرعني الحميم ۞ وأفضل الشفيق على الشقيق ۞ وأفي للعشير وإن لم
يكافي بالعشير ۞ وأستقل الجزيل للنزيل ۞ وأغمر الزميل بالجميل ۞ وأنزل
سميري منزلة أميري ۞ وأحل أنيسي محل رئيسي ۞ وأودع معارفي ۞ وأولي ۞ عوارفي
مرافقي مرافقي ۞ وألين مقالي للقالي ۞ وأديم تسالي عن السالي ۞ وأرضى
من الوفاء باللفاء ۞ وأقنع من الجزاء بأقل الإجزاء ۞ ولا أتظلم حين أظلم ۞ ولا
أنقم ولو لدغني الأرقم ۞ فقال له صاحبه ۞ ويك يا بني ۞ إنما يضن بالضنين
وينافس في الثمين ۞ لكن أنا لا أبي غير المواتي ۞ ولا أسم العاتي ۞ بمراعاتي
ولا اصافي ۞ من يأبى انصافي ۞ ولا اواخي ۞ من يلغي الأواخي ۞ ولا امالي
من يخيب أمالي ۞ ولا أبالي ۞ بمن صرم حبالي ۞ ولا اداري من جهل مقداري
ولا اعطي زمامي ۞ من يخفر ذمامي ۞ ولا أبذل ودادي ۞ لأضدادي
ولا أدع إيعادي ۞ للمعادي ۞ ولا اغرس الأيادي ۞ في ارض الأعادي
ولا أسمح بمواساتي ۞ لمن يفرح بمساتي ۞ ولا ارى التفاتي ۞ الى من يشمت
بوفاتي ۞ ولا اخص بحباتي ۞ الا احباتي ۞ ولا استطب لدائي ۞ غير اودائي
ولا املك خلتي ۞ من لا يسد خلتي ۞ ولا اصفي نيتي ۞ لمن يتمنى منيتي
ولا أخلص دعائي ۞ لمن لا يفعم وعائي ۞ ولا افرغ ثنائي ۞ على من يفرغ
انائي ۞ ومن حكم بأن ابذل وتخزن ۞ وألين وتخشن ۞ وأذوب وتجمد
وأذكو وتخمد ۞ لا والله بل نتوازن بالمقال ۞ وزن المثقال ۞ ونتحاذى
في الفعال ۞ حذو النعال ۞ حتى نأمن التغابن ۞ ونكفى التضاغن
وإلا فلم أعلك وتعلني ۞ وأقلك وتستقلني ۞ وأجترح لك ۞ وتجترحني
وأسرح اليك ۞ وتسرحني ۞ وكيف يجتلب انصاف بضيم ۞ وأنى تشرق

شمس

شمس مع غيم، ومتى أصحب ودّ بمسف، وأيّ حرّ رضي بخطة
خسف، ولله أبوك إذ يقول:

جزيت من أعلق بي ودّه ... جزاء من يبني على أسّه
وكلت للخل كما كال لي ... على وفاء الكيل أو بخسه
وكم أخسره وشرّ الورى ... من يومه أخسر من أمسه
وكلّ من يطلب عندي جنى ... فما له إلّا جنى غرسه
لا أبتغي الغبن ولا أنثني ... بصفقة المغبون في حسّه
ولست بالموجب حقًّا لمن ... لا يوجب الحقّ على نفسه
وربّ مذاق الهوى خالني ... أصدقه الودّ على لبسه
وما درى من جهله أنني ... أقضي غريمي الدّين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلى ... وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة ... لباس من يرغب عن أنسه
ولا ترجّ الودّ ممن يرى ... أنك محتاج إلى فلسه

قال الحرث بن همام، فلما وعيت ما دار بينهما، تقت إلى أن أعرف
عينهما، فلما لاح ابن ذكاء، وألحف الجوّ الضياء، غدوت قبل استقلا ل
الرّكاب، ولا اغتداء الغراب، وجعلت أستقري صوب الصوت الليلي
وأتوسّم الوجوه بالنظر الجلي، إلى أن لمحت أبا زيد وابنه يتحادثان
وعليهما بردان رثّان، فعلمت أنهما نجيّا ليلتي، وصاحبا روايتي
فقصدتهما قصد كلف بدماثتهما، راث لرثاثتهما، وأبحتهما التحوّل إلى
رحلي، والتحكّم في كثري وقلّي، وطفقت أسير بين السيّارة

نظلّهما، وأهزّ الأعواد المثمرة لهما، حتى غمرا بالنّحلان، واتّخذا من
الخلّان، وكنّا بمعرّسٍ تتبيّن منه بنيان القرى، وتتنوّر نيران القِرى،
فلمّا رأى أبو زيد امتلاء كيسه، وانجلاء بؤسه، قال لي إنّ بدني قد
اتّسخ، ودَرَني قد رسخ، أفتأذن في قصد قريةٍ لأستحمّ، وأقضي
هذا المهمّ، فقلت إذا شئت فالسّرعة السّرعة، والرّجعة الرّجعة،
فقال ستجد مطلعي عليك، أسرع من ارتداد طرفك إليك، ثمّ استنّ
استنان الجواد في المضمار، وقال لابنه بدارِ بدارِ، ولم نخل أنّه غرّ
وطلب المفرّ، فلبثنا نرقبه رقبة الأعياد، ونستطلعه بالطلائع والرّوّاد
إلى هرم النّهار، فلمّا طال مدى الانتظار، ولاحت الشّمس في ‌ ان
الأطمار، قلت لأصحابي قد تناهينا في المهلة، وتمادينا في
الرّحلة، إلى أن أضعنا الزّمان، وبان أنّ الرّجل مان، فتأهّبوا
للظّعن، ولا تلووا على خضراء الدّمن، ونهضت لأحدج راحلتي
وأحمل رحلتي، فوجدت أبا زيد قد كتب على القتب، شعر

يا من غدا لي ساعدًا ... ومساعدًا دون البشر
لا تحسبنّ أنّي نأيت ... عن ملالٍ أو أشر
لكنّني مذ لم أزل ... ممّن إذا طعم انتشر

فأقرأت الجماعة القتب، ليعذره من كان عتب، فأعجبوا
بخرافته، وتعجّبوا من آفته، ثمّ إنّا ظعنّا، ولم ندر من اعتاض عنّا ‌ وتعوّذوا

المقامة الخامسة

وتعرف بالكوفيّة

حكى

حكى الحرث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة اديمها ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غذوا بلبان البيان وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ما فيهم الا من يحفظ عنه ولا يتحفظ منه ويميل الرفيق اليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر الى ان غرب القمر وغلب السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق الا التهويم سمعنا من الباب نباة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح فقلنا من الملم في الليل المدلهم

فقال

يا اهل هذا المغنى وقيتم شرا ... ولا لقيتم ما بقيتم ضرا

قد دفع الليل الذي اكفهرا ... الى ذراكم شعثا مغبرا

اخا سفار طال واسبطرا ... حتى غدا انثنى محقوقفا مصفرا

مثل هلال الافق لما افترا ... وقد عرا فناءكم معترا

وامكم دون الانام طرا ... يبغي قرى منكم ومستقرا

فدونكم ضيفا قنوعا حرا ... يرضى بما احلولى وما امرا

وينثني عنكم ينث البرا

قال الحرث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا للغلام هيا هيا وهلم ما تهيا فقال الضيف والذي احلني ذراكم لا تلمظت بقراكم او تضمنوا لي ان لا تتخذوني كلا ولا تتجشموا لاجلي اكلا فرب اكلة هاضت الاكل وحرمته ماكل وشر الاضياف من سام التكليف واذى المضيف وخصوصا اذى يعتلق بالاجسام ويفضي الى

الأسقام ؛ وما قيد في المثل الذي سار سايره ؛ خير العشاء سوافره ؛ ليعجل
التعشي ؛ ويجتنب أكل الليل الذي يعشي ؛ اللهم إلا أن تقد نار الجوع
وتحول دون الهجوع ؛ قال فكأنه اطلع على ارادتنا ؛ فرمى عن قوس
عقيدتنا ؛ لا جرم أنا آنسناه بالتزام الشرط ؛ وأثنينا على خلقه السبط
ولما أحضر الغلام ما راج ؛ وأذكى بيننا السراج ؛ تأملته فإذا هو ابو
زيد ؛ فقلت لصحبي ليهنيكم الضيف الوارد ؛ بل المغنم البارد ؛ فإن يكن
قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعرا ؛ وإن استسر بدر النثرة ؛ فقد تبلج بدر أفل
النثر ؛ فسرت حميا المسرة فيهم ؛ وطارت السنة عن ما فيهم ؛ ورفضوا
الدعة التي كانوا نووها ؛ وثابوا الى نشر الفكاهة ؛ بعدما طووها
وأبو زيد مكب على أعمال يديه ؛ حتى اذا استرفع ما لديه ؛ قلت له
أطرفنا بغريبة من غرايب أسمارك ؛ أو عجيبة من عجايب أسفارك
فقال لقد بلوت من العجايب ما لم يره الراؤون ؛ ولا رواه الراوون
وأن من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم ؛ ومصيري الى بابكم
فاستخبرناه عن طرفة مرآه في مسرح مسراه ؛ فقال أن مرامي الغربة
لفظتني الى هذه التربة ؛ وأنا ذو مجاعة وبوسى ؛ وجراب كفؤاد أم موسى
فنهضت حين سجى الدجا ؛ على ما بي من الوجى ؛ لأرتاد مضيفا ؛ أو أقتاد
رغيفا ؛ فساقني حادي السغب ؛ والقضاء الذي يكنى أبا العجب ؛ الى
أن وقفت على باب دار ؛ فقلت ؛

حييتم يا أهل هذا المنزل	؛	وعشتم في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل	؛	نضو سرى خابط ليل أليل

حَوَى الحَشَا عَلَى الطَّوَى مُشْتَمِلِ : مَا ذَاقَ مُذْ يَوْمَانِ طَعْمَ مَأْكَلِ
وَلَا لَهُ فِي أَرْضِكُمْ مِنْ مَوْئِلِ : وَقَدْ دَجَا جُنْحُ الظَّلَامِ المُسْبِلِ
وَهْوَ مِنَ الحَيْرَةِ فِي تَمَلْمُلِ : فَهَلْ بِهَذَا الرَّبْعِ عَذْبُ المَنْهَلِ
يَقُولُ لِي أَلْقِ عَصَاكَ وَادْخُلِ : وَابْشِرْ بِبِشْرٍ وَقِرًى مُعَجَّلِ

قَالَ : فَبَرَزَ إِلَيَّ جُوذَرٌ : عَلَيْهِ شَوْذَرٌ : وَقَالَ :

وَحُرْمَةِ الشَّيْخِ الَّذِي سَنَّ القِرَى : وَأَسَّسَ المَحْجُوجَ فِي أُمِّ القُرَى
مَا عِنْدَنَا لِطَارِقٍ إِذَا عَرَى : سِوَى الحَدِيثِ وَالمُنَاخِ فِي الذَّرَى
وَكَيْفَ يَقْرِي مَنْ نَفَى عَنْهُ الكَرَى : طَوًى بَرَا أَعْظُمَهُ لَمَّا انْبَرَى

فَمَا تَرَى فِيمَا ذَكَرْتُ مَا تَرَى :

فَقُلْتُ مَا أَصْنَعُ بِمَنْزِلٍ قَفْرٍ : وَمُنْزِلٍ حِلْفِ فَقْرٍ : وَلَكِنْ يَا فَتَى مَا اسْمُكَ فَقَدْ فَتَنَنِي فَهْمُكَ : فَقَالَ اسْمِي زَيْدٌ : وَمَنْشَأِي فَيْدٌ : وَوَرَدْتُ إِلَى هَذِهِ المَدَرَةِ أَمْسِ : مَعَ أَخْوَالِي مِنْ بَنِي عَبْسٍ : فَقُلْتُ لَهُ زِدْنِي إِيضَاحًا عِشْتَ وَنُعِشْتَ : فَقَالَ أَخْبَرَتْنِي أُمِّي بَرَّةُ : وَهِيَ كَاسْمِهَا بَرَّةٌ : إِنَّهَا نَكَحَتْ عَامَ الغَارَةِ بِمَاوَانَ : رَجُلًا مِنْ سَرَاةِ ^١ وَغَسَّانَ فَلَمَّا آنَسَ مِنْهَا الإِثْقَالَ : وَكَانَ بَاقِعَةً عَلَى مَا يُقَالُ : ظَعَنَ عَنْهَا سِرًّا : وَهَلُمَّ جَرًّا : فَمَا يُعْرَفُ أَحَيٌّ هُوَ فَيُتَوَقَّعُ : أَمْ أُودِعَ اللَّحْدَ البَلْقَعَ قَالَ أَبُو زَيْدٍ فَعَلِمْتُ بِصِحَّةِ العَلَامَاتِ أَنَّهُ وَلَدِي : وَصَدَفَنِي عَنِ التَّعَرُّفِ إِلَيْهِ صِفْرُ يَدِي فَفَصَلْتُ عَنْهُ بِكَبِدٍ مَرْضُوضَةٍ : وَدُمُوعٍ مَفْضُوضَةٍ : فَهَلْ سَمِعْتُمْ يَا أُولِي الأَلْبَابِ : بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا العُجَابِ فَقُلْنَا لَا وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ : فَقَالَ أَثْبِتُوهَا فِي عَجَائِبِ الاتِّفَاقِ

١ سُرُوجٍ

وخلّدوها بطون الأوراق ۝ فما سيّر مثلها في الآفاق ۝ فأحضرناه الدواة
وأساودها ۝ ورقشنا الحكاية على ما سردها ۝ ثمّ إستنبطناه على مرتآه
في إستفهام فتاه ۝ فقال إذا أثقل ردني ۝ خفّ على أن أكفل ابني ۝ فقلنا
إن كان يكفيك نصاب من المال ۝ ألّفناه لك في الحال ۝ فقال وكيف لا
يقنعني نصاب ۝ وهل يحتقر قدره إلّا مصاب قال الراوي فالتزم منه كلّ
منّا قسطا ۝ وكتب له به قطّا ۝ فشكر عند ذلك الصنع واستنفذ في الثناء
الوسع ۝ حتّى أنّا استطلنا القول ۝ واستقللنا الطول ۝ ثمّ إنّه نشر من
وشي السمر ما أزرى بالحبر ۝ إلى أن أظلّ التنوير وجشر الصبح المنير
نقضيناها ليلة غابت شوائبها ۝ إلى أن شابت ذوائبها ۝ وكمل سعودها
إلى أن انفطر عودها ۝ ولمّا ذرّ قرن الغزالة طمر طمور الغزالة ۝ وقال
انهض بنا لنقبض الصلات ۝ ونستنضّ الإحالات ۝ فقد استطارت صدوع
كبدي من الحنين إلى ولدي ۝ فوصلت جناحه حتّى سنّيت نجاحه
فحين أحرز العين في صرّته ۝ برقت أسارير مسرّته ۝ وقال لي جزيت
خيرا عن خطا قدميك ۝ والله خليفتي عليك ۝ فقلت أريد أن أتبعك
لأشاهد ولدك النجيب ۝ وأناقله لكي يجيب ۝ فنظر إليّ نظرة الخادع
إلى المخدوع ۝ وضحك حتّى تغرغرت مقلتاه بالدموع ثمّ أنشد

يا من تظنّ السراب ماء ۝ لمّا رويت الذي رويت
ما خلت أن يستسرّ مكري ۝ وأن يخيل الذي عنيت
والله ما برّة بعرسي ۝ ولا لي ابن به اكتنيت
وإنّما لي فنون سحر ۝ أبدعت فيها وما اقتديت

لم يحكها الأصمعي فيما حكى ⁛ ولا حكاها الكميت
تخذتها وصلة إلى ما ⁛ تجنيه كفي متى اشتهيت
ولو تعافيتها لحالت ⁛ حالي ولم أحو ما حويت
فمهد العذر أو فسامح ⁛ إن كنت أجرمت أو جنيت

ثم إنه ودعني ومضى ⁛ وأودع قلبي جمر الغضا

المقامة السادسة

المراغية وتعرف بالخيفاء

روى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة ⁛ وقد جرى به ذكر البلاغة ⁛ فأجمع من حضر من فرسان اليراعة ⁛ وأرباب البراعة ⁛ على أنه لم يبق من ينقح الإنشاء ⁛ ويتصرف فيه كيف شاء ⁛ ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غراء ⁛ ويفترع رسالة عذراء ⁛ وأن المفلق من كتاب هذا الأوان ⁛ المتمكن من أزمة البيان ⁛ كالعيال على الأوائل ⁛ ولو ملك فصاحة سحبان وائل ⁛ وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية ⁛ وعند مواقف الحاشية ⁛ فكان كلما شط القوم في شوطهم ⁛ ونثروا العجوة والنجوة من نوطهم ⁛ ينبي تخازر طرفه وتشامخ أنفه ⁛ أنه مخرنبق لينباع ⁛ ومجرمز سيمد الباع ⁛ ونابض يبري النبال ورابض يبغي النضال ⁛ فلما نثلت الكنائن ⁛ وفاءت السكائن ⁛ وركدت الزعازع ⁛ وكف المنازع ⁛ أقبل على الجماعة وقال ⁛ لقد جئتم شيئا إدا ⁛ وجرتم عن القصد جدا ⁛ وعظمتم العظام الرفات ⁛ وأفرطتم في الميل إلى من فات ⁛ وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ⁛ ومعهم انعقدت

المودات أأنسيتم يا جهابذة النقد ومَوابذة الحلّ والعقد ما أبرزته
طوارف القرائح وبرّز فيه الجذع على القارح من العبارات المهذبة
والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة والأساجيع المستملحة
وهل للقدماء إذا أنعم النظر من حضر غير المعاني المطروقة الموارد
المعقولة الشوارد المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر على
الوارد وإني لأعرف الآن من إذا أنشأ وشّى وإذا عبّر حبّر وإن أسهب
أذهب وإن أوجز أعجز ومتى اخترع خرع وإن بده شده فقال
له ناظورة الديوان وعين أولئك الأعيان من قارع هذه الصفاة
وقريع هذه الصفات قال إنه قرن مجالك وقرين جدالك وإذا
شئت فرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجيبا فقال له يا هذا إن
البغاث بأرضنا لا تستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والقضة متيسر
وقلّ من استهدف للنضال فخلص من الداء العضال أو استثار نقع
الامتحان فلم يقذ بالامتهان ولا تعرض عرضك للمفاضح ولا تعرض
عن نصاحة الناصح فقال كل امرئ أعرف بوسم قدحه وسيتفرّى الليل
عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر به تليده ويعمد فيه تعليبه
فقال أحدهم ذروه في حصتي لأرميه بحجر قصتي فإنها عضلة العقد
ومحك المنتقد فقلّدوه في هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا
نعامه فأقبل على الكهل وقال اعلم أني أوالي هذا الوالي وأرقّح
حالي بالبيان الحالي وكنت أستعين على تقويم أودي في بلدي
بسعة ذات يدي مع قلة عددي فلما ثقل حاذي ونفد رذاذي

أمّنه

أمّلته من أرجائي برجائي ودعوته لإعادة روائي وأروائي فهشّ
للوفادة وراح وغدا بالإفادة وراح فلمّا استأذنته في المراح
إلى المراح على كاهل المراح قال قد أزمعت أن لا أزوّدك بتاتاً
ولا أجمع لك شتاتاً أو تنشئ أمام ارتحالك رسالة تودعها شرح
حالك حروف إحدى كلمتيها يعمّها النقط وحروف الأخرى لم يعجمن
قط وقد استأنيت حولاً فما أحار قولاً ونبّهت فكري سنة فما
ازداد إلّا سِنة واستعنت بقاطبة الكتّاب فكلّهم قطّب وتاب
فإن كنت صدعت عن وصفك باليقين فأت بآية إن كنت من الصادقين
فقال له لقد استسعيت يعبوباً واستسقيت أسكوباً وأعطيت
القوس باريها وأنزلت الدار بانيها ثمّ فكّر ريثما استجمّ قريحته
واستدرّ لقحته وقال له ألق دواتك وخذ أداتك واكتب الكرم
ثبّت الله جيش سعودك يزين واللؤم غضّ الدهر جفن حسودك
يشين والأروع يثيب والمعور يخيب والحلاحل يضيف والماحل
يخيف والسمح يغذي والمحك يقذي والعطا ينجي والمطال يشجي
والدعا يقي والمدح ينقي والحرّ يجزي والإلطاط يخزي واطّراح ذي
الحرمة غيّ ومحرمة بني الآمال بغي وما ضنّ إلّا غبين ولا غبن إلّا
ضنين ولا خزن إلّا شقي ولا قبض راحه تقي وما فتئ وعدك يفي
وآراؤك تشفي وحلمك يغضي وهلالك يضي وآلاؤك تغني
وأعداؤك تثني وحسامك يفني وسؤددك يبني ومواصلك
يجتني ومادحك يقتني وسماحك يغيث وسماؤك تغيث

ودرّك يفيض ، ووردك يفيض ، ومؤمّلك شيخ حكاه فيّ ، وكم يبق له شي
أملك بظنّ حرصه يشبّ ، ومدحك بحبر مهورها تجب ، ومرامه يخفّ
وأوصره تشفّ ، وأطراؤه يجتذب ، وملامه يجتنب ، وورآه ضفف
مسّهم شظف ، وحصّهم جنف ، وعمّهم قشف ، وهو في دمع يجيب ، ووله
يذيب ، وهمّ تضيّف ، وكمد نيّف ، لما مؤمّل خيّب ، وإهمال شيّب ، وعدوّ
نيّب ، وهدوّ تغيّب ، وكم يزغ ودّه فيغضب ، ولا خبث عوده فيقضب ،
ولا نفث صدره فينفض ، ولا نشر وصله فيبغض ، وما يقتضي كرمك نبذ
حرمه ، فبيّض أمله بتخفيف ألمه ، تنثّ حمدك بين عالمه ، بقيت لإماطة
شجب ، وإعطاء نشب ، ومداواة شجن ، ومراعاة يفن ، موصولا بخفض
وسرور غضّ ، ما غشي مهد غنيّ ، أو خشي وهم غبيّ ، والسلم . فلما
فرغ من إملاء رسالته ، وجلّى في هيجاء البلاغة عن بسالته ، أرضته الجماعة
فعلا وقولا ، وأوسعته حفاوة وطولا ، ثم سئل من أيّ الشعوب نجاره ،
وفي أيّ الشعاب وجاره ، فقال :

غسّان أسرتي الصميمه * وسروج تربتي القديمه
فالبيت مثل الشمس إشراقا * ومنزلة جسيمه
والربع كالفردوس مطيبة * ومنزهة وقيمه
واها لعيش كان لي * فيها ولذّات عميمه
أيام أسحب مطرفي * في روضها ماضي العزيمه
أختال في برد الشباب * وأجتلي النعم الوسيمه
لا أتّقي نوب الزمان * ولا حوادثه الملمّه

فلو

فلو ان كربا متلف : لتلفت من كربي المقيمه
او يفتدى عيش مضى : لفديته مهجتي الكريمه
فالموت خير للفتى : من عيشه عيش البهيمه
تقتاده برة الصغار : الى العظيمة والهضيمه
ويرى السباع تنوشها : ايدي الضباع المستضيمه
والذنب للايام لولا : سوؤها لم تنب شيمه
ولو استقامت كانت الا : احوال فيها مستقيمه

ثم ان خبره الى الوالي ؛ فملا فام باللآلي ؛ وسامه الى ان ينضوي الى احشائه ؛ ويلي ديوان انشائه ؛ فاحسبه الحباء ؛ وظلفه عن الولاية الاباء ؛ قال الراوي وكنت عرفت عود شجرته ؛ قبل ايناع ثمرته ؛ وكدت انبه على قدره ؛ قبل استنارة بدره ؛ فاومى الي بايماض جفنه ؛ الا اجرد عضبه من جفنه ؛ فلما خرج بطين الخرج ؛ وفصل فائزا بالفلج ؛ شيعته قاضيا حق الرعاية ؛ ولاحيا له على رفض الولاية ؛ فاعرض متبسما

وانشد مترنما

لجوب البلاد مع المتربه : احب الي من المرتبه
لان الولاة لهم نبوة : ومتعبة يالها متعبه
وما فيهم من يرب الصنيع : ولا من يشيد ما رتبه
فلا يخدعنك لمع السراب : ولا تاتي امرا اذا ما اشتبه
فكم حالم سره حلمه : وادركه الروع لما انتبه

تمت

المقامة السابعة

وتعرف بالبرقعيدية

حكى الحرث بن همام قال أزمعت الشخوص من برقعيد ؛ وقد شمت برق عيد ؛ فكرهت الرحلة عن تلك المدينة ؛ او اشهد بها يوم الزينة ؛ فلما اظل بفرضه ونفله ؛ واجلب بخيله ورجله ؛ اتبعت السنة في لبس الجديد ؛ وبرزت مع من برز للتعييد ؛ وحين التأم جمع المصلى وانتظم ؛ واخذ الزحام بالكظم ؛ طلع شيخ في شملتين ؛ محجوب المقلتين ؛ وقد اعتضد شبه المخلاة ؛ واستقاد لعجوز كالسعلاة ؛ فوقف وقفة متهافت ؛ وحيا تحية خافت ؛ ولما فرغ من دعائه ؛ اجال خمسه في وعائه ؛ فابرز منه رقاعا ؛ قد كتبن بالوان الاصباغ ؛ في اوان الفراغ ؛ فناولهن عجوزه الحيزبون ؛ وامرها بان تتوسم الزبون ؛ فمن آنست ندى يديه ؛ القت ورقة منهن لديه ؛ قال فاتاح لي القدر المعتوب ؛ رقعة فيها مكتوب ؛

شعر

لقد اصبحت موقوذا ؛ باوجاع واوجال
وممنوا بمحتال ؛ ومختال ومغتال
وخوان من الاخوان ؛ قال لي لاقلالي
واعمال من العمال ؛ في تضييع اعمالي
فكم اصلى باذلال ؛ وامحال وترحال
وكم اخطر في بال ؛ ولا اخطر في بالي
فليت الدهر لما جار ؛ اطفالي اطفالي

فلولا

فلولا أن أشبالي ⁙ أغلالي وأغلالي
لما جهزت آمالي ⁙ إلى آلٍ ولا والِ
ولا جررت أذيالي ⁙ على مسحب إذلالِ
فمحرابي أحرى بي ⁙ وأسمالي أسمى لي
فهل حرٌّ يرى تخفيف أثقالي بمثقالِ
ويطفي حرَّ بلبالي ⁙ بسربالٍ وسروالِ

قال الحرث بن همام فلما استعرضت حلية الأبيات ⁙ تقت إلى معرفة ملحمها ⁙ وراقم علمها ⁙ فناجاني الفكر بأن الوصلة إليه العجوز ⁙ وأفتاني بأن حلوان المعرف يجوز ⁙ فرصدتها وهي تستقري الصفوف صفًّا صفًّا ⁙ وتستوكف الأكف كفًّا كفًّا ⁙ وما إن ينجح لها عناء ⁙ ولا يرشح على يدها إناء ⁙ فلما أكدى استعطافها ⁙ وكدها مطافها ⁙ عادت بالاسترجاع ⁙ ومالت إلى ارتجاع الرقاع ⁙ وأنساها الشيطان ذكر رقعتي ⁙ فلم تعج إلى بقعتي ⁙ وآبت إلى الشيخ باكية للحرمان ⁙ شاكية تحامل الزمان ⁙ فقال إنا لله ⁙ وأفوض أمري إلى الله ⁙ ولا حول ولا قوة إلا بالله ⁙ لم يبق صاف ولا مصاف ⁙ ولا معين ولا معين ⁙ وفي المساوي بدا التساوي ⁙ فلا أمين ولا ثمين ⁙ ثم لها مني وعديها ⁙ واجمعي الرقاع وعديها ⁙ فقالت لقد عددتها ⁙ لما استعدتها ⁙ فوجدت يد الضياع ⁙ قد غالت إحدى الرقاع ⁙ فقال تعسًا لكي يا لكاع ⁙ أنحرم ويحك القنص والحبالة ⁙ والقبس والذبالة ⁙ إنها لضغث على إبالة ⁙ فانصاعت تقتص مدرجها ⁙ وتنشد مدرجها ⁙ فلما

دانتني قرنتُ بالرقعة درهماً وقطعةً ، وقلتُ لها إن رغبتِ في المشوف
المعلم ، وأشرتُ إلى الدرهم ، فبوحي بالسر المبهم ، وإن أبيتِ أن
تشرحي ، فخذي القطعة واسرحي ، فمالت إلى استخلاص البدر التم ، والأبلج
الهم ، وقالت دع جدالك ، وسل عما بدا لك ، فاستطلعتها طِلعَ الشيخ
وبلدته ، والشعر وناسخ بردته ، فقالت إن الشيخ من أهل سروج ، وهو
الذي وشى الشعر المنسوج ، ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق ، ومرقت
مروق السهم الراشق ، فخالجني أن أبا زيد هو المشار إليه ، وتأجج كربي
لمصابه بناظريه ، وآثرتُ أن أفاجيه وأناجيه ، لأعجم عود فراستي فيه
وما كنتُ لأصل إليه ، إلا بتخطي رقاب الجمع ، المنهي عنه في الشرع ، وعفتُ
أن يتأذى بي قوم ، ويسري إليّ لوم ، فسددتُ بمكاني ، وجعلتُ شخصه
قيدَ عياني ، إلى أن انقضت الخطبة ، وحقت الوثبة ، فخففتُ إليه ، وتوسمته
على التحام جفنيه ، فإذا المعيتي المعين ابن عباس ، وفراستي فراسة اياس
فعرّفته حينئذٍ شخصي ، وآثرته بأحد قمصي ، وأهبتُ به إلى قرصي ، فهش
لمعارفتي وعفاني ، ولبى دعوتي رغفاني وانطلق ويدي زمامه وظلي
أمامه ، والعجوز ثالثة الأثافي ، والرقيب الذي لا يخفى عليه خافي ،
ولما استحلس وكنتي ، وأحضرته عجالة مكنتي ، قال يا حارث أمعنا
ثالث ، قلتُ ليس إلا العجوز ، قال ما دونها سرٌّ محجوز ، ثم فتح
كريمتيه ، ورأرأ بتوأمتيه ، فإذا سراجا وجهه يقدان ، كأنهما فرقدان
فابتهجتُ بسلامه ، وعجبتُ من غرائب سيره ، ولم يلفني قراري ، ولا
طاوعني اصطباري ، حتى سألته ، ما دعاك إلى التعامي ، مع سيرك

في

فِي المعاني ، وجوبك الموامي ، وإيغالك في المرامي ، فتظاهر باللُّكْنة ، وتشاغل باللُّهْنة ، حتى إذا قضى وطره ، وأنشد :

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى ... عن الرشد في أنحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل إني أخو عمى ... ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي انهض إلى المخدع ، فأتني بغسول يروق الطرف ، وينقّي الكفّ ، وينعّم البشرة ، ويعطّر النكهة ، ويشدّ اللثة ، ويقوّي المعدة ، وليكن نظيف الظرف ، أريج العرف ، فتيّ الدق ، ناعم السحق ، يحسبه اللامس ذرورا ، ويخاله الناشق كافورا ، واقرن به خلالة نقية الأصل ، محبوبة الوصل ، أنيقة الشكل ، مدعاة إلى الأكل ، لها نحافة الصبّ ، وصقالة العضب ، وآلة الحرب ، ولدونة الغصن الرطب ، قال فنهضت فيما أمر ، لأدرأ عنه الغمر ، ولم أهم إلى أنه قصد أن يخدع بإدخالي المخدع ، ولا تظنّيت أنه سخر من الرسول ، في استدعاء الخلالة والغسول ، فلما عدت بالملتمس ، في أقرب من رجع النفس ، وجدت الجو قد خلا ، والشيخ والشيخة قد جفلا ، فاستشطت من مكره غضبا ، وأوغلت في إثره طلبا ، فكان كمن قمس في الماء ، أو عرج به إلى عنان السماء .

المقامة الثامنة

وتعرف بالمعرية

أخبر الحارث بن همام قال رأيت من أعاجيب الزمان ، تقدم خصمان ، إلى قاضي معرة النعمان ، أحدهما قد ذهب منه الأطيبان ، والآخر

كأنه قضيب • فقال الشيخ • ايد الله القاضي • كما ايد المتقاضي • انه كان
لي مملوكة رشيقة القد • اسيلة الخد • صبورة على الكد • تخب احيانا
كالنهد • وترقد اطوارا في المهد • وتجد في تموز البرد • ذات عقل
وعنان • وحد وسنان • وكف ببنان • وفم بلا اسنان • تلدغ بلسان
نضناض • وترفل في ذيل فضفاض • وتجلى في سواد وبياض • وتسقى
ولكن من غير حياض • ناصحة خدعة • خبأة طلعة • مطبوعة على
المنفعة • مطاوعة في الضيق والسعة • اذا قطعت وصلت • ومتى فصلتها
عنك انفصلت • وطالما خدمتك فجملت • وربما جنت عليك فآلمت
وململت • وان هذا استخدمنيها لغرض • فاخدمته اياها بلا عوض •
على ان يجتني نفعها • ولا يكلفها الا وسعها • فاولج فيها متاعه • واطال
بها استمتاعه • ثم اعادها إلي وقد افضاها • وبذل عنها قيمة لا ارضاها •
قال الحدث اما الشيخ فاصدق من القطا • واما الافضا فوقع عن خطا •
وقد رهنته ارش ما اوهنته • مملوكا لي متناسب الطرفين • منتسبا
الى القين • نقيا من الدرن والشين • يقارن محله سواد العين • يفشي
الاحسان • وينشي الاستحسان • ويغذي الانسان • ويتحامى اللسان •
ان سود جاد • او وسم اجاد • واذا زود وهب الزاد • ومتى استزيد
زاد • لا يستقر بمغنى • وقلما ينكح الا مثنى • يسخو بموجوده • ويسمو
عند جوده • وينقاد مع قرينته • وان لم يكن من طينته • ويستمتع
بزينته • وان لم يطمع في لينته • فقال لهما القاضي • اما ان تبينا
والا فبينا • فابتدر الغلام • وقال •

أعارني إبرة لأرفو أطمارا ∴ عفاها البلى وسوّدها
فانخرمت في يدي على خطإ ∴ مني لما جذبت مقودها
فلم ير الشيخ أن يسامحني ∴ بأرشها إذ رأى تأوّدها
بل قال هات إبرة تماثلها ∴ أو قيمة بعد أن تجوّدها
وأعتاق ميلي رهنا لديه ∴ وناهيك بها سبّة تزوّدها
فالعين مرهى لرهنه ويدي ∴ تقصر عن أن تفك مرودها

فأقبل القاضي على الشيخ وقال ∴ إيه بغير تمويه ∴ فقال

أقسمت بالمشعر الحرام ومن ∴ ضمّ من الناسكين خيف منى
لو ساعفتني الأيام لم يرني ∴ مرتهنا ميله الذي رهنا
ولا تصدّيت أبتغي بدلا ∴ من إبرة غالها ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقني ∴ بعصميات من ها هنا وهنا
وخبر حالي كخبر حالته ∴ ضرا وبؤسا وغربة وضنا
قد عدل الدهر بيننا ∴ فأنا نظيره في الشقا وهو أنا
لا هو يستطيع فك مرودة ∴ لما غدا في يدي مرتهنا
ولا مجالي لضيق ذات يدي ∴ فيه اتساع للعفو حين جنا
فهذه قصتي وقصته ∴ فانظر إلينا وبيننا ولنا

قال فلما وعى القاضي قصصهما ∴ وتبين خصاصتهما ∴ أبرز لهما دينارا من تحت مصلاه ∴ وقال اقطعا به الخصام وافصلاه ∴ فتلقفه الشيخ دون الحدث ∴ واستخلصه على وجه الجد لا العبث ∴ وقال للحدث نصفه لي بسهم مبرتي ∴ وسهمك لي عن أرش إبرتي ∴

فلست عن الحق أميل • فقم وخذ الميل • فوري الحدث لما حدث اكتئاب
وجمّ له القاضي • وهيّج أسفه على الدنيا بالماضي • إلا أنه جبر بال
الفتى وبلباله • ببريهمات رضخ بها له • وقال لهما اجتنبا المعاملات
وادرآ المخاصمات • ولا تحضراني في المحاكمات • فإن عندي كيس الغرامات
فنهضا من عنده • فرحين برفده • مفصحين بحمده • والقاضي ما يخبو
ضجره • مذ بضّ حجره • ولا ينصل كمده • مذ رشح جلمده • حتى إذا أفاق
من غشيته • أقبل على غاشيته • وقال قد أشرب حسّي • ونبّأني حدسي
أنهما صاحبا دهاء • لا خصما ادّعاء • فكيف السبيل إلى سبرهما • واستنباط
سرّهما • فقال له نحرير زمرته • وشرارة جمرته • إنه لم يتمّ استخراج خبيئهما
إلا بهما • فقفّاهما عونا يرجعهما إليه • فلما مثلا بين يديه • قال لهما اصدقاني
سنّ بكركما • ولكما الأمان من تبعة مكركما • فأحجم الحدث وقال واستقال
وأقدم الشيخ وقال •

أنا السروجي وهذا ولدي • والشبل في المخبر مثل الأسد
وما تعدّت يده ولا يدي • في إبرة يوما ولا في مرود
وإنما الدهر المسيء المعتدي • مال بنا حتى غدونا نجتدي
كلّ نديّ الراحة عذب المورد • وكلّ جعد الكف مغلول اليد
بكلّ فنّ وبكلّ مقصد • بالجدّ إن أجدى وإلا بالددِ
لنجلب الرشح إلى الحظّ الصدي • وننفد العمر بعيش أنكد
والموت من بعد لنا بالمرصد • إن لم يفاج اليوم فاجى في غد

قال له القاضي • أنّى لك من المنذرين • وعليك بالحذرين • فلا تماكر

لله درّك • ما أعذب نفثات فمك
وأهاً لك • لولا خداع يبدك

بعدها

بعدها الحاكمين. واتق سطوة المتحكمين. فما كل مسيطر يقيل. ولا كل أوان يسمع القيل. فعاهده الشيخ على اتباع مشورته. والارتداع عن تلبيس صورته. وانفصل عن جبهته. والختل يلمع من جبهته. قال الحارث بن همام: فلم أر أعجب منها في تصاريف الأسفار. ولا قرأت مثلها في تصانيف الأسفار.

المقامة التاسعة

وتعرف بالإسكندرية

حكى الحارث بن همام قال: طحا بي مرح الشباب. وهوى الاكتساب. إلى أن جبت ما بين فرغانة وغانة. أخوض الغمار. لأجني الثمار. وأقتحم الأخطار. لكي أدرك الأوطار. وكنت لقفت من أفواه العلماء. وثقفت من وصايا الحكماء. أنه يلزم الأديب. إذا دخل البلد الغريب. أن يستميل قاضيه. ويستخلص مراضيه. ليشتد ظهره عند الخصام. ويأمن في الغربة جور الحكام. فاتخذت هذا الأدب إماما. وجعلته لمصالحي زماما. فما دخلت مدينة. ولا ولجت عرينة. إلا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح. وتقويت بعنايته تقوي الأجساد بالأرواح. فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية. في عشية عرية. وقد أحضر مال الصدقات. ليفضه على ذوي الفاقات. إذ دخل شيخ عفرية. تعتله امرأة مصبية. فقالت: أيد الله القاضي. وأدام به التراضي. إني امرأة من أكرم جرثومة. وأطهر أرومة. وأشرف خؤولة وعمومة. ميسمي الصون. وشيمتي الهون. وخلقي نعم العون. وبيني وبين جاراتي بون. وكان

انى اذا خطبنى بنات المجد ⁘ وارباب الجد ⁘ سكتهم وبكتهم ⁘ وعاف وصلتهم
واحتج بانه عاهد الله تعالى بحلفة ⁘ ان لا يصاهر غير ذى حرفة ⁘ فقيض
القدر لنصبى ووصبى ⁘ ان حضر هذا الخدعة نادى ابى ⁘ فاقسم بين
رهطه ⁘ انه وفق شرطه ⁘ وادعى انه طالما نظم درة الى درة ⁘ فباعهما
ببدرة ⁘ فاغتر ابى بزخرفة محاله ⁘ وزوجه قبل اختبار حاله ⁘ فلما
استخرجنى من كناسى ⁘ ورحلنى عن اناسى ⁘ ونقلنى الى كسره ⁘ وحصلنى
تحت اسره ⁘ وجدته قعدة جثمة ⁘ والفيته ضجعة نومة ⁘ وكنت صحبته
برياش وزى ⁘ واثاث ورى ⁘ فما برح يبيعه فى سوق الهضم ⁘ ويتلف
ثمنه فى الخضم والقضم ⁘ الى ان مزق مالى باسره ⁘ وانفق مالى فى عسره ⁘
فلما انسانى طعم الراحة ⁘ وغادر بيتى انقى من الراحة ⁘ قلت له يا هذا
انه لا مخبا بعد بوس ⁘ ولا عطر بعد عروس ⁘ فانهض للاكتساب بصناعتك
واجننى ثمرة براعتك ⁘ فزعم ان صناعته قد رميت بالكساد ⁘ لما ظهر فى
الارض من الفساد ⁘ ولى منه سلالة ⁘ كانها خلالة ⁘ وكلانا ما ينال
معه شبعة ⁘ ولا ترقا لنا من الطوى دمعة ⁘ وقد قدته اليك ⁘ واحضرته
لديك ⁘ لتعجم عود دعواه ⁘ وتحكم بيننا بما اراك الله ⁘ فاقبل القاضى
عليه وقال له ⁘ قد وعيت قصص عرسك ⁘ فبرهن عن نفسك ⁘ والا
كشفت عن لبسك ⁘ وامرت بحبسك ⁘ فاطرق اطراق الافعوان ⁘ ثم شمر للحرب
العوان ⁘

وقال

اسمع حديثى فانه عجب ⁘ يضحك من شرحه وينتحب
انا امرؤ ليس فى خصائصه ⁘ عيب ولا فى فخاره ريب

سروج

سروج داري التي ولدت بها ... والأصل غسان حين انتسب
وشغلي الدرس والتبحر في ... العلم طلابي وحبذا الطلب
ورأس مالي سحر الكلام الذي ... منه يصاغ القريض والخطب
اغوص في لجة البيان فأختا ... ر اللآلي منها وانتخب
وأجتني اليانع الجني من الـ ... ـقول وغيري للعود محتطب
وآخذ اللفظ فضة فإذا ... ما صغته قيل انه ذهب
وكنت من قبل امتري نشبا ... بالأدب المجتنى واحتلب
ويمتطي أخمصي لحرمته ... مراتبا ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلاة الى ... ربعي فلم ارض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به ... اكسد شيء في سوقه الأدب
لا عرض ابنائه يصان ولا ... يرقب فيهم الّ ولا نسب
كأنهم في عراصهم جيف ... تبعد من نتنها وتجتنب
فحار لبي لما منيت به ... من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي ... وساورتني الهموم والكرب
وقادني دهري المليم الى ... سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لي لبد ... ولا بتات اليه انقلب
وادّنت حتى اثقلت سالفتي ... بحمل دين من دونه العطب
ثم طويت الحشا على سغب ... خمسا فلما أمضني السغب
لم ار الا جهازها عرضا ... أجول في بيعه واضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة ... والعين عبرى والقلب مكتئب

وما تجاوزت إذ عبثت به ... حتى التراضي فيحدث الغضب
فإن يكن غاظها توهمها ... أن بناني بالنظم يكتسب
أو أنني إذ عزمت خطبتها ... زخرفت قولي لينجح الأرب
فوالذي سارت الرفاق إلى ... كعبته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من خلقي ... ولا شعاري التمويه والكذب
ولا يدي مذ نشأت نيط بها ... إلا مواضي اليراع والكتب
بل فكرتي تنظم القلائد لا ... كفي وشعري المنظوم لا السخب
وهذه الحرفة المشار إلى ... ما كنت أحوي بها وأجتلب
فأذن لشرحي كما أذنت لها ... ولا تراقب واحكم بما يجب

قال فلما أحكم ما شاده. وأكمل إنشاده. عطف القاضي إلى الفتاة. بعد أن شغف بالأبيات. وقال أما إنه قد ثبت عند جميع الحكام. وولاة الأحكام. انقراض جيل الكرام. وميل الأيام إلى اللئام. وإني لأخال بعلك صدوقا في الكلام. بريئا من الملام. وها هو قد اعترف لك بالقرض. وصرح عن المحض. وبين مصداق النظم. وتبين أنه معروق العظم. وإعنات المعذر ملامة. وحبس المعسر مأثمة. وكتمان الفقر زهادة. وانتظار الفرج بالصبر عبادة. فارجعي إلى خدرك. واعذري أبا عذرك. ونهنهي من غربك. وسلمي لقضاء ربك. ثم إنه فرض لهما في الصدقات حصة. وناولهما من دراهمها قبضة. وقال لهما تعللا بهذه العلالة. وتنديا بهذه البلالة. واصبرا على كيد الزمان وكده. فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده. فنهضا وللشيخ فرحة المطلق

من

من الإسار والموسر بعد الإعسار قال الراوي وكنت عرفت أنه أبو زيد
ساعة بزغت شمسه ونزغت عرسه وكدت أفصح عن افتنانه وإثمار
أفنانه ثم أشفقت من عثور القاضي على بهتانه وتزويق لسانه فلا
يرى عند عرفانه أن يرشحه لإحسانه فأحجمت عن القول إحجام
المرتاب وطويت ذكره كطي السجل للكتاب إلا أني قلت بعد ما فصل
ووصل إلى ما وصل لو أن لنا من ينطلق في أثره لأتانا بنفض خبره فأتبعه
القاضي أحد أمنائه وأمره بالتجسس على أنبائه فما لبث أن رجع
متدهدها وقهقر مقهقها فقال له القاضي مهيم يا أبا مريم فقال لقد
عاينت عجبا وسمعت ما أنشأ لي طربا فقال له ماذا رأيت وما الذي
وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه ويخالف بين رجليه
ويغرد بملء شدقيه ويقول

كدت أصلى ببلية ❁ من وقاح شمرية
وأزور السجن لولا ❁ حاكم الإسكندرية

فضحك القاضي حتى هوت دنيته وذوت سكينته فلما فاء إلى الوقار
وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم بحرمة عبادك المقربين
حرم حبسي على المتأدبين ثم قال لذلك الأمين علي به فانطلق
مجدا في طلبه ثم عاد بعد لأي مخبرا بنأيه فقال القاضي أما إنه
لو حضر لكفي الحذر ثم لأوليته ما هو به أولى ولأريته أن الآخرة
خير له من الأولى قال الحارث بن همام فلما رأيت صغو القاضي إليه
وفوت ثمرة التنبيه عليه غشيتني ندامة الفرزدق حين أبان النوار

والكسعي لما استبان النهار

المقامة العاشرة

وتعرف بالرحبية

حكى الحرث بن همام قال هتف بي داعي الشوق إلى رحبة مالك ابن طوق
فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة فلما القيت بها المراسي
وشددت امراسي وبرزت من الحمام بعد تسبيت راسي رايت غلاما
افرغ في قالب الجمال والبس حلة الكمال وقد اعتلق شيخ بردنه
يدعي انه فتك بابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته والخصام بينهما
متطاير الشرار والزحام عليهما يجمع بين الاخيار والاشرار الى ان
تراضيا بعد اشتطاط اللدد بالتنافر الى والي البلد وكان ممن يزن
بالهنات ويغلب حب البنين على البنات فاسرعا الى ندوته كالسليك
في عدوته فلما حضراه جدد الشيخ دعواه فاستنطق الغلام وقد
فتنه بمحاسن غرته وطر عقله بتصفيف طرته فقال انها افيكة افاك
على غير سفاك وعضيهة محتال على من ليس بمغتال فقال الوالي
للشيخ ان شهد لك عدلان من المسلمين والا فاستوف منه اليمين
انه فقال الشيخ انه جدله خاسيا وافاح دمه خاليا فانى لي شاهد
ولم يكن ثم مشاهد ولكن ولني تلقينه اليمين ليبين لك الصدق ام يمين
فقال له انت المالك لذلك مع وجدك المتهالك على ابنك الهالك
فقال الشيخ للغلام قل والذي زين الجباه بالطرر والعيون بالحور
والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والانوف بالشمم

والخدود

والخدود باللهب ؛ والثغور بالشنب ؛ والبنان بالترف ؛ والخصور
بالهيف ؛ إنني لم قتلت ابنك سهوا ولا عمدا ؛ ولا جعلت هامته لسيفي
غمدا ؛ وإلا فرمى الله جفني بالبلج بالعمش ؛ وخدي بالنمش ؛ وطرتي
بالجلح ؛ وطلعي بالبلح ؛ وعرري بالبهار ؛ ومسكتي بالبخار ؛ وبدري
بالمحاق ؛ وفضتي بالاحتراق ؛ وشعاعي بالظلام ؛ ودواتي بالإقلام ؛
فقال الغلام لا الاصطلاء بالبلية ؛ ولا الإيلاء بهذه الألية ؛ ولا الانقياد
للقود ؛ ولا الحلف بما لم يحلف به احد ؛ وأبى الشيخ الا تجريعه اليمين
التي اخترعها ؛ وأمقر له جرعها ؛ ولم يزل التلاحي بينهما يستعر ؛ ومحجة
التراضي تعر ؛ والغلام في ضمن تابيه ؛ يخلب الوالي بتلويه ؛ ويطمعه
في ان يلبيه ؛ إلى ان رأن هواه على قلبه ؛ فالب بلبه ؛ وشول له
الوجد الذي تيمه ؛ والطمع الذي توهمه ؛ ان يخلص الغلام ويستخلصه
وينقذه من حبالة الشيخ ثم يقتنصه ؛ فقال للشيخ هل لك فيما هو
أليق بالأتقى ؛ والأقرب للتقوى ؛ فقال إلام تشير لأقتفيه ؛ ولا أقف
فيه ؛ قال أرى أن تقصر عن القيل والقال ؛ وتقتصر على مائة مثقال ؛
لأتحمل منها بعضا ؛ وأجتني الباقي لك عضا ؛ فقال الشيخ ما مني
خلاف ؛ فلا يكن لوعدك اخلاف ؛ فنقده الوالي عشرين ؛ ووزع على
وذعته تكملة خمسين ؛ ورق ثوب الأصيل ؛ فانقطع لأجله صوب التحصيل
فقال له خذ ما راج ؛ ودع اللجاج ؛ وعلي في غد ان توصل ؛ إلى ان
ينض لك الباقي ويتحصل ؛ فقال الشيخ افعل ذاك ؛ على ان لا ازمه
ليلتي ؛ ويرعاه انسان مقلتي ؛ حتى اذا أعفى بعد اسفار الصبح ؛ بما

يقي من المال الصلح تخلصت قابيته من قوب وبرئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب فقال له الوالي ما أراك سمت شططا ولا رمت فرطا

قال الحارث بن همام فلما رأيت حجج الشيخ السرجية علمت أنه من آل السروجية فلبثت إلى أن زهت نجوم الظلام وانتثرت عقود الزحام ثم قصدت فناء الوالي فإذا الشيخ للفتى كالي فنشدته الله أهو أبو زيد فقال إي ومحل الصيد فقلت من هذا الغلام الذي هفت له الأحلام فقال هو في النسب فرخي وفي المكسب فخي قلت فهلا اكتفيت بمحاسن فطرته وكفيت الوالي الافتتان بطرته فقال لو لم تبرز جبهته السين لما اقتنصت الخمسين ثم قال بت الليلة عندي لنطفئ نار الجوى وننيل الهوى من النوى فقد أجمعت أن أنسل بسحرة وأصلي قلب الوالي نار حسرة قال فقضيت الليلة معه في سمر أنقى من حديقة زهر وخميلة شجر حتى إذا لألأ الأفق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان ركب متن الطريق وأذاق الوالي عذاب الحريق وسلم إلي ساعة الفراق رقعة محكمة الإلصاق وقال ادفعها إلى القاضي إذا سلب القرار وتحقق منا الفرار ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس فإذا مكتوب فيها شعرا

كالحجج

قل لوال غادرته بعد بيني ... نادما سادما يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه ... لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين أعمى هواه ... عينه فانثنى بلا عينين
خفض الحزن يا معنى فما ... يجدي طلاب الأثر بعد عين

ويلين

وَلَئِنْ جَلَّ مَا عَرَاكَ كَمَا ❁ جَلَّ لَدَى الْمُسْلِمِينَ رُزْءُ الْحُسَيْنِ
فَقَدِ اعْتَضْتَ مِنْهُ فَهْمًا ❁ وَحَزْمًا وَاللَّبِيبُ يَبْغِي دَيْنِ
فَاعْصِ مِنْ بَعْدِهَا الْمَطَامِعَ وَا ❁ عْلَمْ أَنَّ صَيْدَ الظِّبَا لَيْسَ بِهَيْنِ
لَا وَلَا كُلُّ طَائِرٍ يَلِجُ الْـ ❁ فَخَّ وَلَوْ كَانَ مُحْدِقًا بِاللُّجَيْنِ
وَكَمْ مَنْ سَعَى لِيَصْطَادَ فَاصْـ ❁ طِيدَ وَلَمْ يَلْقَ غَيْرَ خُفَّيْ حُنَيْنِ
فَتَبَصَّرْهُ وَلَا تَشِمْ كُلَّ بَرْقٍ ❁ رُبَّ بَرْقٍ فِيهِ صَوَاعِقُ حَيْنِ
وَاغْضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِحْ مِنْ غَرَامٍ ❁ تَكْتَسِي فِيهِ ثَوْبَ ذُلٍّ وَشَيْنِ
فَبَلَاءُ الْفَتَى اتِّبَاعُ هَوَى النَّفْسِ ❁ وَبَذْرُ الْهَوَى طُمُوحُ الْعَيْنِ

قَالَ الرَّاوِي فَمَزَّقْتُ رُقْعَتَهُ شَذَرَ مَذَرَ ❁ وَلَمْ أُبَالِ أَعَذَلَ أَمْ عَذَرَ ❁

الْمَقَامَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَ
وَتُعْرَفُ بِالسَّاوِيَّةِ

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ آنَسْتُ مِنْ قَلْبِي الْقَسَاوَةَ ❁ حِينَ حَلَلْتُ سَاوَةَ ❁ فَأَخَذْتُ بِالْخَبَرِ الْمَأْثُورِ ❁ فِي مُدَاوَاتِهَا بِزِيَارَةِ الْقُبُورِ ❁ فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ ❁ وَكِفَاتِ الرُّفَاتِ ❁ رَأَيْتُ جَمْعًا عَلَى قَبْرٍ يُحْفَرُ ❁ وَمَجْنُوزٍ يُقْبَرُ ❁ فَانْحَزْتُ إِلَيْهِمْ مُفَكِّرًا فِي الْمَآلِ ❁ وَمُتَذَكِّرًا مَنْ دَرَجَ مِنَ الْآلِ ❁ فَلَمَّا أُلْحِدَ الْمَيِّتُ ❁ وَفَاتَ قَوْلُ لَيْتَ ❁ أَشْرَفَ شَيْخٌ مِنْ رَبَاوَةٍ ❁ مُتَخَصِّرٌ بِهِرَاوَةٍ ❁ وَقَدْ لَفَّعَ وَجْهَهُ بِرِدَائِهِ ❁ وَنَكَّرَ شَخْصَهُ لِدَهَائِهِ ❁ فَقَالَ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ❁ فَاذَّكِرُوا أَيُّهَا الْغَافِلُونَ ❁ وَشَمِّرُوا أَيُّهَا الْمُقَصِّرُونَ ❁ وَأَحْسِنُوا النَّظَرَ أَيُّهَا الْمُتَبَصِّرُونَ ❁ مَا لَكُمْ لَا يَحْزُنُكُمْ دَفْنُ الْأَتْرَابِ ❁ وَلَا يَهُولُكُمْ هَيْلُ التُّرَابِ ❁ وَلَا تَعْبَأُونَ بِنَوَازِلِ الْأَحْدَاثِ ❁ وَلَا تَسْتَعِدُّونَ لِنُزُولِ الْأَجْدَاثِ

ولا تستعبرون لعين تدمع • ولا تعتبرون بنعي يسمع • ولا ترتاعون لإلف يفقد • ولا تلتاعون لمناحة تعقد • يشيع أحدكم نعش الميت • وقلبه تلقاء البيت • ويشهد مواراة نسيبه • وفكره في استخلاص نصيبه • ويخلي بين ودوده ودوده • ثم يخلو بمزماره وعوده • طالما أسيتم على انثلام الحبة • وتناسيتم اخترام الأحبة • واستكنتم لاعتراض العسرة • واستهنتم بانقراض الأسرة • وضحكتم عند الدفن • ولا ضحككم ساعة الزفن • وتبخترتم خلف الجنائز • ولا تبختركم يوم قبض الجوائز • وأعرضتم يوم تعديد النوادب • إلى إعداد المآدب • وعن تحرق الثواكل • إلى التأنق في المآكل • ولا تبالون بمن هو هالك • ولا تخطرون ذكر الموت ببال • حتى كأنكم قد علقتم من الحمام بذمام • أو حصلتم من الزمان على أمان • أو وثقتم بسلامة الذات • أو تحققتم مسالمة هادم اللذات • كلا ساء ما تتوهمون • ثم كلا سوف تعلمون • ثم

• انشد •

أيا من يدعي الفهم • إلى كم يا أخا الوهم • تعبي الذنب والذم • وتخطي الخطأ الجم

أما بان لك العيب • أما أنذرك الشيب • وما في نصحه ريب • ولا سمعك قد صم

أما نادى بك الموت • أما أسمعك الصوت • أما تخشى من الفوت • فتحتاط وتهتم

فكم تسدر في السهو • وتختال من الزهو • وتنصب إلى اللهو • كأن الموت ما عم

وحتام تجافيك • وإبطاء تلافيك • طباعا جمعت فيك • عيوبا شملها انضم

إذا أسخطت مولاك • فما تقلق من ذاك • وإن أخفق مسعاك • تلظيت من الهم

وإن لاح لك النقش • من الأصفر تهتش • وإن مر بك النعش • تغاممت ولا غم

تعاصي الناصح البر • وتعتاص وتزور • وتنقاد لمن غر • ومن مان ومن نم

وتسو

وتسعى في هوى النفس ؛ وتحتال على الفلس ؛ وتنسى ظلمة الرمس ؛ ولا تذكر ما ثم
ولو لاحظك الحظ ؛ لما طاح بك اللحظ ؛ وما كنت إذا الوعظ ؛ جلا الأحزان تغتم
ستذري الدم لا الدمع ؛ إذا عاينت لا جمع ؛ يقي في عرصة الجمع ؛ ولا خال ولا عم
كأني بك تنحط ؛ إلى اللحد وتنغط ؛ وقد أسلمك الرهط ؛ إلى أضيق من سم
هناك الجسم ممدود ؛ ليستأكله الدود ؛ إلى أن ينخر العود ؛ ويمسي العظم قد رم
ومن بعد فلا بد ؛ من العرض إذا اعتد ؛ صراط جسره مد ؛ على النار لمن أم
فكم من مرشد ضل ؛ ومن ذي عزة ذل ؛ وكم من عالم زل ؛ وقال الخطب قد طم
فبادر أيها الغمر ؛ لما يحلو به المر ؛ فقد كاد يهي العمر ؛ وما أقلعت عن ذم
ولا تركن إلى الدهر ؛ وإن لان وإن سر ؛ فتلفى كمن اغتر ؛ بأفعى تنفث السم
وخفض من تراقيك ؛ فإن الموت لاقيك ؛ وسار في تراقيك ؛ وما ينكل إن هم
وجانب صعر الخد ؛ إذا ساعدك الجد ؛ وزم اللفظ إن ند ؛ فما أسعد من زم
ونفس عن أخي البث ؛ وصدقه إذا نث ؛ ورم العمل الرث ؛ فقد أفلح من رم
ورش من ريشه انحص ؛ بما عم وما خص ؛ ولا تأس على النقص ؛ ولا تحرص على اللم
وعاد الخلق الرذل ؛ وعود كفك البذل ؛ ولا تستمع العذل ؛ ونزهها عن الضم
وزود نفسك الخير ؛ ودع ما يعقب الضير ؛ وهيئ مركب السير ؛ وخف من لجة اليم
بذا أوصيت يا صاح ؛ وقد بحت كمن باح ؛ فطوبى لفتى راح ؛ بآدابي يأتم

ثم حسر ردنه على ساعد شديد الأسر ؛ قد شد عليه جبائر المكر لا الكسر ؛ متعرضا للاستماحة ؛ في معرض الوقاحة ؛ فاختلب به أولئك الملأ ؛ حتى انتزع كمه وملأ ؛ ثم انحدر من الربوة ؛ جذلا بالحبوة ؛ قال الراوي فجاذبته من ورائه ؛ حاشية ردائه ؛ فالتفت إلي مستسلما ؛ وواجهني

مُسْلِمًا فَاذَا هُوَ شَيْخُنَا ابُوزَيْدٍ بِعَيْنِهِ وَمَيْنِهِ فَقُلْتُ لَهُ اِلَى كَمْ يَا اَبَا زَيْدٍ
اَفَانِينُكَ فِي الْكَيْدِ لِيَنْحَاشَ لَكَ الصَّيْدُ وَلَا تَعْبَأُ بِمَنْ ذَمَّ
فَاَجَابَ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْيَاءٍ وَلَا ارْتِيَاءٍ وَقَالَ

تَبَصَّرْ وَدَعِ اللَّوْمَ وَقُلْ لِي هَلْ تَرَى الْيَوْمَ فَتًى لَا يَقْمُرُ الْقَوْمَ مَتَى مَا دَسْتُهُ تَمَّ

فَقُلْتُ لَهُ بُعْدًا لَكَ يَا شَيْخَ النَّارِ وَدَرَنَ الْعَارِ فَمَا مِثْلُكَ فِي طَلَاوَةِ عَلَانِيَتِكَ وَخُبْثَةِ نِيَّتِكَ اِلَّا مِثْلُ رَوْثٍ مُفَضَّضٍ اَوْ كَنِيفٍ مُبَيَّضٍ ثُمَّ تَفَرَّقْنَا فَانْطَلَقْتُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَانْطَلَقَ ذَاتَ الشِّمَالِ وَنَاوَحْتُ مَهَبَّ الْجَنُوبِ وَنَاوَحَ مَهَبَّ الشَّمَالِ

الْمَقَامَةُ الثَّانِيَةَ عَشَرَ
وَتُعْرَفُ بِالدِّمَشْقِيَّةِ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ شَخَصْتُ عَنِ الْعِرَاقِ اِلَى الْغُوطَةِ وَاَنَا ذُو جُرْدٍ مَرْبُوطَةٍ وَجِدَةٍ مَغْبُوطَةٍ يُلْهِينِي خُلُوُّ الذَّرْعِ وَيَزْدَهِينِي حُفُولُ الضَّرْعِ فَلَمَّا بَلَغْتُهَا بَعْدَ شِقِّ النَّفْسِ وَاِنْضَاءِ الْعَنْسِ اَلْفَيْتُهَا كَمَا تَصِفُهَا الْاَلْسُنُ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْاَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْاَعْيُنُ فَشَكَرْتُ يَدَ النَّوَى وَجَرَيْتُ طَلْقًا مَعَ الْهَوَى وَطَفِقْتُ اَفُضُّ بِهَا خُتُومَ الشَّهَوَاتِ وَاَجْتَنِي قُطُوفَ اللَّذَّاتِ اِلَى اَنْ شَرَعَ سَفْرٌ فِي الْاِعْرَاقِ فَعَادَنِي عِيدٌ مِنْ تَذْكَارِ الْوَطَنِ وَالْحَنِينِ اِلَى الْعَطَنِ فَقَوَّضْتُ خِيَامَ الْغَيْبَةِ وَاَسْرَجْتُ جَوَادَ الْاَوْبَةِ وَلَمَّا تَاَهَّبَ الرِّفَاقُ وَاسْتَتَبَّ الْاِتِّفَاقُ اَبَيْنَا الْمَسِيرَ دُونَ اسْتِصْحَابِ الْخَفِيرِ فَرُدْنَاهُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَاَعْمَلْنَا فِي تَحْصِيلِهِ اَلْفَ حِيلَةٍ فَاَعْوَزَ وِجْدَانُهُ فِي الْاَحْيَاءِ حَتَّى خِلْنَا اَنَّهُ لَيْسَ مِنَ

وقتا سقطت من الاعناق

الاحيا

الأحياء فحارت لفقده عزوم السيارة وانتدوا لباب جيرون للاستشارة
فما زالوا بين عقد وحل وتزر وحل إلى أن نفد التناجي وقنط الراجي
وكان حذتهم شخص ميسمه ميسم الشبان ولبوسه لبوس الرهبان
وبيده سبحة النسوان وفي عينيه ترجمة النشوان وقد قيد لحظه
بالجمع وأرهف أذنه لاستراق السمع فلما أنى انكفاؤهم وقد برح به
خفاؤهم قال لهم يا قوم ليفرخ كربكم وليأمن سربكم فسأخفركم بما
يسري روعكم ويبدي طوعكم قال الراوي فاستطلعنا منه طلع الخفارة
واستنبأنا الجعالة له عن السفارة فزعم أنها كلمات لقنها في المنام ليحترس
بها من كيد الأنام فجعل بعضنا يومض إلى بعض ويقلب طرفه بين لحظ
وغض وتبين له أنا استضعفنا الخبر واستشعرنا الخور فقال ما لكم اتخذتم
جدي عبثا وجعلتم تبري خبثا ولطالما والله جبت مخاوف الأقطار
وولجت مقاحم الأخطار فغنيت بها عن مصاحبة خفير واستصحاب
جفير ثم إني سأنفي ما رابكم وأستسل الحذر الذي نابكم بأن أوافقكم في
البداوة وأرافقكم في السماوة فإن صدقتكم وعدي فأجدوا سعدي
وأسعدوا جدي وإن كذبكم فمي فمزقوا أدمي وأريقوا دمي قال الحرث
بن همام فألهمنا تصديق رؤياه وتحقيق ما رواه فنزعنا عن مجادلته
واستهمنا على معادلته ونصمنا بقوله عرى الرايث وألغينا اتقاء العابث
والعائث ولما أحكمت الرحال وأزف الترحال استنزلنا كلماته الراقية
لنجعلها الواقية الباقية فقال ليقرأ كل منكم أم القرآن كلما أظل الملوان
ثم ليقل بلسان خاضع وصوت خاشع اللهم يا محيي الرفات ويا دافع

الآفات ويا واقي المخافات ويا كريم المكافات ويا موئل العفاة ويا ولي
العفو والمعافاة صل على محمد خاتم انبيائك ومبلغ أنبائك وعلى
مصابيح أسرته ومفاتيح نصرته واعذني من نزغات الشياطين ونزوات
السلاطين واعنات الباغين ومعات الطاغين ومعادات العادين
وعدوان المعادين وغلب الغالبين وسلب السالبين واجرني اللهم
من جور المجاورين ومجاورة الجائرين وسطوة الجبارين وكف عني اكف
الضائمين واجزني من ظلمات الظالمين وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
اللهم حطني في تربتي وغربتي وغيبتي واوبتي ونجعتي ورجعتي وتصرفي
ومنصرفي وتقلبي ومنقلبي واحفظني في نفسي ونفائسي وعرضي وعرضي
وعددي وعددي وسكني ومسكني وحوطي وحالي ومالي ومآلي ولا
تلحق بي تغييرا ولا تسلط على مغيرا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
اللهم احرسني بعينك وعونك واخصصني بأمنك ومنك وتولني
باختيارك وخيرك ولا تكلني الى كلاءة غيرك وهب لي عافية غير عافية
وارزقني رفاهية غير واهية واكفني مخاوف اللأواء واكفني بغواشي واكتنفني
الآلاء ولا تظفر بي اظفار الاعداء انك سميع الدعاء ثم اطرق لا يدير لحظا
ولا يحير لفظا حتى قلنا قد ابلسته خشية او اخرسته غشية ثم اقنع
راسه وصعد انفاسه وقال اقسم بالسماء ذات الابراج والارض
ذات الفجاج والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر العجاج والهواء
العجاج انها لمن ايمن العوذ واغنى عنكم من لابس الخوذ من درسها
عند ابتسام الفلق لم يشفق من خطب الى الشفق ومن ناجى بها طليعة
الغسق

الفسق أمن ليلته من السرق ۝ قال فلقناها حتى أتقناها ۝ وتدارسناها
لكيلا ننساها ۝ ثم سرنا نزجي الحمولات ۝ بالدعوات لا بالحداة ۝ ونحمي
الحمولات بالكلمات ۝ لا بالكماة ۝ وصاحبنا يتعهد بالعشي والغداة
ولا يستنجز منا العدات ۝ حتى إذا أعيانا أطلال عانة ۝ قال لنا الإعانة
فأحضرناه المعلوم والمكتوم ۝ وأريناه المعلوم والمختوم ۝ وقلنا له
اقض ما أنت قاض ۝ فما فينا تجد غير راض ۝ فما استخفه سوى الخف ۝
ولا حلي بعينه غير العين ۝ فاحتمل منهما وقره ۝ وناء بما يسد فقره
ثم خالسنا مخالسة الطرار ۝ وانفلت منا انفلات الفرار ۝ فأوحشنا
فراقه وأدهشنا امراقه ۝ ولم نزل ننشده بكل ناد ۝ ونستخبر عنه كل
غاد وهاد ۝ إلى أن قيل إنه مذ دخل عانة ۝ ما زايل الحانة ۝ فأغراني خبث
هذا القول بسبكه ۝ والانسلاك فيما لست من سلكه ۝ فادلجت إلى
الدسكرة في هيئة منكرة ۝ فإذا الشيخ في حلة ممصرة ۝ بين دنان ومعصرة
وحوله سقاة تبهر ۝ وشموع تزهر ۝ وآس وعبهر ۝ ومزمار ومزهر
وهو تارة يستبزل الدنان ۝ وطورا يستنطق العيدان ۝ ودفعة يستنشق
الريحان ۝ وأخرى يغازل الغزلان ۝ فلما عثرت على لبسه ۝ وتفاوت
يومه من أمسه ۝ قلت له أولى لك يا ملعون ۝ أأنسيت يوم جيرون ۝

۝ فضحك مستغربا ۝ وأنشد مطربا ۝

لزمت السفار ۝ وجبت القفار ۝ وعفت النفار ۝ لأجني الثمار
وخضت السيول ۝ ورضت الخيول ۝ لجر ذيول ۝ الصبى والمرح
ومطت الوقار ۝ وبعت العقار ۝ لحسو العقار ۝ ورشف القدح

ولولا الطماح • الى شرب راح • لما كان باح • فمي بالملح
ولا كان ساق • دهاه الرفاق • لارض العراق • بحملي السبح
ولا تغضبن • ولا تضجرن • ولا تعتبن • فعذري وضح
ولا تعجبن • لشيخ ابن • لمغنى اغن • ودن طفح
فان المدام • تقوي العظام • وتشفي السقام • وتنفي الترح
واصفى السرور • اذا ما الوقور • اماط ستور • الحيا واطرح
واحلى الغرام • اذا المستهام • ازال اكتتام • الهوى وافتضح
فبح بهواك • وبرد حشاك • فزند اساك • به قد قدح
وداو الكلوم • وسل الهموم • ببنت الكروم • التي تقترح
وخص الغبوق • بساق يسوق • بلاء المشوق • اذا ما طمح
وشاد يشيد • بصوت تميد • جبال الحديد • له ان صدح
وعاص النصيح • الذي لا يبيح • وصال المليح • اذا ما سمح
وجل في المحال • ولو بالمحال • ودع ما يقال • وخذ ما صلح
وفارق اباك • اذا ما اباك • ومد الشباك • وصد من سنح
وصاف الخليل • وناف البخيل • واول الجميل • ووال المنح
ولذ بالمتاب • امام الذهاب • فمن دق باب • كريم فتح

فقلت له بخ بخ لروايتك • واف وتف لغوايتك • فبالله من اي الاعياص عيصك • فقد اعضلني عويصك • فقال ما احب ان افصح عني ولكني ساكني وانشد

انا ظرفة الزمان • واعجوبة الامم • وانا الحول الذي • احتال في العرب والعجم
غير اني ابن حاجة • هاضه الدهر واهتضم • وابو صبية بدوا • مثل لحم على وضم
• واخو العيلة المعيل • اذا احتال لم يلم •

قال الراوي فعرفتُ حينئذٍ انّه ذو الرَّيب والعيب، ومسوِّدُ وجهِ الشيب، وساءني عظمُ تمرّده، وقبحُ تورّده، فقلتُ له بلسان الأنَفة، وإدلال المعرفة، ألم يأنِ لك يا شيخنا ان تقلع عن الخنا، فتضجّر وزمجر، وتنكّر وفكّر، ثمّ قال انها ليلة مراحٍ لا تلاح، ونهزة شرب راحٍ لا كفاح، فعُدْ عمّا بدا، الى ان نتلاقى غدا، ففارقته فرقاً من عربدته، لا تعلّقاً بعِدَته، وبتُّ ليلتي لابساً حداد الندم، على نقلي خطى القدم، الى ابنة الكرم لا الكرم، وعاهدتُ الله سبحانه، الّا احضرَ بعدها حانةَ نبّاذٍ، ولو أُوتيتُ مُلكَ بغداذ، والّا اشهد معصرة الشراب، ولو رُدّ عليّ عصر الشباب، ثمّ انّا رحّلنا العيس، وقت التغليس، وخلّفنا بين الشيخين، أبي زيدٍ وأبليس

المقامة الثالثة عشر

وتعرف بالبغدادية

روى الحارث بن همّام قال ندوتُ بضواحي الزوراء، مع مشيخةٍ من الشعراء، لا يعلق لهم مبارٍ بغبار، ولا يجري معهم ممارٍ في مضمار، فأفضنا في حديثٍ يفضح الأزهار، الى ان نصفنا النهار، فلمّا غاض درُّ الأفكار، وصبت النفوس الى الأوكار، لمحنا عجوزاً تقبل من البعد، وتحضر إحضار الجُرْد، وقد استتلت صبيةً أنحفَ من المغازل، وأضعف من الجوازل، فما كذّبت اذ رأتنا، ان عرتنا، حتى اذا حضرتنا، قالت حيّا الله المعارف، وان لم يكنّ عوارف، اعلموا يا آمال الآمل، وثمال الأرامل، انّي من سروات القبائل، وسريّات العقائل، لم يزل اهلي وبعلي يحلّون الصدر، ويسيّرون القلب، ويمطون الظهر، ويولون اليد فلمّا أردى

الدهر الأعضاد، وفجع بالجوارح، وانقلب ظهرا لبطن، نبا الناظر وجفا
الحاجب، وذهبت العين، وفقدت الراحة، وصلد الزند، ووهنت
اليمين، وبانت المرافق، ولم يبق لنا ثنية ولا ناب، فمذ اغبر العيش
الأخضر، وازور المحبوب الأصفر، اسود يومي الأبيض، وابيض فودي
الأسود، حتى رثى لي العدو الأزرق، فحبذا الموت الأحمر، وتلوي من
ترون عينه فراره، وترجمانه اصفراره، قصوى بغية أحدهم بردة،
وقصارى أمنيته بردة، وكنت آليت ألا أبذل الحر، إلا للحر، ولو أني مت
من الضر، وقد ناجتني القرونة، بأن توجد عندكم المعونة، وآذنتني
فراسة الحوباء، بأنكم ينابيع الحباء، فنضر الله امرأ أبر قسمي، وصدق
توسمي، ونظر إلي بعين يقذيها الجمود، ويقذيها الجود. قال الراوي
فهمنا لبراعة عبارتها، وملح استعارتها، وقلنا لها قد فتن كلامك
فكيف إلحامك، فقالت يفجر الصخر، ولا فخر، فقلنا إن جعلتنا من رواتك
لم نبخل بمواساتك، فقالت لأرينكم شعاري، ثم لأروينكم أشعاري،
فأبرزت ردن درع دريس، وبرزت برزة عجوز درديس، وأنشأت

أشكو إلى الله اشتكاء المريض ۞ ريب الزمان المتعدي البغيض
يا قوم إني من أناس غنوا دهرا ۞ وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع ۞ وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا إذا ما نجعة أعوزت ۞ في السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم ۞ ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا ولا ۞ لروع قال حال الجريض

فغيض

تضيفت منهم صروف الردى ❊ بحار جود لم أخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى ❊ أسد التحامي وأساة المريض
فحملي بعد المطايا المطا ❊ وموطني بعد البقاع الحضيض
وأفرخي ما تأتلي تشتكي بؤسا ❊ له في كل يوم وميض
إذا دعا القانت في ليله ❊ مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب في عشه ❊ وجابر العظم الكسير المهيض
أتح لنا اللهم من عرضه ❊ من دنس الذم نقي رحيض
يطفي صرى الجوع عنا ولو ❊ بمذقة أو حازر أو مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم ❊ ويغنم الشكر الطويل العريض
فوالذي تعنو النواصي له ❊ يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاهم لم تبد لي صفحة ❊ ولا تصديت لنظم القريض

قال الراوي لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب ❊ واستخرجت خبايا الجيوب ❊ حتى ماحها من دينه الارتياح ❊ وارتاح لرفدها من لم يخله يرتاح ❊ فلما افعوعم جيبها تبرا ❊ وأولاها كل منا برا ❊ تولت يتلوها الأصاغر ❊ وفوها بالشكر فاغر ❊ فاشرأبت الجماعة بعد ممرها إلى سبرها ❊ لتبلو مواقع برها ❊ فكلفتني لهم باستنباط السر المرموز ❊ ونهضت أقفو أثر العجوز ❊ حتى انتهت إلى سوق مغتصة بالأنام ❊ مختصة بالزحام ❊ فانغمست في الغمار ❊ واملست من الصبية الأغمار ❊ ثم عاجت بخلو بال ❊ إلى مسجد خال ❊ فأماطت الجلباب ❊ ونضت النقاب ❊ وأنا ألمحها من خصاص الباب ❊ وأرقب ما سيبدي من

العجاب فلما أسفرت ابنة الفجر رأيت محيا أبي زيد قد سفر فهممت بأن أهجم عليه لأعنفه على أجرى إليه فاستلقى استلقاء المتمردين ثم رفع عقيرة المغردين وظل ينشد

يا ليت شعري أدهري ۞ أحاط علما بقدري
وهل درى كنه غوري ۞ في الخدع أم ليس يدري
كم قد قمرت بنيه ۞ بحيلتي وبمكري
وكم برزت بعرف ۞ عليهم وبنكر
أصطاد قوما بوعظ ۞ وآخرين بشعر
وأستفز بخل ۞ عقلا وعقلا بخمر
وتارة أنا صخر ۞ وتارة أخت صخر
ولو سلكت سبيلا ۞ مألوفة طول عمري
لخاب قدحي وقدري ۞ ودام عسري وخسري
فقل لمن لام هذا ۞ عذري فدونك عذري

قال الحارث بن همام فلما ظهرت على جلية أمره وبديعة أمره وما زخرف في شعره من عذره علمت أن شيطانه المريد لا يسمع التفنيد ولا يفعل إلا ما يريد فثنيت إلى أصحابي عناني وأبثثتهم ما أثبته عياني فتوجعوا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز

المقامة الرابعة عشر

وتعرف بالمكية

حكى الحارث بن همام قال نهضت من مدينة السلام لحجة الإسلام فلما

فقضيت

التتمة

قضيت بعون الله التفث ۝ واستبحت الطيب والرفث ۝ صادف موسم
الخيف معمعان الصيف ۝ فاستظهرت للضرورة ۝ بما يقي حر الحرورة ۝ فبينما
انا تحت طراف ۝ مع رفقة ظراف ۝ وقد حمي وطيس الحصباء ۝ واعشى الهجير
عين الحرباء ۝ اذ هجم علينا شيخ متسعسع ۝ يتلوه فتى مترعرع ۝ فسلم الشيخ
تسليم اديب اريب ۝ وحاور محاورة قريب لا غريب ۝ فاعجبنا بما
نشر من سمطه ۝ وعجبنا من انبساطه قبل بسطه ۝ وقلنا له ما انت
وكيف ولجت ۝ وما استاذنت فقال اما انا فعاف ۝ وطالب اسعاف ۝ وسر
ضري غير خاف ۝ والنظر الي شفيع كاف ۝ واما الانسياب الذي علق به
الارتياب فما هو بعجاب ۝ اذ ما على الكرما من حجاب ۝ فسالناه اني اهتدى
الينا ۝ وبم استدل علينا ۝ فقال ان للكرم نشرا تنم نفحاته ۝ وترشد
الى روضه فوحاته ۝ فاستدللت بتارج عرفكم ۝ على تبلج عرفكم ۝ وبشرني
تضوع رندكم ۝ بحسن المنقلب من عندكم ۝ فاستخبرناه حينئذ عن لبانته
ليكفل باعانته ۝ فقال ان لي ماربا ۝ ولفتاي مطلبا ۝ فقلنا كلا المرامين
سيقضى ۝ وكلاكما سوف يرضى ۝ ولكن الكبرى الكبرى ۝ فقال اجل ومن
دحا السبع الغبر ۝ ثم وثب للمقال ۝ كالمنشط من العقال ۝ وانشد

اني امرؤ ابدع بي ۝ بعد الوجا والتعب ۝ وشقتي شاسعة ۝ يقصر عنها خببي
وما معي خردلة ۝ مطبوعة من ذهب ۝ فحيلتي منسدة ۝ وحيرتي تلعب بي
ان ارتحلت راجلا ۝ خفت دواعي العطب ۝ وان تخلفت عن الـ ۝ رفقة ضاق مذهبي
فزفرتي في صعد ۝ وعبرتي في صبب ۝ وانتم منتجع الـ ۝ راجي ومرمى الطلب
لهاكم منهلة ۝ ولا انهلال السحب ۝ وجاركم في حرم ۝ ووفركم في حرب

مالاذ مرتاعٌ بكم ❊ فخاف نابَ النُّوَبِ ❊ ولا استدرّ أملٌ ❊ حباكم فما حُبي
فانعطفوا في قصّتي ❊ وأحسنوا منقلبي ❊ فلو بلوتم عيشتي ❊ في مطعمي ومشربي
لساءكم ضرّي الذي ❊ أسلمني للكرب ❊ ولو خبرتم حسبي ❊ ونسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي ❊ من العلوم النُّجُب ❊ لما اعترتكم شبهةٌ ❊ في أنّ دائي أدبي
فليت أنّي لم ارضعت ❊ ثدي الأدب ❊ فقد دهاني شؤمه ❊ وعقّني فيه أبي
فقلنا له أمّا أنت فقد صرّحت أبياتك ❊ بفاقتك ❊ وعطب ناقتك ❊ وسنمطيك ما
يوصلك إلى بلدك ❊ فما مأربة ولدك ❊ فقال له قم يا بنيّ كما قام أبوك ❊
وفُهْ بحوائجك لا فُضّ فوك ❊ فنهض الفتى نهوض البطل للبراز ❊ وأصلت
لسانًا كالعضب الجُراز ❊ وأنشد يقول

يا سادةً في المعالي ❊ لهم مبانٍ مشيّده
ومن إذا ناب خطبٌ ❊ قاموا بدفع المكيده
ومن يهون عليهم ❊ بذل الكنوز العتيده
أريد منكم شِواءً ❊ وجردقًا وعصيده
فإن غلا فرقاقٌ ❊ به توارى الشهيده
أو لم يكن ذا ولا ذا ❊ فتشبعةٌ من ثريده
فإن تعذّرن طرًّا ❊ فنجوةٌ ونهيده
فاحضروا ما تسنّى ❊ ولو نشطًا من قديده
وروّجوه بنفسي ❊ لما يروق مريده
والزاد لا بدّ منه ❊ لرحلتي البعيده
وأنتم خير رهطٍ ❊ يُدعون عند الشديده

ايعيكم

ايديكم كل يوم ∴ لها ايادٍ جديده
وراحكم واصلات ∴ تشمل الصلات المفيده
وبغيتي في مطاوي ∴ ما ترفدون زهيده
وفي اجرٍ وعقبى ∴ تنفيس كربي حميده
ولي نتائج فكرٍ ∴ يفضحن كل قصيده

قال الحرث بن همام ∴ فلما رأينا الشبل يشبه الاسد ∴ ارحلنا الوالد وزودنا الولد ∴ فقابلا الصنع بشكرٍ نشرا ارديته ∴ وأديا به ديته ∴ ولما عزما على الانطلاق ∴ وعقدا للرحلة حبك النطاق ∴ قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب ∴ او بقيت حاجة في نفس يعقوب ∴ فقال حاش لله وكلا ∴ بل جل معروفكم وحلا ∴ فقلت له فدنا كما دناك ∴ وأبدنا كما افدناك ∴ اين الدويرة ∴ فقد ملكتنا فيك الحيرة ∴ فتنفس تنفس من ادّكر اوطانه ∴ وانشد والتشهيق يلعثم لسانه

سروج داري ولكن ∴ كيف السبيل اليها
وقد اناخ الاعادي ∴ بها واخنوا عليها
فوالتي سرت ابغي ∴ حط الذنوب لديها
ما راق طرفي شيء ∴ مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع ∴ وآذنت مدامعه بالهموع ∴ فكره ان يستوكفها ولم يملك ان يكفكفها ∴ فقطع انشاده المستحلى ∴ واوجز في الوداع وولى ∴

المقامة الخامسة عشر

اخبر الحرث بن همام قال ارقت ذات ليلة حالكة الجلباب ۞ هامية الرباب
ولا ارق صب طرد عن الباب ۞ ومني بصد الاحباب ۞ فلم تزل الافكار يهجن
همي ۞ ويجلن في الوساوس وهمي ۞ حتى تمنيت لمضض ما عانيت ۞ ان ارزق
سميرا من الفضلاء ۞ ليقصر طول ليلتي الليلاء ۞ فما انقضت منيتي ۞ ولا اغمضت
مقلتي ۞ حتى قرع الباب قارع ۞ له صوت خاشع ۞ فقلت في نفسي لعل
غرس التمني قد اثمر ۞ وليل الحظ قد اقمر ۞ فنهضت اليه عجلان ۞ وقلت
من الطارق الآن ۞ فقال غريب اجنه الليل ۞ وغشيه السيل ۞ ويبتغي
الايواء لا غير ۞ واذا اسحر قدم السير ۞ فلما دل شعاعه على شمسه ۞ ونم
عنوانه بسر طرسه ۞ علمت ان مسامرته غنم ۞ ومساهرته نعم ۞ ففتحت
الباب بابتسام ۞ وقلت ادخلوها بسلام ۞ فدخل شخص قد حنى الدهر
صعدته ۞ وبل القطر بردته ۞ فحيا بلسان عضب ۞ وبيان عذب ۞ ثم شكر
على تلبية صوته ۞ واعتذر من الطروق في غير وقته ۞ فدانيته بالمصباح
المتقد ۞ وتاملته تامل المنتقد ۞ فالفيته شيخنا ابا زيد بلا ريب ۞ ولا رجم
غيب ۞ فاحللته محل من اظفرني بقصوى الطلب ۞ ونقلني من وقذ الكرب الى
روح الطرب ۞ ثم اخذ يشكو الاين ۞ واخذت في كيف واين ۞ فقال ابلعني
ريقي ۞ فقد اتعبني طريقي ۞ فظننته مستبطنا جيا السغب ۞ متكاسلا لهذا
السبب ۞ فاحضرته ما يحضر للضيف المفاجي ۞ في الليل الداجي ۞ فانقبض
انقباض المحتشم ۞ واعرض اعراض البشم ۞ فسؤت ظنا بامتناعه ۞ واحفظني

حوول

حوول طباعه حتى كدت اغلظ له في الكلام والسعه بحمة الملام فتبين
من لمحات ناظري ما خامر خاطري فقال يا ضعيف الثقة باهل المقة عد
ما اخطرته في بالك واستمع الى لا ابا لك فقلت هات يا اخا الترهات فقال
اعلم اني بت البارحة حليف افلاس ونجي وسواس فلما تقضى الليل نحبه
وغور الصبح شهبه غدوت وقت الاشراق الى بعض الاسواق متصديا لصيد
يسنح او حر يسمح فلحظت بها تمرا قد حسن تصفيفه واحسن اليه مصيفه
فجمع على التحقيق صفا الرحيق وقنوا العقيق وقابلته لبا قد برز كالابريز
الاصفر وانجلى في اللون المزعفر فهو يثني على طاهيه بلسان تناهيه ويومي
الى مشتريه ولو نقد حبة القلب فيه فاسرتني الشهوة باشطانها واسلمتني
العيمة الى سلطانها فبقيت احير من ضب واذهل من صب ولا وجد يوصلني
الى نيل المراد ولذة الازدراد ولا قدم تطاوعني على الذهاب مع حرقة الالتهاب
لكن حدا بي القرم وسورته والسغب وفورته على ان انتجع كل ارض واقتنع
من الورد ببرض فلم ازل سحابة ذلك النهار ادلي دلوي الى الانهار
وهي لا ترجع ببلة ولا تجلب نقع غلة الى ان صغت الشمس للغروب وضعفت
النفس من اللغوب فرحت بكبد حرا وانثنيت اقدم رجلا واوخر اخرى وبينما
انا اسعى وانقد واهب واركد اذ قال لي شيخ يتاوه اهة الثكلان وعيناه
تهملان فشغلني ما انا فيه من دا الذيب والخوى المذيب عن تعاطي مداخلته
والطمع في مخاتلته فقلت له يا هذا ان لبكائك لسرا وورا تحرقك لشرا
فاطلعني على برحائك واتخذني من نصحائك فانك ستجد مني طبا آسيا
او عونا مواسيا فقال والله ما تاوهي لعيش فات ولا من دهر افتات

بل لانقراض العلم ودروسه • وأفول أقماره وشموسه • فقلت وأيّ حادثة
نجمت • وقضيّة استبهمت • حتى هاجت لك الأسف • على فقد من سلف فأبرز
رقعة من كمّه • وأقسم بأبيه وأمّه • لقد أنزلها بأعلام المدارس • فما امتازوا
عن الأعلام الدوارس • واستنطق لها أحبار المحابر • فخرسوا ولا سكّان
المقابر • فقلت أرنيها لعلّي أغني فيها • فقال ما أبعدت في المرام • فربّ
رمية من غير رام • ثم ناولنيها • فإذا مكتوب فيها

أيها العالم الفقيه الذي • فاق ذكا فما له من شبيه
أفتنا في قضية حار عنها • كل قاضٍ وحار كل فقيه
رجل مات عن أخ مسلم • حرّ تقيّ من أمه وأبيه
وله زوجة لها أيها الـ • حبر أخ خالص بلا تمويه
فحوت فرضها وحاز أخوها • ما تبقّى بالإرث دون أخيه
فاشفنا بالجواب عمّا سألنا • فهو نصّ لا خلف فيه

فلمّا قرأت شعرها • ولمحت سرّها • قلت على الخبير بها سقطت • وعند ابن
بجدتها حططت • إلّا أنّي مضطرم الأحشاء • مضطرّ إلى العشاء • فأكرم
مثواي • ثم استمع فتواي • فقال لقد أنصفت في الاشتراط • وتجافيت
عن الاشتطاط • فسر معي إلى ربعي • لتظفر بما تبتغي • وتنقلب كما ينبغي
قال فصاحبته إلى ذراه • كما حكم الله • فأدخلني بيتاً أحرج من
التابوت • وأوهن من بيت العنكبوت • إلّا أنّه جبر ضيق ربعه • بتوسعة
ذرعه • فحكّمني في القرى • وأطايب ما يشترى • فقلت أريد أزهى
راكب على أشهى مركوب • وأنفع صاحب مع أضرّ مصحوب • فأنكر

ساعة

ساعة طويلة ثم قال لعلك تعنى بنت نخيلة مع لباس حيلة فقلت
إياهما عنيت ولأجلهما تعنيت فنهض نشيطا ثم ربض مستشيطا
وقال اعلم أصلحك الله أن الصدق نباهة والكذب عاهة فلا
تحملنك الجوع الذي هو شعار الأنبياء وحلية الأولياء على أن تلحق
بمن مان وتتخلق بالخلق الذي يجانب الإيمان فقد تجوع الحرة ولا
تاكل بثدييها وتأبى الدنية ولو اضطرت إليها ثم أني لست لك
بزبون ولا أغضي على صفقة مغبون وها أنا قد أنذرتك قبل أن
ينهتك الستر وينعقد بيننا الوتر فلا تلغ تدبر الإنذار وحذار
من المكاذبة حذار فقلت والذي حرم أكل الربا وأحل أكل اللبا
ما فهت بزور ولا دليتك بغرور وستخبر حقيقة الأمر وتحمد
بذل اللبا والتمر فهش هشاشة المصدوق وانطلق مغذا إلى
السوق فما كان بأسرع من أن أقبل بهما يدلح ووجهه من التعب يكلح
فوضعهما لدى ووضع المنة على وقال اضرب الجيش بالجيش
تحظ بلذة العيش فحسرت عن ساعد النهم وحملت حملة الفيل الملتهم
وهو يلحظني كما يلحظ الحنق ويود من الغيظ لو أختنق حتى إذا التهمت
النوعين وغادرتهما أثرا بعد عين أفردت حيرة في إظلال البيات
وفكرة في جواب الأبيات فما لبث أن قام وأحضر الدواة والأقلام
وقال قد ملأت الجراب فأمل الجواب وإلا فتهيأ إن نكلت لاغترام
ما أكلت فقلت له ما عندي إلا التحقيق فاكتب الجواب وبالله التوفيق

قل لمن يلغز المسائل إني ... كاشف سرها الذي تخفيه

إن ذاك الميت الذي قدم الـ ❁ شرع أخا عرسه على ابن أبيه
رجل زوج ابنه عن رضاه ❁ بحماة له ولا غرو فيه
ثم مات ابنه وقد علقت منه ❁ فجاءت بابن يسر ذويه
فهو ابن ابنه بغير مراء ❁ وأخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن أدنى إلى الجد ❁ وأولى بإرثه من أخيه القريبة
فلذا حين مات أوجب للزو ❁ جة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في ❁ الأصل أخوها من أمها باقيه
وتخلى الأخ الشقيق من الإرث ❁ وقلنا يكفيك أن تبكيه
هاك مني الفتيا التي يحتذيها ❁ كل قاض يقضي وكل فقيه

فلما اثبت عني الجواب ❁ واستثبت مني الصواب ❁ قال لي أهلك والليل
فشمر الذيل ❁ وبادر السيل ❁ فقلت إني بدار غربة ❁ وفي إيواء أفضل
قربة ❁ لا سيما وقد أغدف جنح الظلام ❁ وسجى الرعد في ظل الغمام ❁ فقال
اغرب عافاك الله حيث شئت ❁ ولا تطمع في أن تبيت ❁ فقلت ولم ذاك
مع خلو ذراك ❁ قال لأني أنعمت النظر ❁ في التقامك ما حضر ❁ حتى
لم تبق ولم تذر ❁ فرأيتك لا تنظر في مصلحتك ❁ ولا تراعي حفظ صحتك
ومن أمعن فيما أمعنت ❁ وتبطن ما تبطنت ❁ لم يخلص من كظة مدنفة
أو هيضة متلفة ❁ فدعني والله كفافا ❁ واخرج عني معافى ❁ فوالذي
يحيي ويميت ❁ ما لك عندي مبيت ❁ فلما سمعت أليته ❁ وبلوت بليته
خرجت من بيته بالرغم ❁ وتزود الغم ❁ تجود بي السماء ❁ وتخبط بي
الظلماء ❁ وتنبحني الكلاب ❁ وتتقاذف بي الأبواب ❁ حتى ساقني إليك

لطف

لطف القضاء شكرا ليده البيضاء فقلت له أحبب بلقائك المتاح إلى قلبي المرتاح ثم اخذ يفتن في حكاياته ويبسط مضحكاته الى ان عطس انف الصباح وهتف داعي الفلاح فتاهب لاجابة الداعي ثم عطف الى وداعي فعقته عن الانبعاث وقلت الضيافة ثلث فخالف وصمم ثم امّ المخرج وانشد اذ عرج

لا تزر من تحب في كل شهر ... غير يوم ولا تزد عليه
فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ... ثم لا تنظر العيون اليه

قال الحرث بن همام فودعته بقلب دامي القرح ووددت لو ان ليلتي بطيئة الصبح

المقامة السادسة عشر

وتعرف بالمغربية

حكى الحرث بن همام قال شهدت صلوة المغرب في بعض مساجد المغرب فلما اديتها بفضلها وشفعتها بنفلها اخذ طرفي رفقة قد انتبذوا ناحية وامتازوا صفوة صافية وهم يتعاطون كأس المنافثة ويقتدحون زناد المباحثة فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد او ادب يستزاد فسعيت اليهم سعي المتطفل عليهم وقلت لهم اتقبلون نزيلا يطلب الاسمار لا الثمار ويبغي ملح الحوار لا ملحاء الجوار فحلوا لي الحبا وقالوا مرحبا مرحبا فلم اجلس الا كلمحة بارق خاطف او نغبة طائر خائف حتى غشينا جواب على عاتقه جراب فحيانا بالكلمتين وحيا المسجد بالتسليمتين ثم قال يا اولي الالباب والفضل اللباب اما تعلمون ان انفس القربات تنفيس الكربات وان من اسباب النجاة

مواساة ذوى الحاجات وانّى ومن احلّنى ساحتكم وأتاح لى استماحتكم
لرشيد محلّ قاص وبريد صبية خماص فهل فى الجماعة من يفثا
عنّا حميّا المجاعة فقالوا له يا هذا إنّك حضرت بعد العشا ولم يبق إلّا
فضلات العشاء فإن كنت بها قنوعا فما تجد فينا منوعا فقال إنّ
اخا الشدائد ليقنع بلفاظات الموائد ونفاضات المزاود فأمر
كلّ عبده ان يزوّده ما عنده فأعجبه الصنع وشكر عليه وجلس
يرقب ما يحمل اليه وثبنا نحن الى استثارة ملح الأدب وعيونه
واستنباط معينه من عيونه الى ان جلنا فيما لا يستحيل بالانعكاس
كقولك ساكب كاس فتداعينا الى ان نستنتج له الأفكار ونفترع
منه الأبكار على ان ينظم البادى ثلث كلمات فى عقده ثمّ يتدرّج
الزيادات من بعده فيربع ذو ميمنته فى نظمه ويسبّع صاحب ميسرته
على رغمه قال الراوى وكنّا قد انتظمنا عدّة اصابع الكفّ وتألّفنا الفة
اصحاب الكهف فابتدر لعظم محنتى صاحب ميمنتى وقال لُم اخا ملّ
وقال تاليه كبّر رجا اجر ربّك وقال الذى يليه من يرب اذا برّ ينم وقال
الآخر سكّت كلّ من نمّ لك تكس وانتهت النوبة الىّ وقد تعيّن نظم السمط
السباعى علىّ ولم يزل فكرى يصوغ ويكسر ويثرى ويعسر وفى ضمن ذلك
استطعم فلا اجد من يطعم الى ان ركد النسيم وحصحص التسليم فقلت
لأصحابى لو حضر السروجى هذا المقام لأشفى الداء العقام فقالوا لو انزلت
هذه بإياس لأمسك على ياس وجعلنا نفيض فى استصعابها واستغلاق
بابها وذلك الرجل المعترى يلحظنا لحظ المزدرى ويؤلف الدرّ ونحن لا ندرى

فقال

فلما عثر على انتصاحنا ، ونضوب ضحضاحنا ، قال يا قوم إن من العناء
العظيم ، استيلاد العقيم ، والاستشفاء بالسقيم ، وفوق كل ذي علم عليم
ثم أقبل عليّ وقال سأنوب منابك ، وأكفيك ما نابك ، فإن شئت أن تنثر
ولا تعثر ، فقل مخاطبا لمن ذم البخل ، وأكثر العذل لُذْ بكلّ مؤمّلٍ إذا لمّ
وملك بذل وإن أحببت أن تنظم فقل للذي تعظم

أُسُ أرملاً إذا عرا ، وارعَ إذا المرءُ أسا
أسنِدْ أخا نباهةٍ ، أبِنْ إخاءً دنسا
أسُلْ جنابَ غاشمٍ ، مُشاغبٍ إن جلسا
أُسِرْ إذا هبَّ مِرًا ، وارْمِ به إذا رسا
اسكنْ تقوَّ فعسى ، يُسعِفُ وقتٌ نكسا

قال الحارث بن همام ، فلما سحرنا بأبياته ، وحسرنا ببعد غاياته ، مدحناه حتى
استعفى ، ومنحناه إلى أن استكفى ، ثم شمّر ثيابه ، وازدفر جرابه ، ونهض ينشد

لله در عصابةٍ ، صدقوا المقال مقاولا
فاقوا الأنام فضائلا ، ما نوّروا ونفوا ضلا
حاورتهم فوجدت سحـ ، ـبانًا لديهم باقلا
وحللت بينهم سائلا ، فلقيت جودًا سائلا
أقسمت لو كان الكرام ، حيًّا لكانوا وابلا

ثم خطا يبدر لحين ، وعاد مستعيذا من الحين ، وقال يا عز من عدم
الآل ، وكثر من سلب المال ، إن الغاسق قد وقب ، ووجه المحجة قد
انتقب ، وبيني وبين كني ليل دامس ، وطريق طامس ، فهل من مصباح

يومض العثار ويبين لي الآثار قال فلما جن الملتمس وحلي الوجوه
ضوء القبس رأيت صاحب صيدنا هو أبو زيدنا فقلت لأصحابي هذا
الذي أشرت إلى أنه إذا نطق صاب وإذا استمطر صاب فأتلعوا نحوه
الأعناق وأحدقوا به الأحداق وسألوه أن يسامرهم ليلته على أن
يجبروا عيلته فقال حبا لما أحببتم ومرحبا بكم إذا رحبتم غير أني
قصدتكم وأطفالي يتضورون من الجوع ويدعون لي بوشك الرجوع
وإن استأثرتني خامرهم الطيش ولم يصف لهم لي العيش فدعوني
أذهب فأسد خصاصتهم وأسيغ غصتهم ثم أنقلب إليكم على الأثر
متأهبا على السمر إلى السحر فقلنا لأحد الغلمة اتبعه إلى فيئته ليكون
أسرع لفيئته فانطلق معه مضطبنا جرابه ومحتثا إيابه وأبطأ
بطاء جاوز حده ثم عاد الغلام وحده فقلنا ما عندك من الحديث عن
الخبيث فقال أخذني في طريق متعبة وسبل متشعبة حتى أفضينا
إلى دويرة خربة فقال ههنا مناخي ووكر أفراخي ثم استفتح بابه
واختلج مني جرابه وقال لعمري لقد خففت عني واستوجبت الحسنى
مني فهاك نصيحة هي من نفائس النصائح ومغارس المصالح وأنشد

إذا ما حويت جنى نخلة ❊ فلا تقربنها إلى القابل
وأما سقطت على بيدر ❊ فحوصل من السنبل الحاصل
ولا تلبثن إذا ما لقطت ❊ فتنشب في كفة الحابل
ولا توغلن متى ما سبحت ❊ فإن السلامة في الساحل
وخاطب بهات وجاوز بسوف ❊ وبع آجلا منك بالعاجل

ولا تكثرن على صاحب ۞ فما مل قط سوى الواصل ۞

ثم قال اتخذنها في تامورك ۞ واقتد بها في امورك ۞ وبادر الى صحبك في
كلاءة ربك ۞ فاذا بلغتهم فابلغهم تحيتي ۞ واتل عليهم وصيتي ۞ وقل لهم
عني ان السهر في الخرافات ۞ لمن اعظم الآفات ۞ ولست آلو احتراسي ۞ ولا
اجلب الهوس الى راسي ۞ قال الراوي فلما وقفنا فحوى شعره ۞ على نكره ونكره
تلاومنا على تركه ۞ والاغترار بافكه ۞ تفرقنا بوجوه باسرة ۞ وصفقة خاسرة

المقامة السابعة عشر

وتعرف بالقهقرية

حدث الحرث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين ۞ ومطامح العين
فتية عليهم سيما الحجى ۞ وطلاوة نجوم الدجى ۞ وهم في مماراة مشتدة الهبوب
ومباراة مشتطة الالهوب ۞ فهزني لقصدهم هوى المحاضرة ۞ واستجلاء جنى
المناظرة ۞ فلما التحقت برهطهم ۞ وانتظمت في سمطهم ۞ قالوا اانت ممن
يدلي في الهيجاء ۞ ويلقي دلوه في الدلاء ۞ فقلت بل انا من نظارة الحرب لا من
ابناء الطعن والضرب ۞ فاضربوا عن محاجي ۞ وافاضوا في التحاجي ۞ وكان
في بحبوحة حلقتهم ۞ واكليل رفقتهم ۞ شيخ قد برته الهموم ۞ ولوحته السموم
حتى عاد انحل من قلم ۞ واقحل من جلم ۞ الا انه كان يبدي العجاب ۞ كلما
اجاب ۞ وينسي سحبان كلما ابان ۞ فاعجبت بما اوتي من الاصابة
والتبريز على تلك العصابة ۞ وما زال يفضح كل تعمي ۞ ويصمي في كل
مرمى ۞ الى ان خلت الجعاب ۞ ونفد السؤال والجواب ۞ فلما راى انفضاض
القوم ۞ واضطرارهم الى الصوم ۞ عرض بالمطارحة ۞ واستاذن في

المفاتحة ۞ فقالوا حبذا ۞ ومن لنا بذا ۞ فقال أتعرفون رسالة أرضها
سماؤها ۞ وصبحها مساؤها ۞ نسجت على منوالين ۞ وتجلت في لونين ۞
وصلت إلى جهتين ۞ وبرزت ذات وجهين ۞ إن برزت من مشرقها فناهيك
برونقها ۞ وإن طلعت من مغربها ۞ فيا لعجبها ۞ قال وكان القوم رموا بالصمات
وحقت عليهم كلمة الإنصات ۞ فما نبس منهم إنسان ۞ ولا فاه لهم لسان
فحين رآهم بكما كالأنعام ۞ وصموتا كالأصنام ۞ قال لهم قد أجلتكم أجل
العدة ۞ وأرخيت لكم طول المدة ۞ ثم ها هنا مجمع الشمل ۞ وموقف الفصل
فإن سمحت خواطركم مدحنا ۞ وإن صلدت زنادكم قدحنا ۞ فقالوا والله
ما لنا في لجة هذا البحر مسبح ۞ ولا في ساحله مسرح ۞ فأرح أفكارنا
من الكد ۞ وهن المطية بالنقد ۞ واتخذنا إخوانا يثبون إذا وثبت ۞
ويثبتون متى استثبت ۞ فأطرق ساعة ۞ ثم قال سمعا لكم وطاعة

فاستملوا مني ۞ وانقلوا عني

الإنسان صنيعة الإحسان ۞ ورب الجميل فعل الندب
وشيمة الحر ذخيرة الحمد ۞ وكسب الشكر استثمار السعادة
وعنوان الكرم تباشير البشر ۞ واستعمال المداراة يوجب المصافاة
وعقد الود يقتضي النصح ۞ وصدق الحديث حلية اللسان
وفصاحة المنطق سحر الألباب ۞ وشرك الهوى آفة النفوس
وملل الخلائق شين الخلائق ۞ وسوء الطمع يباين الورع
والتزام الحزامة زمام السلامة ۞ وتطلب المثالب شر المعايب
وتتبع العثرات يمحض المودات ۞ وخلوص النية خلاصة العطية

وتهنئة

وتهنية النوال تمن السؤال ۞ وتكلف الكلف يمهد الخلف
ويقن المعونة يسني المؤونة ۞ وتفضل الصدر سعة الصدر
وزينة الرعاة مقت السعاة ۞ وجزاء المدائح بث المنائح
ومهر الوسائل تشفيع السائل ۞ ومجلبة الغواية استغراق الغاية
وتجاوز الحد يكل الحد ۞ وتعد الأدب يحبط القرب
وتناسي الحقوق ينشي العقوق ۞ وتحاشي الريب يرفع الرتب
وارتفاع الأخطار باقتحام الأخطار ۞ وتنوه الأقدار بمواتاة الأقدار
وشرف الأعمال في قصر الآمال ۞ وإطالة الفكرة تنقح الحكمة
ورأس الرياسة تهذيب السياسة ۞ ومع اللجاجة تلغى الحاجة
وعند الأوجال تتفاضل الرجال ۞ وبتفاضل الهمم تفاوت القيم
وبتزيد السفير يهن التدبير ۞ وبخلل الأحوال يتبين الأهوال
وبموجب الصبر ثمرة النصر ۞ واستحقاق الأحماد كسب الاجتهاد
ووجوب الملاحظة كفاء المحافظة ۞ وصفاء الموالي بتعهد الموالي
وتحلي المروات بحفظ الأمانات ۞ واختبار الإخوان بتخفيف الأحزان
ودفع الأعداء بكف الأوداء ۞ وامتحان العقلاء بمقارنة الجهلاء
وتبصر العواقب يؤمن المعاطب ۞ واتقاء الشنعة ينشر السمعة
وقبح الجفاء ينافي الوفاء ۞ وجوهر الأحرار عند الأسرار

ثم قال هذه مائتا لفظة ۞ تحتوي على أدب وعظة ۞ فمن ساقها هذا المساق
فلا مراء ولا شقاق ۞ ومن رام عكس قالبها ۞ وأن يردها على عقبها ۞ فليقل
الأسرار عند الأحرار ۞ وجوهر الوفاء ۞ ينافي الجفاء ۞ وقبح السمعة ۞ ينشر

الشنعة ثم على هذا المسحب فليسحبها ولا يرهبها حتى يكون خاتمة نفرها وآخرة دررها ورب الاحسان صنيعة الانسان قال الراوي فلما صدع برسالته الغريبة وألوكته المفيدة علمنا كيف يتفاضل الانشا وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشا ثم اعتلق كل منا بذيله وفلذ له فلذة من نيله فأبى قبول فلذتي وقال لست أرزأ تلامذتي فقلت له كن ابا زيد على شحوب سحنتك ونضوب ماء وجنتك فقال انا هو على تحولي وقحولي وتقشف محولي فأخذت في تثريبه على تشريقه وتغريبه فحولق واسترجع ثم انشا من قلب موجع

سل الزمان على عضبه ... ليروعني وأحد غربه
واستل من جفني كراه ... مراغما وأسال غربه
وأجالني في الأفق أطوي ... شرقه وأجوب غربه
فبكل جو طلعة في ... كل يوم لي وغربه
وكذا المغرب شخصه ... تغرب ونواه غربه

ثم ولى يجر عطفيه ويخطر بيديه ونحن بين ملتفت اليه ومتهافت عليه ثم لم نلبث ان حللنا الحبا وتفرقنا ايدي سبا

المقامة الثامنة عشر

وتعرف بالسنجارية

حكى الحرث بن همام قال تقلبت ذات مرة من الشام الى نحو مدينة السلام في ركب من بني نمير ورفقة اولي خير وميرٍ ومعنا ابو زيد السروجي عقلة العجلان وسلوة الثكلان واعجوبة الزمان والمشار اليه بالبنان في البيان فتصادف نزولنا سنجار ان اولم بها احد التجار فدعا الى

مأدبته

ما دبته الجفلى من اهل الحضارة والفلا حتى سرت الى القافلين وجمع
بين الفريضين والنافلين فلما اجبنا مادبته وحللنا ناديه احضر من
الطعم اليدي واليدين ما حلى في الفم وحلى بالعين ثم قدم جاما كانما
جمد من الهواء او جمع من الهباء او صيغ من نور الفضاء او قشر من الدرة
البيضاء وقد اودع لطائف النعيم وضمخ بالطيب العميم وسيق اليه شرب
من تسنيم وسفر عن مرأى وسيم وارج نسيم فلما اضطرمت بحضرته
الشهوات وقرمت الى مخبره اللهوات وشارف ان يشن على سربه الغارات
وينادى عند نهبه يا للثارات نشز ابو زيد كالمجنون وتباعد عنه
تباعد الضب من النون فراودناه على ان يعود ولا يكون كقدار في ثمود
فقال والذي ينشر الاموات من الرجام لا عدت دون رفع الجام فلم نجد
بدا من تالفه وابرار حلفه فاشلناه والعقول معه شائلة والدموع
عليه سائلة فلما فاء الى مجثمه وخلص من مأثمه سألناه لم قام
ولاي معنى استرفع الجام فقال ان الزجاج نمام واني آليت منذ اعوام
الا يضمني وعدوا مقام فقلنا وما سبب يمينك الصرى واليتك الحرى
فقال كان لي جار لسانه يتقرب وقلبه عقرب ولفظه شهد ينقع
وحيه سم منقع فملت لمجاورته واغتررت بمكاشرته في معاشرته
واستهوتني خضرة دمنته لمنادمته واغرتني خدعة سمته بما سمته
فمازجته وعندي انه جار مكاسر فبان انه عقاب كاسر وآنسته
على انه حب مؤانس وظهر انه حباب موالس وماحلته ولا اعلم
انه عند نقده ممن يفرح بفقده وعاقرته ولم ادر انه بعد فره ممن

ليطرب لمفرّه . وكانت عندي جارية . لا توجد لها في الجمال مجارية . إن
سفرت خجل النيّران . وصليت القلوب بالنيران . وإن بسمت أزرت بالجمان
وبيع المرجان بالمجان . وإن رنت هيّجت البلابل . وحققت سحر بابل . وإن
نطقت عقلت لبّ العاقل . واستنزلت العصم من المعاقل . وإن قرأت شفت
المفؤود . وأحيت الموؤود . وخلتها أوتيت من مزامير آل داود . وإن غنّت
ظلّ معبد لها عبدا . وقيل سحقا لإسحاق وبعدا . وإن زمرت أضحى زنام
عندها زنيما . بعد أن كان لجيله زعيما . وللإطراب زعيما . وإن رقصت
أمالت العمائم عن الرؤوس . وأنستك رقص الحبب في الكؤوس . فكنت أذري
معها حمر النعم . وأحلي بتمليها جيد النعم . وأحجب مرآها عن الشمس والقمر .
وأذود ذكراها عن شرائع السمر . وأنا مع ذلك ألحّ . من أن تسري بريّاها
ريح . أو يكهن بها سطيح . أو ينمّ عليها برق مليح . فاتّفق لوشك الحظ المنحوس
ونكد الطالع المنحوس . أن أنطقني بوصفها حميّا المدام . عند الجار النمّام
ثم ثاب الفهم . بعد أن صرد السهم . فأحسست الخبال والوبال . وضيعة
ما أودع ذلك الغربال . بيد أني عاهدته . على كتم ما لفظته . وأن يحفظ
السرّ ولو أحفظته . فزعم أنه يخزن الأسرار . كما يخزن اللئيم الدينار . وأنه
لا يهتك الأستار . ولو عرض لأن يلج النار . فما أن عبر على ذلك
الزمان . إلا يوم أو يومان . حتى بدا لأمير تلك المدرة . ووَاليها ذي
المقدرة . أن يقصد باب قيله . مجرّدا عرض خيله . ومستمطرا عارض
نيله . وارتاد أن تصحبه تحفة تلائم هواه . ليقدّمها بين يدي نجواه .
وجعل يبذل الجعائل لروّاده . ويسني المراغب لمن يظفره بمراده . فأسف

ذلك الجار المختار الى بذوله ۔ وعصى في ادراع العار عذل عذوله ۔ فأتى
الوالي ناشرا اذنيه ۔ وابتّه ما كنت اسررته اليه ۔ فما راعني الا انسياب
صاغيته الي ۔ وانثيال حفدته علي ۔ تسومني ايثاره بالدرة اليتيمة ۔ على
ان احكم عليه بالقيمة ۔ فغشيني من الهم ۔ ما غشي فرعون وجنوده من اليم
وكم ادافع عنها ولا يغني الدفاع ۔ واستشفع اليه ولا يجدي الاستشفاع
وكلما رأى مني ازدياد الاعتياص ۔ وارتياد المناص ۔ تجرّم وتصرّم ۔ وحرّق
علي الارم ۔ ونفسي مع ذلك لا تسمح بمفارقة بدري ۔ وبان انزع قلبي
من صدري ۔ حتى آل الوعيد ايقاعا ۔ والتقريع قراعا ۔ فقادني الاشفاق من
الحين ۔ الى ان تضته سواد العين ۔ بصفرة العين ۔ ولم يحظ الواشي بغير الاثم
والشين ۔ فما هدت الله تعالى منذ ذلك العهد ۔ الا احاضر تماما من بعد
والزجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمة ۔ وبه يضرب المثل في النميمة
فقد جرى عليه سيل يميني ۔ ولذلك السبب لم تمتد اليه يميني وانشد

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته ۔ على ان حرمتم بي اقتطاف القطائف
فقد بان عذري في صنيعي وانني ۔ سأرتق فتقي من تليدي وطارفي
على ان ما ذوقتكم من فكاهتي ۔ الذّ من الحلو لدى كل عارف

قال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره ۔ وقبلنا عذاره ۔ وقلنا له قدما
وقدت النميمة خيرا لبشر حتى انتشر عن حمالة الحطب ما انتشر ۔ ثم سألناه
عما احدث جاره القتات ۔ ودخلته المقتات ۔ بعد ان راش له نبل
السعاية ۔ وجذم حبل الرعاية ۔ فقال اخذني الاستخذاء ۔ والاستكانة
والاستشفاع الى ذوي المكانة ۔ وكنت حرصت على نفسي ان لا يسترجعه

انسى او يرجع الى امسى فلم يكن له منى سوى الرد والاصرار على الصد وهو لا يكتئب من النجه ولا ينبئ من وقاحة الوجه بل يلظ بالوسائل ويلج في المسائل فما انقذني من ابرامه ولا ابعد عليه نيل مرامه الا ابيات نفث بها الصدر الموتور والخاطر المبتور فانها كانت بحصرة لشيطانه ومسخنة له في اوطانه وعند انتشارها بت طلاق الحور ودعا بالويل والثبور وايس من نشر وصلي المقبور كما ايس الكفار من اصحاب القبور فناشدناه ان ينشدنا اياها ويستقينا رياها فقال اجل خلق الانسان من عجل ثم لا يزويه خجل ولا يثنيه وجل

وندیم محضته صدق ودی ۞ اذ تعهمته صديقا حميما
ثم اوليته نطيعة قال ۞ حين الفيته صديدا حميما
خلته قبل ان يجرب الفا ۞ ذا ذمام فبان خلفا ذميما
وتخيرته كليما فامسى ۞ منه قلبي بما جناه كليما
وتظنيته معينا رحيما ۞ فتبينته لعينا رجيما
وتراءيته مريدا فجلى عنه ۞ سنكى له مريدا لئيما
وتوسمت ان يهب نسيما ۞ فابى ان يهب الا سموما
بت من لسعه الذي اعجز ۞ الراقي سليما وبات مني سليما
وغدا امره غداة افترقنا ۞ مستقيما والجسم منه سقيما
لم يكن رايما بالشر خصيا ولكن ۞ كان بالشر رايعا لي خصيما
قلت لما بلوته ليته عديما ۞ ولم يكن لي نديما
بغض الصبح حين نم الى ۞ قلبي لان الصبح يفشي نموما

ودعا الى

ودعاني إلى نهوى الليل إذ كان ۞ سواد الدجى رقيباً كتوما
وكفامن يشي ولو فاه بالصدق ۞ أثاما فيما أتاه ولوما
قال فلما سمع رب المنزل كلامه وقريضه وسجعه ۞ واستملح تقريضه
وسبعه ۞ بوأه مهاد كرامته ۞ وصدره على تكرمته ۞ ثم استحضر عشر
صحاف من الصرب ۞ فيها حلو القند والضرب ۞ وقال له لا يستوي أصحاب
النار وأصحاب الجنة ۞ ولا يسع أن يجعل البري كذي ظنة ۞ وهذه الآنية
تنزل منزلة الأبرار ۞ في صون الأسرار ۞ فلا تولها الإبعاد ۞ ولا تلحق هودا
بعاد ۞ ثم أمر خادمه ينقلها إلى مثواه ۞ ليحكم فيها بهواه ۞ فأقبل علينا
أبو زيد وقال اقرؤا سورة الفتح ۞ وأبشروا بإندمال القرح ۞ فقد جبر
الله ثكلكم ۞ وسنى أكلكم ۞ وجمع في ظل الحلو شملكم ۞ وعسى أن تكرهوا
شيئاً فهو خير لكم ۞ ولما همّ بالانصراف مال إلى استهداء ۞ الصحاف ۞ فقال
للأدب إن من دلائل الظرف ۞ سماحة المهدي بالظرف ۞ فقال كلاهما والغلام
فاحذف الكلام وانهض بسلام ۞ فوثب في الجواب ۞ وشكره شكر الروض
للسحاب ۞ ثم اقتادنا أبو زيد إلى حلوانه ۞ وحكمنا في حلوائه ۞ وجعل
يقلب الأواني بيده ۞ ويفض عددها على عدده ۞ ثم قال لست أدري
أأشكو ذلك النمام أم أشكر ۞ وهل أتناسى فعلته أم أذكر ۞ فإنه وإن
كان أسلف الجريمة ۞ ونمنم النميمة ۞ فمن غيمه انهلت هذه الديمة
وبسببه انحازت لي هذه الغنيمة ۞ وقد خطر ببالي أن أرجع إلى أشبالي
وأقنع بما تسنى لي ۞ ولا أتعب نفسي ولا أجمالي ۞ وأنا أودعكم وداع محافظ
وأستودعكم خير حافظ ۞ ثم استوى على راحلته راجعاً على حافرته

ولاويا إلى ذا قرنه. فغادرنا نعدان وحدت عنسه. وزايلنا أنسه كدست
غاب صدره. أو ليد أفل بدره.

المقامة التاسعة عشر

وتعرف بالنصيبية

حدث الحارث بن همام قال أمحل العراق ذات العويم. لاختلاف أنواء الغيم. وتحدث الركبان بريف نصيبين. وبخصب أهلها المخصبين. فاتخذت مهريا. واعتقلت سمهريا. وسرت تلفظني أرض إلى أرض. ويجذبني رفع من خفض. حتى بلغتها نقضا على نقض. فلما أنخت بمغناها الخصيب. وضربت في مرعاها بنصيب. نويت أن ألقي بها جراني. وأتخذ أهلها جيراني. إلى أن تحيي السنة الجماد. وتتهدل أرض قومي العهاد. فوالله ما تمضمضت مقلتي بنومها. ولا تمخضت ليلتي عن يومها. دون أن ألفيت أبا زيد السروجي يجول في أرجاء نصيبين. ويخبط بها خبط المصابين والمصيبين. وهو ينثر من فيه الدرر. ويحتلب بكفيه الدرر. فوجدت جها ذي قد حاز مغنما. وقدحي الفذ قد صار توأما. فلم أزل أتبع ظله أينما انبعث. وألتقط لفظه كلما نفث. إلى أن عراه مرض امتد مداه. وعرقته مداه. حتى كاد يسلبه ثوب المحيا. ويسيمه إلى أبي يحيى. فوجدت لفوت ملقاه. وانقطاع سقياه. ما يجده المبعد عن مرامه. والعظيم وقت فطامه. ثم أرجف بأن رهنه قد غلق. ومخلب الحمام به قد علق. فقلق صحبه لإرجاف المرجفين. وأتوا إلى عقوته موجفين. حيارى يميد بهم شجوهم. كأنهم ارتضعوا الخندريسا

أسالوا

أسالوا الغروب وغطّوا الجيوب وصكّوا الخدود وشجّوا الرؤوسا
يودّون لو ساهمته المنون وغالت نفائسهم والنفوسا

قال الراوي وكنت فيمن التفّ بأصحابه واغتزّ إلى بابه فلمّا انتهينا إلى
فنائه وتصدّينا لاستثناء أنبائه برز إلينا فتاة مفترّة شفتاه فاستطعناه
طلع الشيخ في شكاته وكنه قوى حركاته فقال قد كان في قبضة
المرض وعركة الوعكة إلى أن شفّه الدنف واستشفّه التلف ثمّ منّ
الله تعالى بتقوية ذمائه فأفاق من إغمائه فارجعوا أدراجكم وانضوا
انزعاجكم فكأن قد غدا وراح وساقاكم الراح فأعظمنا بشراه
واقترحنا أن نراه فدخل مؤذناً بنا ثمّ خرج آذناً لنا فلقينا منه لقى
ولساناً طلقاً وجلسنا محدقين بسريره محدّقين إلى أساريره فقلّب
طرفه في الجماعة ثمّ قال احتملوها بنت الساعة وأنشد

عافاني الله وشكراً له   من علّة كادت تعفّيني
ومن بالبرء على أنّه   لا بدّ من حتف سيبريني
ما يتناساني ولكنّه   إلى تقضّي الأكل ينسيني
إن حمّ لم يغن حميم ولا   حمى كليب منه يحميني
وما أبالي أدنا يومه أم   أخّر الحين إلى حين
فأيّ فخر في حياة أرى   فيها البلايا ثمّ تبليني

فدعونا له بامتداد الأجل وارتداد العجل ثمّ تداعينا إلى القيام
لاتّقاء الإبرام فقال كلّا بل ابتغوا بياض يومكم عندي لتشتفوا بالمفا كهة
وجدي وإنّ مناجاتكم قوت نفسي ومغناطيس أنسي فتخيّرناها

مرضانه . وتحامينا معاصانه . وأقبلنا على الحديث نمخض زبده . ونلغي زبده
إلى أن حان وقت المقيل . وكلت الألسن من القال والقيل . وكان يوما
حامي الوديقة . يانع الحريقة . فقال إن النعاس قد أمال الأعناق . وورد
الآماق . وهذا خصم ألد . وخطب لا يرد . فصلوا حبله بالقيلولة . واقتدوا
فيه بالآثار المنقولة . قال الراوي فاتبعنا ما قال . وقلنا وقال . فضرب الله
على الآذان . وأفرغ السنة في الأجفان . حتى خرجنا من حكم الوجود .
وصرفنا بالهجود عن السجود . فما استيقظنا إلا والحر قد باخ . واليوم قد
شاخ . فتكرعنا لصلاة العجماوين . وأدينا ما حل من الدين . ثم تحثحثنا
للارتحال . إلى ملتقى الرحال . فالتفت أبو زيد إلى شبله . وكان على
شاكلته وشكله . وقال إني لأخال أبا عمرة . قد أضرم على أحشائكم الجمرة
فاستدع أبا جامع . فإنه بشرى كل جائع . وأردفه بأبي نعيم . الصابر
على كل ضيم . ثم عزز بأبي حبيب . المحبب إلى كل لبيب . المقلب بين
إحراق وتعذيب . واهب بأبي ثقيف . فحبذا هو من أليف . وهلم بأبي
عون . فما مثله من عون . ولو استحضرت أبا جميل . لجملت أي تجميل . وحي
هلا بأم القرى . المذكرة بكسرى . ولا تتناس أم جابر . فكم لها من ذاكر
وناد أم الفرج . ثم آذن بها ولا حرج . واختم بأبي رزين . فهو مسلاة
كل حزين . وإن تعرن به أبا العلاء . فمح اسمك من البخلاء . وإياك واستدنا
المرجفين . قبل استقلال حمول البين . وإذا نزع القوم عن المراس
وصافحوا أبا أياس . فأطف عليهم أبا السرو . فإنه عنوان السرو .
قال ففقه ابنه لطائف رموزه . بلطائف تميزه . فطاف علينا بالطيبات

والطيب

وَالطِّيبِ إِلَى أَنْ أَدْنَتِ الشَّمْسُ بِالْمَغِيبِ فَلَمَّا أَجْمَعْنَا عَلَى التَّوْدِيعِ قُلْنَا لَهُ أَلَمْ
تَرَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ الْبَدِيعِ كَيْفَ بَدَا صُبْحُهُ مُقْطَرِيرًا ثُمَّ لَاحَ مُسِيُّهُ مُسْتَنِيرًا
نَسْجُدُ حَتَّى أَطَالَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ منشدا

لَا تَيْأَسَنْ عِنْدَ النُّوَبِ ... مِنْ فُرْجَةٍ تَجْلُو الْكُرَبْ
فَلَكَمْ سَمُومٍ هَبَّ ثُمَّ ... جَرَى نَسِيمًا وَانْقَلَبْ
وَسَحَابِ مَكْرُوهٍ تَنَشَّا ... فَاضْمَحَلَّ وَمَا سَكَبْ
وَدُخَانِ خَطْبٍ خِيفَ مِنْهُ ... فَمَا اسْتَبَانَ لَهُ لَهَبْ
وَلَطَالَمَا طَلَعَ الْأَسَى ... وَعَلَى تَنَفُّسِهِ غَرَبْ
فَاصْبِرْ إِذَا مَا نَابَ رَوْعٌ ... فَالزَّمَانُ أَبُو الْعَجَبْ
وَتَرَجَّ مِنْ رَوْحِ الْإِلَهِ ... لَطَائِفًا لَا تُحْتَسَبْ

قال فَاسْتَمْلَيْنَا مِنْهُ أَبْيَاتَهُ الْغُرَّ وَوَالَيْنَا لِلَّهِ تَعَالَى الشُّكْرَ وَوَدَّعْنَاهُ مَسْرُورِينَ
بِبِرِّهِ مَغْمُورِينَ بِبَرِّهِ تفسير ما تضمن هذه من الفاظ اللغوية وكنات صوفيه
قوله ذات العويم يعني به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين ويقال لقيته
ذات يوم وذات ليلة وذات العويم وذات الزمين والسمهرية الرماح
وفي تسميتها بذلك قولان احدهما انها سميت بذلك لصلابتها وهو من
قولهم اسمهر الشي اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة
وكانا جميعا يقومان الرماح فنسبت اليهما وقوله نقضا على نقض اى مهزول
على مهزول والجران باطن العنق وقيل منه تعمل السياط وقوله ضرب
الله على الاذان اى انامنا ومنه قوله عز وجل فضربنا على اذانهم في الكهف
سنين عددا اى انمناهم وقيل في تفسيره منعناهم السمع وقوله تكرعنا

لصلاة العجماوين ؛ اى غسلنا اكراعنا ؛ والعجماوان صلاتا الظهر والعصر ؛ سميتا بذلك لاسرار القراة فيهما ؛ ومنه الحديث صلوة النهار عجما وقوله هلمم اى قل له هلم وهو بمعنى هات ؛ وبمعنى اقبل ؛ والافصح ان يوحد لفظها مع الذكر والانثى والاثنين والجمع وبه نطق القران فى قوله تع ؛ والقايلين لاخوانهم هَلُمَّ الينا ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم ؛ وللاثنين هلما ؛ وللجمع هلموا ؛ وللمونث الواحدة هلمى ؛ وللاثنتين هلما ؛ وللجمع هلممن وقوله حى هل ؛ اى عجل يقال حى هل بفلان بتسكين اللام ؛ وفتحها وبتنوينها ؛ وباثبات النون معها ؛ وهو قول ابن مسعود فى عمر رضى الله عنهما ؛ اذا ذُكِرَ الصالحون فَحَيَّ هلاً بِعُمَرْ ؛ وفى حى هل لغات اخر اضربنا عن ذكرها ؛ اذ ليس هذا موضع استيفا شرحها

تفسير كُنَى الطفيليين ؛ والكنايات الصوفية واما ابو يحيى كنية الموت وابو عمرة كنية الجوع ؛ ويكنى ايضا ابا مالك ؛ وابو جامع كنية الخِوَانِ ؛ وابو نُعَيْم الخبز الحوارى ؛ وابو حبيب الجدى ؛ وابو ثقيف الخل ؛ وابو عون الملح ؛ وابو جميل البقل ؛ وام القرى السُّكباج ؛ وام جابر الهريسة ؛ وام الفَرَجِ الجدابة وابو رَزِيْن الخبيص ؛ وابو العلا الفالوذق ؛ وابو اياس الفسول ؛ والمرجفان الطست والابريق ؛ وابو السرو البخور

المَقَامَةُ العِشْرُونَ

وَتُعْرَفُ بِالْفَارِقِيَّة

حَكَى الْحٰرِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ يَمَّمْتُ مَيَّا فَارِقِيْنَ ؛ مَعَ رُفْقَةٍ مُوَافِقِيْنَ ؛ لَا يُمَارُوْنَ فِي الْمُنَاجَاتِ ؛ وَلَا يَدْرُوْنَ مَا طَعْمُ الْمُدَاجَاتِ ؛ فَكُنْتُ بِهِمْ كَمَنْ لَمْ يَرِمْ عَنْ وِجَارِهِ وَلَا ظَعَنَ عَنْ إِلْفِهِ وَجَارِهِ ؛ فَلَمَّا أَنَخْنَا مَطَايَا التَّسْيَارِ ؛ وَانْتَقَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ

الى

إلى الأكوار. تواصينا بتذكار الصحبة. وتناهينا عن التقاطع في الغربة.
واتخذنا ناديا نسمّره طرفي النهار. ونتهادى فيه طُرَف الأخبار. فبينا
نحن في بعض الأيام. وقد انتظمنا في سلك الالتئام. إذ وقف علينا ذو مقول
جريّ. وجرس جهوريّ. فحيّا تحية نفّاس في العقد. قنّاص للأسد والنقد.

ثم قال:

عندي يا قوم حديث عجيب ... فيه اعتبار للبيب الأريب
رأيت في ريعان عمري أخا ... بأس له حدّ الحسام القضيب
يقدم في المعرك إقدام من ... يوقن بالفتك ولا يستريب
تنفرج الضيق بكرّاته ... حتى يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الأقران إلا انثنى ... عن موقف الرمح برمح خضيب
ولا سما يفتح مستصعبا ... مستغلق الباب منيعا مهيب
إلا ونودي حين يسمو له ... نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم ليلة باتها ... يميس في برد الشباب القشيب
يرتشف الغيد ويرشفنه ... وهو لدى الكل المفدّى الحبيب
فلم يزل يبتزّه دهره ... ما فيه من بطش وعود صليب
حتى أعارته الليالي لقى ... يعافه من كان منه قريب
قد أعجز الراقي تحليل ما ... به من الداء وأعيا الطبيب
وصارم البيض وصار رهنه ... من بعد ما كان المجاب المجيب
وآض كالمنكوس في خلقه ... ومن يعش يلق دواهي المشيب
وها هو الآن مسجّى لمن ... يرغب في تكفين ميت غريب

قال فلما انتهى إلى هذا البيت أعلن بالنحيب، وبكى بكاء المحب على الحبيب
ولما رقأت دمعته، وانفثأت لوعته، وقال يا نجعة الرواد، وقدوة الأجواد
والله ما نطقت ببهتان، ولا أخبرتكم إلا عن عيان، ولو كان في عصاي سير
ولغنمي مطير، لما استأثرت بما دعوتكم إليه، ولا وقفت موقف الدال عليه
ولكن كيف الطيران بلا جناح، وهل على من لا يجد من جناح قال الراوي
فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون، ويتخافتون فيما يأتون، فتوهم أنهم على
صرفه بحرمان، أو مطالبته ببرهان، ففرط منه أن قال يا يلامع القاع
ويرامع البقاع، ما هذا الارتياء الذي يأباه الحياء، حتى كأنكم كلفتم مشقة
لا شقة، أو استوهبتم بدرة لا بردة، أو هززتم لكسوة البيت، لا لتكفين
ميت، أف لمن لا تندى صفاته، ولا ترشح حصاته، فلما بصرت الجماعة
بذلاقته، ومرارة مذاقته، رفاه كل منهم بنيله، واحتمل طله خوف
سيله، قال الحارث بن همام وكان هذا السائل واقفا خلفي، ومحتجبا
بظهري عن طرفي، فلما أرضاه القوم بسيبهم، وحق علي التأسي بهم
خلعت خاتمي من خنصري، ولفت إليه بصري، فإذا هو شيخنا السروجي
بلا فرية، ولا مرية، فأيقنت أنها الأكذوبة تكذبها، والأحبولة نصبها
إلا أني طويته على غره، وصنت شنعاه عن قره، فخصصته بالخاتم وقلت
ارصده لنفقة المأتم، فقال واها لك، ما أضرم شغلتك، وأكرم فعلتك
ثم انطلق يسعى قدما، ويهرول هرولته قدما، فرعت إلى عرفان ميته
وامتحان دعوى حميته، تقرعت ظنوني، وألهبت الهوبى، حتى أدركته
على غلوة، واجتليته في خلوة، فأخذت بجمع أردانه، وعقته عن سنن

بيزانه

ميدانه ؞ فقلت له والله ما لك مني ملجا ولا منجا ؞ أو تريني ميتك المسجى
تكشف عن سراويله ؞ وأشار إلى غرموله ؞ فقلت له قاتلك الله فما أعبثك
بالنهى وأحيلك على اللهى ؞ ثم عدت إلى أصحابي عود الرائد الذي لا يكذب
أهله ؞ ولا يبرقش قوله ؞ فأخبرتهم بالذي رأيت ؞ وما واريت ولا رأيت
فتقهقهوا من كيت وكيت ؞ ولعنوا ذلك الميت

؞ المقامة الحادية والعشرون ؞

؞ وتعرف بالرازية ؞

أخبر الحرث بن همام قال عنيت مذ أحكمت تدبيري ؞ وعرفت قبيلي من
دبيري ؞ بأن أصغي إلى العظات ؞ وألغي الكلم المحفظات ؞ لأتحلى بمحاسن
الأخلاق ؞ وأتخلى مما يسم بالإخلاق ؞ وما زلت آخذ نفسي بهذا الأدب
وأخمد به جمرة الغضب ؞ حتى صار التطبع فيه طباعا ؞ والتكلف له هوى
مطاعا ؞ فلما حللت بالري ؞ وقد حللت حبى الغي ؞ وعرفت الحي من اللي ؞
رأيت بها ذات بكرة ؞ زمرة إثر زمرة ؞ وهم منتشرون انتشار الجراد ومستنون
استنان الجياد ؞ ومتواصفون واعظا يقصدونه ؞ ويحلون ابن سمعون
دونه ؞ فلم يتكادني لاستماع المواعظ ؞ واختبار الواعظ ؞ أن أقاسي
اللاغط ؞ وأحتمل الضاغط ؞ فأصحبت أصحاب المطوعين ؞ وانخرطت في سلك
الجامعين ؞ حتى أفضينا إلى ناد جمع الأمير والمأمور ؞ وحشد النبيه والمغمور ؞
وفي وسط هالته ؞ وعسط أهلته ؞ شيخ قد تقوس واقعنسس ؞ وتقلنس
وتطلس ؞ وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور ؞ ويلين الصخور ؞ فسمعته يقول
وقد نشبت به العقول يا ابن آدم ما أغراك بما يغرك ؞ وأضراك بما يضرك

وَأَبهجك بما يطغيك : وَأَبهجك بمن يطريك : تعنى بما يعنيك : وتهمل ما يعنيك

وتنزع في قوس تعديك : وتتردى الحرص الذي يرديك : لا بالكفاف تقتنع

ولا من الحرام تمتنع : ولا للعظات تستمع : ولا بالوعيد ترتدع : دابك ان تنقلب

مع الاهواء : وتخبط خبط العشواء : وهمك ان تداب في الاحتراث : وتجمع التراث

للوراث : يعجبك التكاثر بما لديك : ولا تذكر ما بين يديك : وتسعى ابدا

لغاربك : ولا تبالي ألك ام عليك : أتظن انك تترك سدى : ولا

تحاسب غدا : ام تحسب ان الموت يقبل الرشا : او يميز بين الاسد والرشا

كلا والله لن يدفع المنون : مال او بنون : ولا ينفع اهل القبور : سوى

العمل المبرور : فطوبى لمن سمع ووعى : وحقق ما ادعى : ونهى النفس عن

الهوى : وعلم ان الفائز من ارعوى : وان ليس للانسان الا ما سعى :

وان سعيه سوف يرى : ثم انشد :

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى : اذا سكن المثري الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا : بما تقتني من اجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه : بمخلبه الاشغى يغول ونابه
وعاص هوى النفس ما اطاعه : اخو ضلة الا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الاله وخوفه : لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه : بدمع يضاهي الوبل عند مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه : وروعة ملقاه ومطعم صابه
فان قصارى مسكن المرء حفرة : سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله : وابدى التلافي قبل اغلاق بابه

قال

قال فظل القوم بين عبرة يذرونها • وتوبة يظهرونها • حتى كادت الشمس
تزول • والفريضة تعول • فلما خشعت الأصوات • والتأم الإنصات
واستكنت العبرات والعبارات • استصرخ مستصرخ بالأمير الحاضر •
وجعل يجأر إليه من عامله الجائر • والأمير صاغ إلى خصمه • لاهٍ
عن كشف ظلمه • فلما أيس من روحه • استنهض الواعظ لنصحه
فنهض نهضة الشمير ثم أنشد معرضا بالأمير

عجبا لراج أن ينال ولاية • حتى إذا ما نال بغيته بغى
يسدي ويلحم في المظالم والبغا • في وردها طورا وطورا مولغا
ما إن يبالي حين يتبع الهوى • أربحا أصلح دينه أو أوتغا
يا ويحه لو كان يوقن أنه • ما حالة إلا تحول لما طغى
أولم تبين ما ندامة من صغا • سمعا إلى قول الوشاة لما صغا
فانقد لمن أضحى الزمام بكفه • وتغاض أن ألغى الرعاية أو لغا
وارع المرار إذا دعاك لرعيه • ورد الأجاج إذا حماك السيغا
واحمل أذاه ولو أمضك مسه • وأسال غرب الدمع منك وأفرغا
فليضحكنك الدهر منه إذا نبا • عنه وشب لكبره نار الوغى
وليبزلن به الشمات إذا بدا • متخلبا من شغله متفرغا
ولتاوين له إذا ما خده • أضحى على ترب الهوان ممرغا
هذا له ولسوف يوقف موقفا • فيه يرى رب الفصاحة ألثغا
وليحشرن أذل من نقع الفلا • ويحاسبن على النقيصة والشفا
ويؤاخذن بما اجتنى ومن اجتنى • ويطالبن بما احتسى وبما ارتغى

وَيُناقِشُ على الدقائقِ مثلما ۞ قد كان يفصِدُ بالورى بل أبلغا
حتى يعضَّ على الولايةِ كفَّهُ ۞ ويودُّ لو لم ينبغِ منها ما بغى

ثمّ قال أيها المتوشِّحُ بالولايةِ ۞ المترشِّحُ للرعايةِ ۞ دعِ الإدلالَ بدولتِك والاغترارَ بصولتِك ۞ فإنَّ الدولةَ ريحٌ قُلَّبٌ ۞ والقدرةَ برقٌ خُلَّبٌ ۞ وإنَّ أسعدَ الرعاةِ من سعدتْ به رعيتُهُ ۞ وأشقاهم في الدارينِ من ساءتْ رعايتُهُ فلا تكُ ممّن يذرُ الآخرةَ ويُلغيها ۞ ويحبُّ العاجلةَ ويبتغيها ۞ ويظلمُ الرعيةَ ويؤذيها ۞ وإذا تولّى سعى في الأرضِ ليفسدَ فيها ۞ فواللهِ ما يغفلُ الديّانُ ولا تُهمَلُ يا إنسانُ ۞ ولا يُلغى الإساءةُ ولا الإحسانُ ۞ بل سيوضعُ لك الميزانُ ۞ وكما تدينُ تُدانُ ۞ قال فوجمَ الوالي لما سمعَ ۞ وامتقعَ لونُهُ وانتقعَ وجعلَ يتأفّفُ من الإمرةِ ۞ ويُردِفُ الزفرةَ بالزفرةِ ۞ ثمّ عمدَ على الشاكي فأشكاهُ ۞ وإلى المشكوِّ فأشجاهُ ۞ وألطفَ الواعظَ وحباهُ ۞ وعزمَ عليه أن يغشاهُ ۞ فانقلبَ عنه المظلومُ منصورًا ۞ والظالمُ محصورًا ۞ وبرزَ الواعظُ يتهادى بين رفقتِهِ ۞ ويتباهى بفوزِ صفقتِهِ ۞ واعتقبتُهُ أخطو متقاصرًا ۞ وأريهِ لمحًا باصرًا ۞ فلما استشفَّ ما أخفيهِ ۞ وفطنَ لتقلّبِ وجهي فيه ۞ قال خيرٌ وليليك من استرشدَ ۞ ثمّ اقتربَ منّي وأنشدَ ۞

أنا الذي تعرفُهُ يا حارثُ ۞ حدّثُ ملوكٍ فَكِهٌ منافثُ
أطربُ مما لا تطربُ المثالثُ ۞ طورًا أخو وطورًا عابثُ
ما غيّرتني بعدكَ الحوادثُ ۞ ولا التحى عودي خطبٌ كارثُ
ولا قرى نابي جدٌّ فارثُ ۞ بل مخلبي بكلِّ صيدٍ ضابثُ
وكلُّ سرحٍ فيه ذئبي عائثُ ۞ حتى كأنّي للأنامِ وارثُ
۞ سامهم وحامهم ويافثُ ۞

قال الحرث

قَالَ الحرث بْن همّام فقلت له تالله انك لابو زيد ؛ ولقد تمت لله ولا عمرو بن عبيد ؛ فهش هشاشة الكريم اذا أُمّ ؛ ثم قال اسمع يا بن ادم ؛

عليك بالصدق ولو انه ؛ احرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضى الله فاغبى الورى ؛ من اسخط المولى وارضى العبيد

ثم انه ودّع اخدانه ؛ وانطلق يسحب اردانه ؛ فطلبته من بعد بالري ؛ واستنشرنا خبره من مدارج الطي ؛ فما الفينا من عرف قراره ؛ ولا درى اي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون

وتعرف بالفراتية

اخبر الحرث بن همّام قال أويت في بعض الفترات ؛ الى سقي الفرات ؛ فلقيت به كتّابا ابرع من بني الفرات ؛ واعذب اخلاقا من ماء الفرات ؛ فأطفت بهم لتهذيبهم ؛ لا لذهبهم ؛ وكاثرتهم لأدبهم ؛ لا لمأدبهم ؛ فجالست منهم القعقاع بن شور ؛ ووصلت بهم الى الكور بعد الحور ؛ حتى انهم اشركوني في المرتع والمربع ؛ واحلّوني محلّ الانملة من الاصبع ؛ واتخذوني ابن انسهم عند الولاية والعزل ؛ وخازن سرهم في الجد والهزل ؛ فاتفق ان ندبوا في بعض الاوقات ؛ لاستقراء مزارع الرزداقات ؛ فاختاروا من الجواري المنشآت ؛ جارية حالكة الشيات ؛ تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب ؛ وتنساب في الحباب كالحباب ؛ ثم دعوني الى الموافقة ؛ واستدعوني للمرافقة ؛ فلما تورّكنا على المطية الدهماء ؛ وتبطّنا العولية الماشية على الماء ؛ الفينا شيخا عليه سحق سربال ؛ وسبّ بال ؛ فعافت الجماعة محضره ؛ وعنّفت من احضره ؛ وهمّت بابرازه من السفينة ؛ لولا ما ثاب اليها من السكينة ؛ فلما

٧ اضراب

لمح منا استثقال ظله ۞ واستبراد طله ۞ تعرض للمنافثة فصمت ۞ ووجم بعد
ان عطس فما شمت ۞ فاخذ ينظر فيما آلت حاله اليه ۞ وينتظر نصرة المبغي
عليه ۞ وجعلنا نحن في شجون ۞ من جد ومجون ۞ الى ان اعترض ذكر الكاتبين
وفضلهما ۞ وتبيان افضلهما ۞ فقال قائل ان كتبة الانشاء انبل الكتاب ۞
ومال مائل الى تفضيل الحساب ۞ وامتد اللجاج ۞ واحتد الحجاج ۞ حتى اذا
لم يبق للجدال مطرح ۞ ولا للمراء مسرح ۞ قال الشيخ لقد اكثرتم ايها السادة
اللغط ۞ واثرتم الصواب والغلط ۞ وان جلية الحكم عندي ۞ فارتضوا
بنقدي ۞ ولا تستفتوا احدا بعدي ۞ اعلموا ان صناعة الانشاء ارفع
وصناعة الحساب انفع ۞ وقلم المكاتبة خاطب ۞ وقلم المحاسبة حاطب
واساطير البلاغة تنسخ لتدرس ۞ ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس
والمنشي جهينة الاخبار ۞ وحقيبة الاسرار ۞ ونجي العظماء ۞ وكبير الندما
وقلمه لسان الدولة ۞ وفارس الجولة ۞ ولقمان الحكمة ۞ وترجمان الهمة
وهو البشير والنذير ۞ والشفيع والسفير ۞ وبه تستخلص الصياصي ۞ وتملك
النواصي ۞ ويقتاد العاصي ۞ ويستدنى القاصي ۞ وصاحبه بريء من
التبعات ۞ آمن كيد السعاة ۞ مقرظ بين الجماعات ۞ غير معرض لنظم
الجماعات ۞ فلما انتهى في الفصل ۞ الى هذا الفصل ۞ لحظ من لحات
القوم انه ازدرع حبا وبغضا ۞ وارضى بعضا واحفظ بعضا ۞ فعقب كلامه
بان قال الا ان صناعة الحساب موضوعة على التحقيق ۞ وصناعة الانشاء
مبنية على التلفيق ۞ وقلم الحساب ضابط ۞ وقلم المنشي خابط ۞ وبين
اتاوة توظيف المعاملات ۞ وتلاوة طوامير السجلات ۞ بون لا يدركه

قياس ولا يعتوره التباس إذ الأتاوة تملأ الأكياس والتلاوة تفرغ
الراس وخراج الأوارج يغني الناظر واستخراج المدارج يعيي الناظر
ثم إن الحسبة حفظة الأموال وحملة الأثقال والنقلة الأثبات والسفرة
الثقات وأعلام الإنصاف والانتصاف والشهود المقانع في الاختلاف ومنهم
المستوفي الذي هو يد السلطان وقطب الديوان وقسطاس الأعمال
والمهيمن على العمال وإليه المآب في السلم والهرج وعليه المدار في
الدخل والخرج وبه مناط الضر والنفع ولولا قلم الحساب لأودت ثمرة
الاكتساب ولاتصل التغابن إلى يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولا
وجرح الظلامات مطلولا وجيد التناصف مغلولا وسيف التظالم
مسلولا على أن يراع الإنشاء متقول ويراع الحساب متأول والمحاسب
مناقش والمنشي أبو براقش ولكليهما حمة حين يرقى إلى أن يلقى
ويرقى وإعنات فيما ينشي حتى يغشى وينشي إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وقليل ما هم قال الحرث بن همام فلما أمتع الأسماع بما
راق وراع استنسبناه فاستراب وأبى الانتساب ولو وجد منسابا
لانساب فحصلت من لبسه على غمة حتى ادكرت بعد أمة فقلت
والذي سخر الفلك الدوار والفلك السيار إني لأجد ريح أبي زيد
وإني كنت أعهده ذو رواء وأيد فتبسم ضاحكا من قولي وقال أنا
هو على استحالة حالي وحولي فقلت لأصحابي هذا الذي لا يفري
فريه ولا يبالي عبقريه فخطبوا منه الود وبذلوا له الود والوجد
فرغب عن الألفة ولم يرغب في التحفة وقال أما بعد أن سحقتم حقي

لأجل سحقي • وكسفتم بالي • لإخلاق سربالي • فما أراكم إلا بالعين السخينة • ولا لكم مني إلا أصحبة السفينة • ثم أنشد •

اسمع أخيّ وصيّة من ناصحٍ • ما شاب محض النصح منه بغشّه
لا تعجلنّ بقضيّةٍ مبتوتةٍ • في مدح من لم تبله أو خدشه
وقف القضيّة فيه حتى تجتلي • وصفيه في حالي رضاه وبطشه
ويبين خلّب برقه من صدقه • للشائمين ووبله من طشّه
فهناك إن تر ما يشين فواره • كرمًا وأن تر ما يزين فأفشه
ومن استحقّ الارتقا فرقّه • ومن استحطّ فحطّه في حشّه
واعلم بأنّ التبر في عرق الثرى • خافٍ إلى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرّها • من حكّه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة أن تعظّم جاهلًا • لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذّبًا في نفسه • لدروس بزّته ورثّة فرشه
فلكم أخي طمرين هيب لفضله • ومفوّف البردين عيب لفحشه
وإذا الفتى لم يغش عارًا لم تكن • أسماله إلا مراقي عرشه
ما إن يضرّ العضب كون قرابه • خلقًا ولا البازي حقارة عشّه

ثم ما عتم أن استوقف الملاح • وصعد من السفينة وساح • فندم كلّنا على ما فرط في ذاته • وأغضى جفنه على قذاته • وتعاهدنا على أن لا نحتقر شخصًا لرثاثة برده • ولا نزدري سيفًا مخبوءًا في غمده •

المقامة الثالثة والعشرون

وتعرف بالشعرية •

حكى

حكى الحرث بن همام قال نبا بي مألف الوطن ٭ في شرخ الزمن ٭ لخطب
خشي وخوف غشي ٭ فأرقت كأس الكرى ٭ ونصصت ركاب السرى
وجبت في سرى وعوراً لم تدمثها الخطى ٭ ولا اهتدى إليها القطا ٭ حتى
وردت حمى الخلافة ٭ والحرم العاصم من المخافة ٭ فسروت إيجاس الروع
واستشعاره ٭ وتسربلت لباس الأمن وشعاره ٭ وقصرت همي على
لذة أجتنيها ٭ وملحة أجتليها ٭ فبرزت يوماً إلى الحريم لأروض طرفي
وأجيل في طرفه طرفي ٭ فإذا رجال متتالون ٭ وفرسان متتالون ٭ وشيخ
طويل اللسان ٭ قصير الطيلسان ٭ قد لبب فتى جديد الشباب ٭ خلق
الجلباب ٭ فركضت إثر النظارة ٭ حتى وافينا باب الإمارة ٭ وهناك
صاحب المعونة متربعاً في دسته ٭ ومروعاً بسمته ٭ فقال له الشيخ
أعز الله الوالي ٭ وجعل كعبه العالي ٭ إني كفلت هذا الغلام فطيماً
وربيته يتيماً ٭ ثم لم آله تعليماً ٭ فلما مهر وبهر ٭ جرد سيف العدوان
وشهر ٭ ولم أخله يلتوي علي ويتقح ٭ حين يرتوي مني ويلتقح ٭ فقال
له الفتى علام عثرت مني ٭ حتى تنشر هذا الخزي عني ٭ فوالله ما سترت
وجه برك ٭ ولا هتكت حجاب سرك ٭ ولا شققت عصا أمرك ٭ ولا ألغيت
تلاوة شكرك ٭ فقال له الشيخ ويلك وأي ريب أخزى من ريبك ٭ وهل
عيب أفحش من عيبك ٭ وقد ادعيت سحري واستحلفته ٭ وانتحلت شعري
واسترقته ٭ واسترقاق الشعر عند الشعراء ٭ أفظع من سرقة البيضاء والصفراء
وغيرتهم على بنات الأفكار ٭ كغيرتهم على البنات الأبكار ٭ فقال الوالي
للشيخ ٭ وهل حين سرق سلخ أم مسخ أم نسخ ٭ فقال والذي جعل الشعر

ديوان العرب. وترجمان الادب. ما احدث سوى ان بتر شمل شرحه. واغار على ثنى سرحه. فقال له انشد ابياتك برمتها. ليضح ما احتازه من جملتها. فانشد.

يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى ... وقرارة الاكدار
دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غدا ... بعدا لها من دار
واذا اظل سحابها لم ينتقع منه صدى ... لجهامه الغرار
غاراتها لا تنقضي واسيرها لا يفتدى ... بجلائل الاخطار
كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا ... متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن واولغت فيه المدى ... ونزت لاخذ الثار
فاربا بعمرك ان يمر مضيعا فيها سدى ... من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى ... ورفاهة الاسرار
وارقب اذا ما سالمت من كيدها حرب العدى ... وتوثب الغدار
واعلم بان خطوبها تفجا وان طال المدى ... وونت سرى الاقدار

فقال له الوالي ثم ماذا صنع هذا. قال اقدم للؤمه في الجزاء. على ابياتي الستة الاجزاء. فحذف منها جزوين. ونقص من اوزانها وزنين. حتى صار الرزء فيها رزئين. فقال له بين ما اخذ ومن اين فلذ. فقال ارعني سمعك. واخل للتفهم عني ذرعك. حتى يتبين كيف اضلت علي. وتقدر قدر اجترامه الي. وانشد.

يا خاطب الدنيا الدنية ... انها شرك الردى
دار متى ما اضحكت ... في يومها ابكت غدا

واذا

وإذا أظلّ سحابها ⁂ لم ينتقع منه صدى
غداراتها ما تنقضي ⁂ وأسيرها لا يفتدى
كم من دهي بغرورها ⁂ حتى بدا متمرّدا
قلبت له ظهر المجنّ ⁂ وأولغت فيه المدى
فاربأ بعمرك أن يمرّ ⁂ مضيّعًا فيها سدى
واقطع علائق حبّها ⁂ وطلابها تلق الهدى
وارقب إذا ما سالمت ⁂ من حربها حرب العدى
واعلم بأنّ خطوبها ⁂ تفجا ولو طال المدى

فالتفت الوالي إلى الغلام وقال له: تبًّا لك من خرّيج مارق، وتلميذ سارق
فقال الفتى: برئت من الأدب وبنيه، ولحقت بمن يناويه، وقوّض مبانيه
إن كان أبياته نمت إلى علمي، قبل أن ألّفت نظمي، وإنّما اتّفق توارد الخواطر
كما يقع الحافر على الحافر. قال: فكأنّ الوالي جوّز تصديق زعمه، فندم
على بادرة ذمّه، وظلّ يفكّر فيما يكشف له عن الحقائق، ويميّز به الفائق
من المائق، فلم ير إلّا أخذهما بالمناضلة، ولزّهما في قرن المساجلة.
فقال لهما: إن أردتما افتضاح العاطل، واتّضاح الحقّ من الباطل، فترسّلا في
النظم وتباريا، وتجاولا في حلبة الإجازة وتجاريا، ليهلك من هلك عن
بيّنة، ويحيى من حيّ عن بيّنة. فقالا له بلسان واحد، وصواب متوارد:
قد رضينا بسبرك، فمرنا بأمرك. فقال: إنّي مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس،
وأراه لها كالرئيس، فانظما الآن عشرة أبيات تلحمانها بوشيه، وترصّعانها
بحليه، وضمّنا شرح حالي مع ألف بديع الصفة، ألمى الشفة، مليح التثنّي

كثير التيه والتجني ۞ مغرى بتناسي العهد واطالة الصد ۞ واخلاف الوعد
وانا له كالعبد قال فبرز الشيخ مجليا ۞ وتلاه الفتى مصليا ۞ وتجاريا
بيتا فبيتا على هذا النسق ۞ الى ان كمل نظم الابيات واتسق ۞

وأحوى حوى رقي برقة ثغره ۞ وغادرني الف السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وانني ۞ لفي اسره مذ حاز قلبي باسره
اصدق منه الزور خوف ازوراره ۞ وارضى استماع الهجر خشية هجره
واستعذب التعذيب منه وكلما ۞ اجد عذابي جد بي حب بره
تناسى ذمامي والتناسي مذمة ۞ واحفظ قلبي وهو حافظ سره
واعجب ما فيه التباهي بعجبه ۞ واكبره عن ان افوه بكبره
له مني المدح الذي طاب نشره ۞ ولي منه طي الود من بعد نشره
ولو كان عدلا ما تجنى وقد جنى ۞ علي وغيري يجتني رشف ثغره
ولولا تثنيه ثنيت اعنتي ۞ بدارا الى من اجتلي نور بدره
واني على تصريف امري وامره ۞ ارى المر حلوا في انقيادي لامره

فلما انشداها الوالي متراسلين ۞ بهت لذكائهما المتعادلين ۞ وقال
اشهد بالله انكما لفرقدا سماء ۞ وكزندين في وعاء ۞ وان هذا الحدث
لينفق مما اتاه الله ۞ ويستغني بوجده عمن سواه ۞ فتب ايها الشيخ من
اتهامه ۞ وتب الى كلامه ۞ فقال الشيخ هيهات ان تراجعه مقتي ۞
او تعلق به ثقتي ۞ وقد بلوت كفرانه للصنيع ۞ ومنيت منه بالعقوق
الشنيع ۞ فاعترضه الفتى بان قال يا هذا ان اللجاج شؤم ۞ والخرق لؤم
وتحقيق الظنة اثم ۞ واعنات البري ظلم ۞ وهبني اقترفت جريرة ۞ او اجترحت

كبيرة

كبيرة. أما تذكر إذ أنشدتني لنفسك. في أبان أنسك

سامح أخاك إذا خلط . منه الإصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه . إن زاغ يوما أو قسط
واحفظ صنيعك عنده . شكر الصنيعة أم غبط
وأطعه إن عاصى وهن . إن عز وادن إذا شحط
وأقن الوفاء وإن أخل . بما اشترط وما اشترط
واعلم بأنك إن طلبت . مهذبا رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قط . ومن له الحسنى فقط
أوما ترى المحبوب وال . مكروه لزا في نمط
كالشوك يبدو في الغصو . ن مع الجنى الملتقط
ولذاذة العمر الطويل . يشوبها نغص الشمط
ولو انتقدت بني الزمان . وجدت أكثرهم سقط

قال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصل. ويحملق حملقة البازي المطل. ثم قال والذي زين السماء بالشهب. وأنزل الماء من السحب. ما رغبت عن الاصطلاح. إلا لتوقي الافتضاح. فإن هذا الفتى اعتاد أن أمونه. وأراعي شؤونه. وقد كان الدهر يسح. فلم أكن أشح. فأما الآن فالوقت عبوس. وحشو العيش بوس. حتى إن بزتي عارة. وبيتي لا تطور به فارة. قال فرق لمقالهما قلب الوالي. وأوعى لهما من غير الليالي. وصبا إلى اختصاصهما بالإسعاف. وأمر للنظارة بالانصراف. قال الراوي وكنت متشوقا إلى مرأى الشيخ لعلي أعلم علمه. إذا عاينت وسمه.

ولم يكن الزحام يسفر عنه • ولا يفرج لي فادنو منه • فلما تقوضت الصفوف
واجفل الوقوف • توسمته فاذا هو ابو زيد والفتى فتاه • فعرفت حينئذ
مغزاه فيما اتاه • وكدت انقض عليه • لاستعرف اليه • فزجرني بايماض
طرفه • واستوقفني بايماء كفه • فلزمت موقفي • واخرت منصرفي • فقال
الوالي ما مرامك • ولا تسبب مقامك • فابتدره الشيخ وقال انه انيسي
وصاحب ملبوسي • فتبسم حينئذ عند هذا القول بتانيسي • ورخص في
جلوسي • ثم افاض عليهما خلعتين • ووصلهما بنصاب من العين
واستعهدهما ان يتعاشرا بالمعروف • الى اظلال اليوم المخوف • فنهضا من
ناديه • مشتدين بشكر اياديه • وتبعتهما لاعرف مثواهما • واتزود من
نجواهما • فلما اجزنا حمى الوالي • وافضينا الى الفضاء الخالي • ادركنا احد
جلاوزته • مهيبا بي الى حوزته • فقلت لابي زيد ما اظنه استحضرني
الا ليستخبرني • فماذا اقول له • وفي واد معه اجول • فقال بين له غباوة اي
قلبه • وتلاعبي بلبه • ليعلم ان ريحه لاقت اعصارا • وجدوله صادف
تيارا • فقلت اخاف ان يتقد غضبه • فيلحقك لهبه • او يستشري طيشه
فيسري اليك بطشه • فقال اني ارحل الان الى الرها • وانى يلتقي سهيل
والسها • فلما حضرت الوالي وقد خلا مجلسه • وانجلى تعبسه • اخذ
يصف ابا زيد وفضله • ويذم الدهر له • ثم قال نشدتك الله الست
الذي اعاره الدست • فقلت والذي اجلسك في هذا الدست • ما انا
بصاحب ذاك الدست • بل انت الذي تم عليه الدست • فازورت مقلتاه
واحمرت وجنتاه • وقال والله ما اعجزني قط نفخ مريب • ولا تكشيف

معيب

معيب. ولكن ما سمعت بأن شخصا دلس. بعد ما تطلس. فبهذا تم له أن
لبس. أفتدري أين سكع ذلك الألكع. فقلت أشفق منك لتعدي طوره
فظعن عن بغداذ من فوره. فقال لا قرب الله له نوى. ولا كلاه اين ثوى
فما زاولت أشد من نكره. ولا ذقت أمر من مكره. ولولا حرمة أدبه. لأ
معنت في طلبه. إلى أن يقع فأوقع به. وإني لأكره أن تشيع فعلته بمدينة
السلام. فأفتضح بين الأنام. وتحبط مكاني عند الإمام. وأصير ضحكة
الخاص والعام. فعاهدني على أن لا أفوه بما اعتمد. ما دمت حلا بهذا
البلد. قال الحرث فعاهدته معاهدة من لا يتأول. ووفيت له كما وفى السموءل

المقامة الرابعة والعشرون

وتعرف بالقطيعية

حكى الحرث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع. في أوان الربيع
فتية وجوههم أبهج من أنواره. وأخلاقهم أبهج من أزهاره. وألفاظهم
أرق من نسيم أسحاره. فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر. ويغني
عن رنات المزاهر. وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد. وحظر الاستبداد
وألا ينفرد أحدنا بالتذاذ. ولا يستأثر ولو بقطر رذاذ. فأجمعنا في يوم سما
دجنه ونمى حسنه. وحكم الاصطباح مزنه. على أن ننتهي بالخروج
إلى بعض المروج. لنسرح النواظر. في النواضر. ونصقل الخواطر
بشيم المواطر. فبرزنا ونحن كالشهور عدة. وكندماني خذيمة مودة
إلى حديقة قد أخذت زخرفها وازينت. وتنوعت أزاهيرها وتنورت

وَمَعَنَا الْكُمَيْتُ الشُّمُوسُ ❊ وَالسُّقَاةُ الشُّمُوسُ ❊ وَالشَّادِي الَّذِي يُطْرِبُ السَّامِعَ وَيُلْهِيهِ ❊ وَيَقْرِي كُلَّ سَمْعٍ مَا يَشْتَهِيهِ ❊ فَلَمَّا اطْمَأَنَّ بِنَا الْجُلُوسُ وَدَارَتْ عَلَيْنَا الْكُؤُوسُ ❊ وَغَلَّ عَلَيْنَا ذِمْرٌ ❊ عَلَيْهِ طِمْرٌ ❊ فَتَجَهَّمْنَاهُ تَجَهُّمَ الْغِيدِ الشَّيْبَ ❊ وَوَجَدْنَا صَفْوَ يَوْمِنَا قَدْ شِيبَ ❊ إِلَّا أَنَّهُ سَلَّمَ تَسْلِيمَ أُولِي الْفَهْمِ ❊ وَجَلَسَ يُفِيضُ لَطَائِمَ النَّثْرِ وَالنَّظْمِ ❊ وَنَحْنُ نَزْوِي مِنْ انْبِسَاطِهِ ❊ وَنَزْرِي لِطَيِّ بِسَاطِهِ ❊ إِلَى أَنْ غَنَّى شَادِينَا الْمُغْرِبُ ❊ وَمُغَرِّدُنَا الْمُطْرِبُ ❊

أَلَا يَا سُعَادُ لَا تَصِلِينَ حَبْلِي ❊ وَلَا تَأْوِينَ لِي مِمَّا أُلَاقِي
صَبَرْتُ عَلَيْكِ حَتَّى عِيلَ صَبْرِي ❊ وَكَادَتْ تَبْلُغُ الرُّوحُ التَّرَاقِي
وَهَا أَنَا قَدْ عَزَمْتُ عَلَى انْتِصَافٍ ❊ أُسَاقِي فِيهِ خِلِّي مَا أُسَاقِي
فَإِنْ وَصْلًا أَلَذُّ بِهِ فَوَصْلٌ ❊ وَإِنْ صَرْمًا فَصَرْمٌ كَالطَّلَاقِ

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ فَاسْتَبْهَمْنَا الْعَابِثَ بِالْمَثَانِي ❊ لِمَ نَصَبَ الْأَوَّلَ وَرَفَعَ الثَّانِي ❊ فَأَقْسَمَ بِتُرْبَةِ أَبِيهِ ❊ لَقَدْ نَطَقَ بِمَا اخْتَارَهُ سِيبَوَيْهِ ❊ فَتَشَعَّبَتْ حِينَئِذٍ آرَاءُ الْجَمْعِ ❊ فِي تَجْوِيزِ النَّصْبِ وَالرَّفْعِ ❊ فَقَالَتْ فِرْقَةٌ رَفْعُهُمَا هُوَ الصَّوَابُ ❊ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ لَا يَجُوزُ فِيهِمَا إِلَّا الِانْتِصَابُ ❊ وَاسْتَبْهَمَ عَلَى آخَرِينَ الْجَوَابُ ❊ وَاسْتَعَرَ بَيْنَهُمُ الِاصْطِخَابُ ❊ وَذَلِكَ الْوَاغِلُ يُبْدِي ابْتِسَامَ ذِي مَعْرِفَةٍ ❊ وَإِنْ لَمْ يَفُهْ بِبِنْتِ شَفَةٍ ❊ حَتَّى إِذَا سَكَتَ الزَّمَاجِرُ وَصَمَتَ الْمَزْجُورُ وَالزَّاجِرُ ❊ قَالَ يَا قَوْمُ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ❊ وَأُمَيِّزُ صَحِيحَ الْقَوْلِ مِنْ عَلِيلِهِ ❊ إِنَّهُ لَيَجُوزُ رَفْعُ الْوَصْلَيْنِ وَنَصْبُهُمَا ❊ وَالْمُغَايَرَةُ

في الاعراب بينهما وذلكم بحسب اختلاف الاضمار والتقدير المحذوف
في هذا المضمار قال من الجماعة افراط في ممارته وانخراط الى مباراته
فقال اما اذ دعوتم نزال وتلببتم للنضال فما كلمة هي ان شئتم حرف
محبوب او اسم لما فيه حرف حلوب واي اسم يتردد بين فرد حازم جازم
وجمع ملازم واية هاء اذا التحقت اماطت الثقل واطلقت المعتقل
واين تدخل السين فتعزل العامل من غير ان تجامل وما منصوب
ابدا على الظرف لا يخفضه سوى حرف واي مضاف اخل من عرى
الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة وما العامل
الذي يتصل اخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله واي عامل نائبه
ارحب منه وكرا واعظم مكرا واكثر لله ذكرا وفي اي موطن
يلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم
الرجال واين يجب حفظ المراتب على المضروب والضارب وما
اسم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على حرفين وفي وضعه
الاول التزام وفي الثاني الزام وما وصف اذا اردف بالنون
نقص صاحبه بالعيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض
للهون فهذه ثنتا عشرة مسئلة وفق عددكم وزنة لددكم ولو
زدتم زدنا وان عدتم عدنا قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا
من احاجيه اللاتي هالت لما انهالت ما حارت له الالباب وحالت
فلما اعجزنا العوم في بحره واستسلمت تمائمنا لسحره عدلنا عن
استثقال الرؤية له الى استنزال الرواية عنه ومن بغي التبرم

بِهِ إِلَى اتِّبَاعِ التَّعَلُّمِ مِنْهُ : فَقَالَ وَالَّذِي نَزَّلَ النَّحْوَ فِي الْكَلَامِ : مَنْزِلَةَ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ : وَحَجَبَ مَطَالِعَهُ عَنْ بَصَائِرِ الطَّغَامِ : لَا أَنَلْتُكُمْ مَرَامًا وَلَا شَفَيْتُ لَكُمْ غَرَامًا : أَوْ تُخَوِّلَنِي كُلٌّ يَدٍ : وَتَخُصَّنِي كُلٌّ مِنْكُمْ بِيَدٍ : فَلَمْ يَبْقَ فِي الْجَمَاعَةِ إِلَّا مَنْ أَذْعَنَ لِحُكْمِهِ : وَنَبَذَ إِلَيْهِ خَبَاةَ كُمِّهِ : فَلَمَّا حَصَّلَهُ تَحْتَ وِكَائِهِ : أَضْرَمَ شُعْلَةَ ذَكَائِهِ : فَكَشَفَ حِينَئِذٍ مِنْ أَسْرَارِ أَلْغَازِهِ وَبَدَائِعِ إِعْجَازِهِ : مَا جَلَا بِهِ صَدَا الْأَذْهَانِ : وَجَلَا مَطْلَعَهُ بِنُورِ الْبُرْهَانِ قَالَ الرَّاوِي فَهِمْنَا حِينَ فَهِمْنَا : وَعَجِبْنَا إِذْ أُجِبْنَا : وَنَدِمْنَا عَلَى مَا نَدَّ مِنَّا : وَأَخَذْنَا نَعْتَذِرُ إِلَيْهِ اعْتِذَارَ الْأَكْيَاسِ : وَنَعْرِضُ عَلَيْهِ ارْتِضَاعَ الْكَأْسِ فَقَالَ مَآرِبٌ لَا حَفَاوَةٌ : وَمَشْرَبٌ لَمْ تَبْقَ مِنِّي حَلَاوَةٌ : فَأَطْلَبْنَا مُرَاوَدَتَهُ وَوَالَيْنَا مُعَاوَدَتَهُ : ثُمَّ شَمَخَ بِأَنْفِهِ صَلَفًا : وَنَأَى بِجَانِبِهِ أَنَفًا وَأَنْشَدَ

نَهَانِي الشَّيْبُ عَمَّا فِيهِ أَفْرَاحِي : فَكَيْفَ أَجْمَعُ بَيْنَ الرَّاحِ وَالرَّاحِ
وَهَلْ يَجُوزُ اصْطِبَاحِي مِنْ مُعَتَّقَةٍ : وَقَدْ أَنَارَ مَشِيبُ الرَّأْسِ إِصْبَاحِي
آلَيْتُ مَا خَامَرَتْنِي الْخَمْرُ مَا عَلِقَتْ : رُوحِي بِجِسْمِي وَأَلْفَاظِي بِإِفْصَاحِي
وَلَا اكْتَسَتْ لِي بِكَاسَاتِ السُّلَافِ يَدٌ : وَلَا أَجَلْتُ قِدَاحِي بَيْنَ أَقْدَاحِي
وَلَا صَرَفْتُ إِلَى صِرْفٍ مُشَعْشَعَةٍ : هَمِّي وَلَا رُحْتُ مُرْتَاحًا إِلَى الرَّاحِ
وَلَا نَظَمْتُ عَلَى مَشْمُولَةٍ أَبَدًا : شَمْلِي وَلَا اخْتَرْتُ نُدْمَانًا سِوَى الصَّاحِي
مَحَا الْمَشِيبُ مِرَاحِي حِينَ خَطَّ عَلَى : رَأْسِي فَأَبْغِضْ بِهِ مِنْ كَاتِبٍ مَاحِي
وَلَاحَ يَلْحَى عَلَى جَرْيِ الْعِنَانِ إِلَى : مَلْهًى فَسُحْقًا لَهُ مِنْ لَائِحٍ لَاحِي
وَلَوْ لَهَوْتُ وَفَوْدِي شَائِبٌ لَخَبَا : بَيْنَ الْمَصَابِيحِ مِنْ غَسَّانَ مِصْبَاحِي
قَوْمٌ سَجَايَاهُمُ تَوْقِيرُ ضَيْفِهِمِ : وَالشَّيْبُ ضَيْفٌ لَهُ التَّوْقِيرُ يَا صَاحِ

ثم انه

ثم انه انساب انسياب الايم ✽ واجفل اجفال الغيم ✽ فعلمت انه سراج سروج ✽ وبدر الادب الذى يجتاب البروج ✽ وكان قصارنا التحرق لبعده والتفرق من بعده تفسير ما اودع هذه المقامة من نكت العربية والاحاجى النحوية اما صدر البيت الاخير الذى هو ✽ فان وصلا الذ به فوصل فانه نظير قولهم ✽ المرء مجزى بعمله ان خيرا فخير ✽ وان شرا فشر ✽ وهذه المسيلة ✽ اودعها سيبويه كتابه وجوز اعرابه على ربعة اوجه ✽ احدها وهو اجودها ✽ ان تنصب خيرا الاول وترفع الثانى ✽ وتنصب شرا الاول فترفع الثانى ✽ ويكون تقديره ✽ ان كان عمله خيرا فجزاوه خير ✽ وان كان شرا ✽ فجزاوه شر ✽ فينتصب الاول على انه خبر كان ✽ وترفع الثانى على انه خبر مبتدا محذوف ✽ وقد حذفت فى هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط الذى هو ان على تقديرها ✽ وحذفت المبتدا ايضا لدلالة الفاء التى هى جواب الشرط عليه ✽ لانه كثيرا ما يقع بعدها ✽ والوجه الثانى ان تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان عمله خيرا ✽ فهو يجزى خيرا وان كان عمله شرا فهو يجزى شرا ✽ فينتصب الاول على انه خبر كان ✽ وينتصب الثانى انتصاب المفعول به ✽ والوجه الثالث ان ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان فى عمله خير فجزاوه خير ✽ فيرتفع خير الاول على انه اسم كان ✽ ويرتفع خير الثانى على ما بين فى شرح الوجه الاول ✽ وقد يجوز ان يرتفع خير الاول على انه فاعل كان ✽ ويجعل كان المقدرة ههنا هى التامة التى تاتى بمعنى حدث ووقع ✽ فلا يحتاج الى خبر كقوله تع ✽ وان كان ذو عسرة ✽ ويكون التقدير فى المسيلة ان كان

خيرٌ اى ان حدث خيرٌ فجزاوه خيرٌ ؛ والوجه الرابع وهو اضعفها ان
يرفع خيرٌ الاول على ما تقدم شرحه فى الوجه الثالث ؛ وتنصب الثانى على ما
بُيِّنَ ذكره فى الوجه الثانى ويكون التقدير ؛ ان كان فى عمله خيرٌ فهو يجزى خيرًا
وعلى حسب هذا التفسير والمقدرات المحذوفات فيه يجرى اعراب البيت الذى
عنى به ؛ ومما ينتظم فى هذا السلك قولهم المرءُ مقتولٌ بما قتلَ به ان سيفًا
فسيفٌ وان خنجرًا فخنجرٌ ؛ واما الكلمةُ التى هى حرفٌ محبوبٌ او اسمٌ لما فيه
حرفٌ حلوبٌ فهى نعم ؛ ان اردت بها تصديق الاخبار او العدة عند السوآل
فهى حرفٌ ؛ وان عنيتَ بها الابلَ فهى اسم والنعمُ تذكّر وتؤنّث ؛ وينطلق على
الابل وعلى كل ماشية فيها ابلٌ ؛ وفى الابل الحرف وهى الناقة الضامرة سميت
حرفًا تشبيهًا بحرف السيف ؛ وقيل انها الضخمة تشبيهًا بحرف الجبل ؛ واما
الاسم المتردد بين حازمٍ وجمعٍ ملازمٍ ؛ فهو سراويل ؛ قال بعضهم هو واحد
وجمعه سراويلاتٌ ؛ فعلى هذا القول فردٌ وكُنِى عن ضمه الخصر بانه حازمٌ وقال
اخرون هو جمعٌ وواحدهُ سِرْوَالٌ ؛ مثل شِمْلَالٍ وشماليلَ فعلى هذا القول هو
جمع ومعنى قولنا ملازم اى لا ينصرف ؛ وانما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو
كلُّ جمعٍ ثالثهُ الفٌ بعدها حرفٌ مشدد او حرفان او ثلثة احرف لثقله وتفرده
دون غيره من الجموع بانْ لا نظير له فى الاسماء الاحاد ؛ لانه لا يوجد اسمٌ موحدٌ
على وزن دَوَابَّ ؛ ولا منابرَ ولا قناعيسَ ؛ وقد كنى فى هذه الاحجية عما
لا ينصرف بالملازم ؛ واما الهاء التى اذا التحقت اماطت الثقلَ ؛ واطلقت
المعتقل ؛ فهى الهاءُ اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك صيارفةٌ وصياقلةٌ
فينصرف هذا الجمع عند لحاق الهاء به لانها قد اصارته الى مثال الاحاد ؛

نحو رفاهيتنه وكراهينه فخفف بهذا السبب وصرف لهذه العلة ۞ وقد كُنى
بهذه الاحجية عما لا ينصرف بالمنتقل ۞ كما كُنى فى التى قبلها عما لا ينصرف بالملازم
۞ واما السين التى تعزل العامل من غير ان تجامل ۞ فهى اذا دخلت على الفعل
المستقبل وفصلت بينه وبين ان التى كانت قبل دخولها من ادوات
النصب فيرتفع حينئذٍ الفعل ۞ وينتقل عن كونها الناصبة للفعل ۞ الى
ان تصير المخففة ٧ الثقيلة ۞ وذلك كقوله تع ۞ علم ان سيكون منكم مرضى ٧ من
وتقديره انه سيكون منكم مرضى ۞ واما المنصوب على الظرف الذى لا يخفضه
سوى حرف فهو عند ولا يجره غير من خاصة ۞ وقول العامة ذهبت الى
عنده لحن ۞ واما المضاف الذى اذا اُخلَّ من عُرى الاضافة بعروة ۞ واختلف
حكمه بين مساءٍ وغدوة فهو لدن ۞ ولدن من الاسما الملازمة للاضافة
وكل ما ياتى بعدها مجرور بها ۞ الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة
استعمالها عندهم فى الكلام ۞ ثم نونتها ايضاً لتبين بذلك انها منصوبة ۞ لا
انها من نوع المجرورات التى لا تنصرف ۞ وعند بعض النحويين ۞ ان لدن بمعنى
عند ۞ والصحيح ان بينهما فرق لطيف وهو ان عند يشتمل معناها على ما هو
فى ملكتك ومُكنتك مما دنا منك وبعد عنك ۞ ولدن يختص معناها بما حضر
وقرب منك ۞ واما العامل الذى يتصل اخره باوله ۞ ويعمل معكوسه
مثل عمله فهو يا ۞ ومعكوسه اى ۞ وكلتاهما من حروف الندا ۞ وعملهما فى
الاسم المنادى سيان على حدٍ واحد ۞ وان كان يا اصول فى الكلام ۞ واكثر
فى الاستعمال ۞ وقد اختار بعضهم ان ينادى باى القريب فقط ۞ واما العامل
الذى نايبه ارحب منه وكراً ۞ واعظم مكراً ۞ واكثر لله تعالى ذكراً ۞ هو با

القسم، وهذه البا هي اصل حروف القسم، بدلالة استعمالها مع ظهور فعل
القسم في قولك اقسم بالله، ولدخولها على المضمر ايضًا، كقولك بك لافعلنّ على
ثم بدلت الواو منها في القسم، لانهما جميعًا من حروف الشفة، ثم لتناسب
معناهما، لان الواو تفيد الجمع، والبا تفيد الالصاق، والمعنيان متقاربان
ثم صارت الواو المبدلة من البا، ادور في الكلام، واعلق بالاقسام، ولهذا
الفرع منها بانها اكثر لله تعالى ذكرًا، ثم ان الواو اكثر موطنًا من البا، لان
البا لا تدخل الا على الاسم، ولا تعمل غير الجر، والواو تدخل على الاسم والفعل
والحرف جميعًا، وتجر تارة بالقسم، وتارة باضمار رُبَّ، وتنتظم ايضا مع نواصب
الفعل، وادوات العطف، فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر، واما
الموطن الذي يلبس فيه الذكران براقع النسوان، وتبرز فيه ربات الحجال
بعمايم الرجال، فهو اول مراتب العدد المضاف، وذلك ما بين الثلاثة الى
العشرة، فانه يكون مع المذكر بالها، ومع المونث بحذفها، كقوله تع سخرها
عليهم سَبْعَ لَيالٍ وثمانية ايام، والها في غير هذا الموطن من خصايص
التانيث كقولك قايمٌ وقايمةٌ، وعالمٌ وعالمةٌ، فقد رايت كيف انعكس
في هذا الموطن حكم المذكر والمونث، حتى انقلب كل واحد منهما في ضد قالبه
وبرز في بزّة صاحبه، واما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب، على
المضروب والضارب، فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول، لتعذر ظهور
علامة الاعراب فيهما، او في احدهما، وذلك اذا كانا مقصورين، مثل موسى
وعيسى، او من اسما الاشارة نحو ذلك وهذا، فيجب لازالة اللبس اقرار
كل واحدٍ منهما في رتبته، لِيُعْرَفَ الفاعل منهما بتقدّمه، والمفعول بتاخره

ولما

وأما الاسم الذي لا يفهم الا باستضافة كلمتين او الاقتصار منه على حرفين
فهو مهما وفيها قولان احدهما انها مركبة من مه التي بمعنى الكف ومن ما
والقول الثاني وهو الصحيح ان الاصل ما فيها وزيدت عليها ما اخرى كما
يزاد على ان فصار لفظها ما ما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فابدلوا
من الالف الاولى هاءً فصارتا مهما ومهما من ادوات الشرط والجزاء ومتى
لفظت بها لم يتم الكلام ولا يُعقَل المعنى إلا بايراد كلمتين بعدها كقولك
مهما تفعل افعل ويكون حينئذٍ ملتزمًا للفعل وان اقتصرت منها على
على حرفين وهما مه التي بمعنى الكف فُهِمَ المعنى وكنت مَنْ خاطبته ان
يُكف واما الوصف الذي اذا اُرْدِفَ بالنون نقص صاحبه في العيون وقُوِّم
بالدون وخرج من الزبون وعرض للهون فهو ضيفٌ اذا الحقته النون
استحال الى ضيفن وهو الذي يتبع الضيف ويتنزّل في النعد منزلة الضيف

المَقَامَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ

وَتُعْرَفُ بِالْكَرَجِيَّةِ

حَكَى الْحَرْثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ شَتَوْتُ بِالْكَرَجِ لِدَيْنٍ اَقْتَضِيهِ وَأَرَبٍ اَقْضِيهِ
فَبَلَوْتُ مِنْ شِتَائِهَا الْكَالِحِ وَصِرِّهَا النَّافِخِ مَا عَرَّفَنِي جَهْدَ الْبَلَاءِ وَعَكَفَ
بِي عَلَى الاِصْطِلَاءِ فَلَمْ اَكُنْ اُزَايِلُ وِجَارِي وَمُسْتَوْقَدَ نَارِي اِلَّا لِضَرُورَةٍ
اُدْفَعُ اِلَيْهَا اَوْ اِقَامَةِ جَمَاعَةٍ اُحَافِظُ عَلَيْهَا فَاضْطُرِرْتُ فِي يَوْمٍ جَوُّهُ مُزْمَهِرٌّ
وَدَجْنُهُ مُكْفَهِرٌّ اِلَى اَنْ بَرَزْتُ مِنْ كِنَانِي لِمُهِمٍّ عَنَانِي فَاِذَا شَيْخٌ عَارِي
الْجِلْدَةِ بَادِي الْجُرْدَةِ قَدِ اعْتَمَّ بِرَيْطَةٍ وَاسْتَثْفَرَ بِفُوَيْطَةٍ وَحَوَالَيْهِ
جَمْعٌ كَثِيفُ الْحَوَاشِي وَلَا يُحَاشِي وَهُوَ يُنْشِدُ شعرًا

يا قوم لا ينبئكم عن فقري ❊ اصدق من عربي أوان القر
فاعتبروا بما بدا من ضري ❊ باطن حالي وخفي امري
وحاذروا انقلاب سلم الدهر ❊ فانني كنت نبيه القدر
آوي الى وفر وحد يفري ❊ تقيد صفري وتبيد سمري
وتشتكي كومي غداة اقري ❊ تجرد الدهر سيوف الغدر
وشن غارات الرزايا الغبر ❊ ولم يزل يسحتني ويبري
حتى عفت داري وغاض دري ❊ وباد شعري في الورى وشعري
وصرت نضو فاقة وعسر ❊ عاري المطا مجردا من قشري
كأنني المغزل في التعري ❊ لا دفء لي في الصن والصنبر
غير التضحي واصطلاء الجمر ❊ فهل خضم ذو رداء غمر
يسترني بمطرف او طمر ❊ طلاب وجه الله لا لشكري

ثم قال يا أرباب الثراء ❊ الرافلين في الفراء ❊ ومن اوتي خيرا فلينفق ومن استطاع ان يرفق فليرفق ❊ فان الدنيا غرور ❊ والدهر عثور ❊ والمكنة زورة طيف ❊ والفرصة مزنة صيف ❊ واني والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته ❊ واعددت له الأهب قبل موافاته ❊ وها انا اليوم يا سادتي ❊ ساعدي وسادتي ❊ وجلدي بردتي ❊ وجفنتي حفنتي ❊ فليعتبر العاقل بحالي ❊ وليبادر صرف الليالي ❊ فان السعيد من اتعظ بسواه ❊ واستعد لمسراه ❊ فقيل له قد جلوت علينا ادبك فاجل لنا نسبك ❊ فقال تبا لمفتخر ❊ بعظم نخر ❊ وانما الفخر بالتقى ❊ والأدب المنتقى ❊

ثم انشد

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ ۞ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنُ أَمْسِهِ
وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظْمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا ۞ فَخَارُ الَّذِي يَبْغِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ

ثُمَّ جَلَسَ مُحْقَوْقِفًا وَاجْرَمَزَّ مُقَفْقِفًا وَقَالَ اللّٰهُمَّ يَا مَنْ غَمَرَ بِنَوَالِهِ وَأَمَرَ بِسُؤَالِهِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعِنِّي عَلَى الْبَرْدِ وَأَهْوَالِهِ وَأَتِحْ حُرًّا يُؤْثِرُ مِنْ خَصَاصَتِهِ وَيُوَاسِي وَلَوْ بِخَصَاصَتِهِ قَالَ الرَّاوِي فَلَمَّا جَلَّى عَنِ النَّفْسِ الْعِصَامِيَّةِ وَالْمُلَحِ الْأَصْمَعِيَّةِ جَعَلَتْ مَلَامِحُ عَيْنِي تَتَجَمَّهُ وَمَرَامِي لَحْظِي تَرْجُمُهُ حَتَّى اسْتَبَنْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ وَأَنَّ تَعَرِّيَهُ حِبَالَةٌ لِلصَّيْدِ وَلَمَحَ هُوَ أَنَّ عِرْفَانِي قَدْ أَدْرَكَهُ وَلَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَهْتِكَهُ فَقَالَ أُقْسِمُ بِالسَّمَرِ وَالْقَمَرِ وَالزُّهْرِ وَالزَّهَرِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتُرْنِي إِلَّا مَنْ طَابَ خِيمُهُ وَأُشْرِبَ مَاءَ الْمُرُوَّةِ أَدِيمُهُ فَفَطِنْتُ لِمَا عَنَاهُ وَإِنْ خَفِيَ عَلَى الْقَوْمِ مَعْنَاهُ وَسَاءَنِي مَا يُعَانِيهِ مِنَ الرِّعْدَةِ وَانْتِشَارِ الْجِلْدَةِ فَعَمَدْتُ لِفَرْوَةٍ هِيَ بِالنَّهَارِ رِيَاشِي وَفِي اللَّيْلِ فِرَاشِي فَنَضَوْتُهَا عَنِّي وَقُلْتُ اقْبَلْهَا مِنِّي فَمَا كَذَّبَ أَنِ افْتَرَاهَا وَعَيْنِي تَرَاهَا ثُمَّ أَنْشَدَ

لِلّٰهِ مَنْ أَلْبَسَنِي فَرْوَةً ۞ أَضْحَتْ مِنَ الرِّعْدَةِ لِي جُنَّهْ
أَلْبَسَنِيهَا وَاقِيًا مُهْجَتِي ۞ وُقِيَ شَرَّ الْإِنْسِ وَالْجِنَّهْ
سَيَكْتَسِي الْيَوْمَ ثَنَائِي ۞ وَفِي غَدٍ سَيَكْتَسِي سُنْدُسَ الْجَنَّهْ

قَالَ فَلَمَّا فَتَنَ قُلُوبَ الْجَمَاعَةِ بِافْتِنَانِهِ فِي الْبَرَاعَةِ أَلْقَوْا عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَاءِ الْمُغَشَّاةِ وَالْجِبَابِ الْمُوَشَّاةِ مَا آدَهُ ثِقْلُهُ وَلَمْ يَكَدْ يُقِلُّهُ فَانْطَلَقَ مُسْتَبْشِرًا بِالْفَرَجِ مُسْتَسْقِيًا لِلْكَرَجِ وَتَبِعْتُهُ إِلَى حَيْثُ ارْتَفَعَتِ التَّقِيَّةُ وَبَدَتِ السَّمَاءُ نَقِيَّةً فَقُلْتُ لَهُ لَشَدَّ مَا قَرَسَكَ الْبَرْدُ فَلَا تَتَعَرَّ مِنْ بَعْدُ

فقال ويك ليس من العدل، سرعة العذل، فلا تعجل بلوم هو ظلم ولا تقف ما ليس لك به علم، فوالذي نوّر الشيبة، وطيّب تربة طيبة لو لم اتعرّ لرحت بالخيبتين، وصفر العيبتين، ثم نزع الى الفرار، وتبرقع بالاكفهرار، وقال اما تعلم ان شنشنتي الانتقال من صيد الى صيد والانعطاف من عمرو الى زيد، واراك قد عقتني وعققتني، وافتّني اضعاف ما افدتني، فاعفني عافاك الله من لغوك، واسدد دوني باب جدّك ولهوك، فجبذته جبذ الثعالب، وحجحجت به للدعابة، فقلت والله لقد هممت اوارك، ولم اغطّ عوارك، لما وصلت الى صلتي، ولا كنت تنقلب الكسي من بصلتي، فجازني عن احساني اليك، وسترى لك وعليك، بان تسمح لي ببرد الفروة، او تعرّسني كافات الشتوة، فنظر الي نظر المتعجب وازمهرّ ازمهرار المتغضب ثم قال اما ردّ الفروة فابعد من ردّ امس الدابر، واميت الغابر، واما كافات الشتوة، فسبحان من طبع على ذهنك واوهى وعاء خزنك، حتى انسيت ما انشدتك بالدسكرة،

جاء الشتا وعندي من حوائجه ، سبع تدافع منها القرّ ان همسا
كنّ وكيس وكانون وكأس طلا ، بعد الكباب وكسّ ناعم وكسا

ثم قال لجواب يشفي خير من جلباب يدفي، فاكتف بما وعيت وانكفى فودّعته وقد ذهبت فروتي لشقوتي، وحصلت على الرعدة طول شتوتي

المقامة السادسة والعشرون

وتعرف بالرقطاء

حكى الحرث بن همام قال حللت سوق الاهواز، لابسا حلة الاعواز،

على

فلبثت

فلبثت فيها مدة أكابد شدة وأزجي أياما مسودة إلى أن رأيت تمادي
المقام من عوادي الانتقام فزممتها بعين القالي وفارقتها مفارقة
الظل البالي وظعنت عن وشلها كميش الإزار راكضا إلى المياه الغزار
حتى إذا سرت منها مرحلتين وبعدت سرى ليلتين تراءت لي خيمة مضروبة
ونار مشبوبة فقلت آتيهما لعلي أنقع صدى أو أجد على النار هدى فلما
انتهيت إلى ظل الخيمة رأيت غلمة روقة وشارة مرموقة وشيخا عليه
بزة سنية ولديه فاكهة جنية ثم تحاميته فضحك إلي وأحسن الرد
علي وقال لا تجلس إلى من تروق فاكهته وتشوق مفاكهته فجلست
لاغتنام محاضرته لا لالتهام ما بحضرته فحين سفر عن آدابه وكشر عن
أنيابه عرفت أنه أبو زيد بحسن ملحه وقبح قلحه فتعارفنا حينئذ
وحفت بي فرحتان ساعتئذ ولم أدر بأيهما أنا أصفى فرحا وأوفى مرحا
أبإسفاره من دجنة أسفاره أم بخصب رحاله بعد إمحاله وتاقت
نفسي إلى أن أفض ختم سره وأنظر داعية يسره فقلت له من أين
إيابك وإلى أين انسيابك وبم امتلأت عيابك فقال أما المقدم فمن
طوس وأما المقصد فإلى السوس وأما الجدة التي أصبتها فمن رسالة
اقتضبتها فسألته أن يعرشني دخلته ويسرد علي رسالته فقال
دون مرامك حرب البسوس أو تصحبني إلى السوس فصاحبته إليها
قهرا وعكفت بها عليه شهرا وهو يعللني كاسات التعليل ويجرني
أعنة التأميل حتى إذا حرج صدري وعيل صبري قلت له إنه لم
يبق لمعلة ولا لي تعلة وفي غد أزجر غراب البين وأرحل عنك بخفي

صنين • فقال حاش لله أن أخلفك • أو أخالفك • وما رجاءت أن أحدثك
إلا لأبثك • وإذ كنت قد استربت بعدتي • وأخال ظن السوء بمباعدتي
فاصخ لقصص سيرتي الممتدة • واصغها إلى أخبار الفرج بعد الشدة
فقلت هات فما أطول طيلك • وأهول حيلك • فقال اعلم أن الدهر
المعكوس لقاني إلى طوس • وأنا يومئذ فقير وقير • لا فتيل لي ولا نقير
فألجأني صفر اليدين • إلى التطوق بالدين • فادنت لسوء الإنفاق • ممن
هو عسر الأخلاق • وتوهمت تيسر النفاق • وتوسعت في الإنفاق
فما أفقت حتى بهضني دين لزمني حقه • ولازمني مستحقه • فحزن في
أمري • واطلعت غريمي على عسري • فلم يصدق إملاقي • ولا ترع عن
إرهاقي • بل جد في التقاضي • ولج في اقتيادي إلى القاضي • وكلما
خضعت له في الكلام • واستنزلت منه رفق الكرام • ورغبته في أن ينظر
لي بمياسرة • أو ينظرني إلى ميسرة • قال لا تطمع في الإنظار • واحتجان
النضار • أو تحقق ما أرى مسالك الخلاص • أو ترني سبائك الخلاص
فلما رأيت اشتداد لدده • وأن لا مناص من يده • شاغبته • ثم واثبته
ليرافعني إلى الوالي صاحب الجرائم • لا إلى الحاكم في المظالم • لما كان بلغني من
إفضال الوالي وتفضله • وتشدد القاضي وتحمله • فلما حضرنا باب أمير
طوس • أنست أن لا بأس ولا بؤس • فاستدعيت دواة وبيضاء
وأنشأت إليه رسالة رقطاء وهي • أخلاق سيدنا تحب • وبعقوته يلب
وقربه تحف • ونائله تلف • وخلته نسب • وقطيعته نصب • وغربه
ذلق • وشهبه تأتلق • وظلفه زان • وقويم نهجه بان • وذهنه قلب

وجربا

وجرّب ؛ وبعته شرق وغرب ؛ شعر

سيّد قلّب سبوق مبرّ ؛ فطن مغرب عزوف عيوف
مخلف متلف أغرّ فريد ؛ نابه فاضل ذكيّ أنوف
مفلق إن أبان طبّ إذا ؛ ناب هياج وجلّ خطب مخوف

مناظم شرفه تأتلف ؛ وشؤبوب حبايه يكف ؛ ونائل يديه فاض ؛ وشح
قلبه غاض ؛ وخلف سخائه يحتلب ؛ وذهب عبابه يحترب ؛ من لفّ لفّه
فلج وغلب ؛ وتاجر بابه خلب وجلب ؛ كفّ عن هضم بريء ؛ وبرئ من
دنس غويّ ؛ وقرن لبانه بعزّ ؛ ونكب عن مذهب كزّ ؛ ليس بوثّاب عند
نهزة شرّ بل يعفّ عفّة برّ ؛ شعرا ؛

فلذا يحبّ ويستحقّ عفافه ؛ شغفا به فلبانه خلّاب
أخلاقه عزّ ترقّ وفوقه ؛ فويق إذا ناضلته غلّاب
سمح يهشّ وذو تلاف إذ هفا ؛ خلّ فليس بحقّه يرتاب
لا باخل بل باذل خرق إذا ؛ يعترّ برّ لا يليه باب
إن عضّ أزل فلّ غرب عضاضه ؛ بعنايه فأنخت منه ناب

وجدير بمن لبّ ؛ وفطن وقرب ؛ وشطن أن أذعن ؛ لقريح زمن
وجابر زمن ؛ مذ رضع ثدي لبانه ؛ حضّ بإناضة تهتانه ؛ نعش
وفرّج ؛ وظافر فابتهج ؛ ونافر فازعج ؛ ووفاء بحقّ أبلج ؛ أتعب من
سيلى ؛ وقرظ إذ هزّ وبلي ؛ وتوّج صفانه ؛ بحبّ عفانه

شعر

فلا خلا بهجة ذا ؛ يمتدّ ظلّ خصبه ؛ فإنّه برّ بمن ؛ أنس ضوء شهبه
زان زايا ظرفه ؛ بلبس خوف ربّه ؛

فيهم سيدنا فوزه بمفاخر تأثلت وحلت • وفوته بصنائع نمت ونمت
ويلائم قرب حضرته غوث رقة بحظ من حظوته • فاته تبيد تذيب
وشريد جذب وجريح نوب • أثرت وناظم قلائد تيسرت • إذا جاش
الخطيب فلا يوجد قائل • ثم قس ثم باقل • فإن حبر قلت حبر نمت
وخلت رياضا قد نمت • هذا ثم شربه برض • وقوته قرض • وفلقه
غسق • وجلبابه خلق • وقد قلق لتوغر غريم غاشم • به يستحثه
بحق لازم • فإن منّ سيدنا بكفه • بهبات كفه • توشح بمجد فاق • وباء
بأجر فكي من وثاق • لا خلت سجايا خلقه • ترفد شائم برقه • بمنّ
رب أزلي حي أبدي • قال فلما استشف الأمير لآليها • ولمح السر المودوع
فيها • أوعز في الحال بقضاء ديني • وفصل ما بين خصمي وبيني • ثم
استخلصني لمكاشرته • واختصني بأثرته • فلبثت بضع سنين • أنعم في
ضيافته • وأرتع في ريف رأفته • حتى إذا غمرتني مواهبه • وأفعم
حقائبي ذهبه • تلطفت في الارتحال • على ما ترى من حسن الحال • قال
الراوي • فقلت له تشكرا لمن أتاح لك لقياك السمح الكريم • وأنقذك
من ضغطة الغريم • فقال الحمد لله على سعادة الجد • والخلوص من الخصم
الألد • ثم قال أيما أحب إليك أن أحذيك من العطاء • أم أتحفك بالرسالة
الرقطاء • قلت إملاء الرسالة أحب إلي • فقال وهو وحقك أخف علي
فإن تخلّنا ما يلج في الآذان • أهون من تخلّنا ما يخرج من الأردان • ثم إنه
أنف واستحيا • فجمع لي بين الرسالة والحذيا • ففزت منه بسهمين
وفصلت عنه بغنمين • وأبت إلى وطني قرير العين • بما حزت من الرسالة والعين

المقامة السابعة والعشرون

وتعرف

حدث الحرث بن همام قال ملت في ريق زماني الذي غبر • الى مجاورة اهل
الوبر • لآخذ اخذ نفوسهم الابية • والسنتهم العربية • فشمرت تشمير من لا
يالو جهدا • وجعلت اضرب في الارض غورا ونجدا • الى ان اقتنيت ٧ من ٧ هجمة
الراغية • وثلة من الثاغية • ثم اويت الى عرب ارداف اقيال • وابناء اقوال
فاوطنوني امنع جناب • وغلوا عني حد كل ناب • فما تأوبني عندهم هم • ولا
قرع صفاتي سهم • الى ان اضللت في ليلة منيرة البدر • لقحة عزيزة القدر
فلم اطب نفسا بالغاء طلبها • والقاء حبلها على غاربها • فتدثرت فرسا محضارا
واعتقلت لدنا خطارا • وسريت ليلتي جمعا • اجوب البيداء • واقتري كل
شجرا ومردا • الى ان نشر الصبح رايانه • وحيعل الداعي الى صلاته • فنزلت عن
متن الركوبة • لاداء المكتوبة • ثم جلت في صهوتها • وفررت عن شحوتها
وسرت لا ارى اثرا الا اقتفوته • ولا نشزا الا علوته • ولا واديا الا جزعته • ولا
راكبا الا استطلعته • وجدي مع ذلك يذهب هدرا • ولا يجد ورده صدرا
الى ان حانت صكة عمي • ولفح هجير يذهل غيلان عن مي • وكان يوما اطول من
ظل القناة • واحر من دمع المقلات • فايقنت اني ان لم استكن من الوقدة
واستجم من الرقدة • ادنفني اللغوب • وعلقت بي شعوب • فيممت الى سرحة
كثيفة الاغصان • وريقة الافنان • لاغور تحتها الى المغيربان • فوالله ما استقر
نفسي • ولا استراح فرسي • حتى نظرت الى سانح • في هيئة سائح • وهو ينتجع
نجعتي • ويتسنن الى نفعتي • فكرهت انعياجه الى معاجي • واستعذت بالله

من شر كل مفاجي ۞ ثم ترجيت ان يتصدى منشدا ۞ او يتبدى مرشدا ۞ فلما
اقترب من سرحتي ۞ وكاد يحل بساحتي ۞ الفيته شيخنا السروجي متشحا
بجرابه ۞ ومصطفنا اهبة تجوابه ۞ فآنسني اذ ورد ۞ وانساني ما شرد ۞ ثم
استوضحته من اين اثره ۞ وكيف عجره وبجره ۞ فانشد بديها ۞ ولم يقل ايها

قل لمستطلع دخيلة امري ۞ لك عندي كرامة وعزازه
انا ما بين جوب ارض فأرض ۞ وسرى في مفازة ومفازه
زادي الصيد والمطية نعلي ۞ وجهازي الجراب والعكازه
فاذا ما هبطت مصرا فبيتي ۞ غرفة الخان والنديم جزازه
ليس لي ما اساء ان فات او ما ۞ احزن ان حاول الزمان ابتزازه
غير اني ابيت خلوا من الهم ۞ ونفسي عن الاسى متحازه
ارقد الليل ملء جفني وقلبي ۞ بارد من حرارة وحزازه
لا ابالي من اي كاس تفوقت ۞ ولا ما حلاوة من مزازه
لا ولا استجيز ان احمل الذ ۞ ل مجازا الى تسني اجازه
واذا مطلب كسا حلة العا ۞ ر فتبا لمن يروم نجازه
ومتى اهتز للدناءة نكس ۞ عاف طبعي طباعه اهتزازه
فالمنايا ولا الدنايا وخير ۞ من ركوب الخنا ركوب الجنازه

ثم رفع الي طرفه ۞ وقال لامر ما جدع قصير انفه ۞ فاخبرته خبر الناقة
البارحة ۞ وما عاينته في يومي والبارحة ۞ فقال دع الالتفات الى ما فات
والطماح الى ما طاح ۞ ولا تأس على ما ذهب ۞ ولو انه واد من ذهب
ولا تستمل من مال عن ريحك ۞ واضرم نار تبريحك ۞ ولو كان ابن بوحك

او

او شقيق روحك ۞ ثم قال هل لك في ان نقيل ۞ ونتحامى القال والقيل
فان الابدان انضاء تعب ۞ والهاجرة ذات لهب ۞ ولن يصقل الخاطر ۞ وينشط
الفاتر ۞ كقائلة الهواجر ۞ وخصوصا في شهري ناجر ۞ فقلت ذاك اليك ۞ وما
اريد ان اشق عليك ۞ فافترش الترب واضطجع ۞ واظهر انه قد هجع ۞ و
رنقت على ان احرس ۞ ولا انعس ۞ اتكات على مرفقي ۞ فاخذتني السنة
لما زمت الانسنة ۞ فلم افق الا والليل قد تولج ۞ والنجم قد تبلج ۞ ولا السروج
ولا المسرج ۞ فبت بليلة نابغية ۞ واحزان يعقوبية ۞ اساور الوجوم
واساهر النجوم ۞ تارة افكر في رحلتي ۞ واخرى في رجعتي ۞ الى ان وضح
لي عند افرار ثغر الضوء ۞ في وجه الجو ۞ راكب يجد في الدو ۞ فالمعت
اليه بثوبي ۞ رجاء ان يعرج صوبي ۞ فلم يعبا بالماعي ۞ ولا اوى لالتياعي
بل سار على هينته ۞ واصماني بسهم اهانته ۞ فاوفضت اليه لاستردف
تطرفه ۞ فلما ادركته بعين الاين ۞ واخلت فيه مسرح العين ۞ وجدت
ناقتي مطيته ۞ وضالتي لقطته ۞ فما كذبت ان اذرسته عن سنامها ۞ وجاذبته
على زمامها ۞ وقلت انا صاحبها ومضلها ۞ ولي رسلها ونسلها ۞ ولا تكن
كاشعب ۞ فتتعب وتتعب ۞ فجعل يلدغ ويصيي ۞ وينفخ ولا يستحيي
وبينا هو يبرق ويلين ۞ ويستاسد ويستكين ۞ اذ غشينا ابو زيد
لابسا جلد النمر ۞ وهاجما هجوم السيل المنهمر ۞ فخفت والله ان يكون
يومه كامسه ۞ وبدره مثل شمسه ۞ فالحق بالقارظين ۞ واصير خبرا
بعد عين ۞ فلم ار الا ان اذكرته العهود المنسية ۞ والفعلة الامسية ۞ ونا
شدته الله اواق اليوم للتلاقي ۞ ام لما فيه اتلافي ۞ فقال معاذ الله

ان اجهز على مكلومي ؞ او أصل حر فري بسمومي ؞ وانما بل وافيتك لاخبر كنه حالك ؞ واكون يمينا لشمالك ؞ فسكن عند ذلك جاشي ؞ وانجاب استيحاشي ؞ واطلعته طلع اللقحة ؞ وتبرقع صاحبي بالقحة ؞ فنظر اليه نظر ليث العريسة ؞ الى الفريسة ؞ ثم اشرع قبله الرمح ؞ واقسم له بمن انار الصبح ؞ لين لم يبح منجا الذباب ؞ ويرض من الغنيمة بالاياب ؞ ليوردن سنانه وريده ؞ وليفجعن به وليده ووديده ؞ فنبذ زمام الناقة وحاص وافلت وله حصاص ؞ فقال لي ابو زيد تسلمها وتسنمها ؞ فانها احدى الحسنيين ؞ وويل اهون من ويلين قال الحرث بن همام فحرت بين لوم ابي زيد وشكره ؞ وذممت نفعه بضره ؞ فكانه نوجي بذات صدري ؞ او تهكن ما خامر سري ؞ فقابلني بوجه طليق وانشد بلسان ذليق

يا اخي الحامل ضيمي ؞ دون اخواني وقومي

ان يكن ساءك امسي ؞ فلقد سرك يومي

فاغتفر ذاك لهذا ؞ واطرح شكري ولومي

ثم قال انت تيق وانا ميق فكيف نتفق ؞ وعلى يفري اديم الارض ؞ ويركض طرفه ايما ركض ؞ فما عدوت ان اقتعدت مطيتي ؞ وعدت لطيتي ؞ حتى وصلت الى حلتي ؞ بعد اللتيا والتي ؞

تفسير ما تضمنت هذه المقامة من امثال العوبية ؞ وامثال عربية

قوله ريق زماني ؞ يعني اوله ورايقه ؞ وقد يخفف فيقال ريق ؞ وقوله أخذ أخذ نفعهم ؞ اي تقتدي بهم ؞ يقال منه أخذ أخذه ؞ واخذه بكسر الهمزة وفتحها ؞ والهجمة نحو المائة من الابل ؞ والثلة القطيعة من الغنم والرغبة

الابل

الابل والثاغية الشاة ومنه قولهم ماله ثاغية ولا راغية اى ناقة
ولا شاة وقوله ارداف اقيال اى يخلفون الملوك اذا غابوا وقوله
ابناء اقوال اى فصحاء يقال للمنطيق انه ابن اقوال وقوله تدثرت
فرسا محضارا التدثر الوثوب على ظهر الفرس والمحضار والمحضير الشديد
العدو ماخوذ من الحُضْر وهو العدو وقوله اقترى كل شجراء ومرداء
الاقتراء تتبع الارض والشجراء ذات الشجر والمرداء الخالية من النبات
ومنه سمى الامرد لخلو وجهه من الشعر وقوله حيعل الداعى الى
صلوته يعنى به قول المؤذن حى على الصلاة حى على الفلاح والمصدر
منه الحيعلة ومثله من المصادر الهيللة والحمدلة والحوقلة والبسملة
والحسبلة والسبحلة والجعفلة فالهيللة حكاية قول لا اله الا الله
والحمدلة حكاية قول الحمد لله والحوقلة حكاية قول لا حول ولا قوة الا
بالله والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة حكاية قول
حسبنا الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله والجعفلة حكاية قول
جعلنى الله فداك وقوله نزلت عن ظهر الركوبة يعنى المركوبة يقال
ناقة ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة وقد قرئ فمنها ركوبتهم
والصهوة مقعد الفارس والشجوة الخطوة والجزع قطع الوادى عرضا
وقوله صكة عُمَىّ يعنى به قائم الظهيرة وقد اختلف فى اصله فقيل
عُمَىٌّ رجلا مغوارا فغزى قوما عند قايم الظهيرة وصكهم صكة شديدة
نصار مثلا لكل من جاء ذلك الوقت وقيل المراد به الظبى لانه يسدر
فى الهواجر فيصطك بما يستقبله كاصطكاك الاعمى ثم صغر الاعمى فقيل

عُمَيّ كما صغّروا اسود وازهر فقالوا سُوَيد وزهير ؛ وقوله وكان يوما
اطول من ظل القناة ؛ يوصف اليوم الطويل بظل القناة ؛ كما يوصف اليوم
القصير بابهام الحبارى والقطاة ؛ والعرب تزعم ان ظل الرمح اطول ظل

ومنه قول الشاعر ؛

ويومٍ كظل الرمح قصّر طوله ؛ دمُ الزِّقّ عنا واصطفاق المزاهرِ

قوله احر من دمع المقلات ؛ المقلات هي التي لا يعيش لها ولد ؛ فدمعها ابدا
حارّ لحزنها ؛ لانه يقال ان دمعة الحزن حارة ؛ ودمعة السرور باردة
ولهذا ان اقرار العين ماخوذ من القرار ؛ وهو البرد ؛ وكانه دعا له ان
يرزق ما يقر عينه ؛ حتى لا يطمح الى ما لغيره ؛ وكانت الجاهلية تزعم
ان المقلات اذا وطيت على قتيل عاش ولدها ؛ والى هذا اشار بشر ابن ابي خازم بقوله

تَظَلّ مَقَالِيتُ النساء يطأنَه ؛ يَقُلْنَ الا يُلقى على المرء مِئزرُ

وقيل انها اذا وطيت على القتيل المغدور به ؛ عاش ولدها ؛ وقد فسر
البيت على المعنيين ؛ وقوله علقت بي شَعُوبُ ؛ شعوب من اسماء
المنيّة ؛ ولا تدخله الالف واللام مثل عَرَفة وَدَجْلة ؛ وقوله اغذ
نحتها الى المغيربان ؛ التغوير النزول للقايلة ؛ كما ان التعريس النزول
اخر الليل للتهويم والاستراحة ؛ والمغيربان تصغير المغرب ؛ الا ان
العرب الحقت اخره الفا ونونا على طريق الشذوذ ؛ وقوله مضطغنا
اهبة تجوابه ؛ الاضطغان ان يحمل الشي تحت حضنه ؛ والاضطبان
ان يحمله تحت ضبنه ؛ واول مراتب الحمل الابط ؛ ثم تليه الضبن
وهو اسفل الابط ؛ ثم الحضن وهو اسفل الجنب ؛ وقيل الضبن ما بين

الابط

الابط والكشح وهما متقاربان ؛ والجواب مصدر جاب ؛ وجميع المصادر
التي جاءت على تفعال ؛ هي بفتح التاء ؛ الا قولهم تِبيان وتلقاء ؛ وقوله عجره
وبجره ؛ اي ما يسير من امره ؛ ومنه قولهم الى الله اشكو عُجَري وبُجَري ؛ يريد
به جميع امري الظاهر والباطن ؛ واصل العجر العقد الناتية في العصب ؛ و
البجر العقد الناتية في البطن ؛ وقوله لم يقل ايها ؛ اي لم يأمرني بالكف
يقال للمستزاد إيهٍ ؛ وللمستكف ايهًا ؛ وقوله لامرٍ ما جدع قصير انفه
قصير هذا مولى جذيمة الابرش ؛ وكان جدع انفه بيده ؛ حتى قتلت
الزبا مولاه ؛ ثم اتاها واوهمها ان عمرو بن عديّ ابن اخت جذيمه ؛ هو
الذي جدع انفه اتهامًا له بانه غش خاله جذيمه ؛ إذ اشار عليه
بقصدها ؛ فحظي قصير عندها بهذا القول ؛ حتى جهزته مرارًا الى العراق وكان
يأتيها بالطُرف منه ؛ الى ان استصحب في اخر نوبة الرجال في الصناديق
وتوصل الى قتلها ؛ والاخذ بثار مولاه منها ؛ وقصته مشهورة ؛
وقوله ولو كان ابن بُوحك ؛ يعني به ولد الصلب ؛ اشارة انه وُلِد
في باحة الدار وهي عرصتها ؛ وجمعها بُوح ؛ وقيل ان البوح من اسماء
الذكر ؛ وقوله شهري ناجرٍ ؛ هما شهرا الحر ؛ وقيل انهما حزيران وتموز
وانكر ابو بكر بن دريد هذا القول ؛ وقال هما طلوع نجمين ؛ وقوله
بت بليلة نابغية ؛ اوما به الى قول النابغة ؛
فبتُ كاني ساورتني ضئيلةٌ ؛ من الرقش في انيابها السم ناقعُ
وقوله المعت اليه بثوبي اي اشرت ؛ يقال منه لمع والمع بمعنى ؛ وقوله
يلدغ ويصيى ؛ هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو ؛ يقال صأت العقرب

تصيى صَئِيًّا بفتح الصاد وكسرها اذا صوتت وكذلك الفرخ وما احسن
قول القايل وهو ابن الرومى فى هذا المعنى

تُشْكِى المحب وتُشْكُو وهى ظالمة كالقوس تُصْمِى الرمايا وهى مِرْنانُ

وهو قوله ينزو ويلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال ان
اصله الجدى ينزو وهو صغير فاذا كبر لان وقوله لابسًا جلد النمر
هذا المثل يضرب للمُتَنَمِّر الجرى لان النمر اجرا سبع واقله احتمالًا للضيم
ومن هذا اشتقاق قولهم تنمر اى صار مثل النمر وقوله فالحق بالقارظين
الاصل فى القارظ انه الذى يجنى القرظ وهو نبات يدبغ به والقارظان
المشار اليهما احدهما من عَنَزَةَ والاخر من النمر بن قاسطٍ وكانا
خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ولا عُرِفَ لهما خبر فضرب بهما المثل
لكل غايب لا يرجى ايابه واليهما اشار ابو ذويب فِى قَوْلِهِ

وحتى يؤُوبُ القارظان كلاهُما وينشر فى القتلى كليب لوايِلِ

وقوله حرورى بسموم الحرور الريح الحارة ليلًا والسموم الريح
الحارة نهارًا وقد تقام احديهما مقام الاخرى مجازًا وقوله ليث
العَرِيسة يعنى ماوى السبع يقال منه عِرّيْسٌ وعِرّيسَةٌ باثبات الها
وحذفها كما يقال غابٌ وغابةٌ وعرينٌ وعرينةٌ فاما الغيل
والخِيسُ فلم يلحقوا بهما الهاء وقوله افلت وله حصاص هذا المثل
يضرب لمن نجا من هلكة بعدما اشفى عليها وكاد يَهْوِى فيها والحصاص
العَدْوُ وقيل انه الضراط وقوله ويلٌ اهون من ويلين هذا المثل
يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله قول الشاعر

حنايذا

حنانيك بعض الشر اهون من بعض وقوله انا تيق وانت ميق فكيف نتفق هذا المثل يضرب للمتنافيين فى الخلق فان التيق هو الممتلى غيظا ماخوذ من قولهم اتاقت الاناء اذا ملأته والميق هو الباكى فكان التيق ينزع الى الشر لغيظه والميق يضيق ذرعا باحتماله ومثله انا كلف وانت صلف فكيف نأتلف وقوله لطيتى يعنى لقصدى ووجهتى وقد يقال فيه طية بالتخفيف وقوله بعد اللتيا والتى اللتيا تصغير التى وهى على غير قياس التصغير المطرد لان القياس ان يضم اول الاسم اذا صغر وقد اقر هذا الاسم حين صغر على فتحة الاصلية عند تصغيره الا ان العرب عوضته عن ضم اوله بان زادت فى اخره الفا واجرت اسماء الاشارة عند تصغيرها على هذا الحكم فقالت فى تصغير الذى والتى اللذيا واللتيا وفى تصغير ذا وذاك ذيا وذياك وقد اختلف فى معنى قولهم التى واللتيا فقيل هما من اسما الداهية وقيل المراد بهما صغير المكروه وكبيره

المقامة الثامنة والعشرون

وتعرف بالسمرقندية

اخبر الحارث بن همام قال اِسْتَبْضَعْتُ فِى بَعْضِ اَسْفَارِى الْفَنْدَ وَقَصَدْتُ بِهِ سَمَرْقَنْدَ وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ قَوِيمَ النَّشَاطِ حَمُومَ النَّشَاطِ اَرْمِى عَنْ نَفْسِ الْمِرَاحِ اِلَى غَرَضِ الْاَفْرَاحِ وَاَسْتَعِينُ بِمَاءِ الشَّبَابِ عَلَى مَلَاحِ السَّرَابِ فَوَافَيْتُهَا بُكْرَةَ عَرُوبَةٍ بَعْدَ مَا كَابَدْتُ الصُّعُوبَةَ فَسَعَيْتُ وَمَا وَنَيْتُ اِلَى اَنْ حَصَلَ الْبَيْتُ فَلَمَّا نَقَلْتُ اِلَيْهِ تَنَدِّى وَمَلَكْتُ

قفول عيري عجت إلى الحمام على الأثر فأمطت عني وعثاء السفر وأخذت
في غسل الجمعة بالأثر ثم بادرت في هيئة الخاشع إلى مسجدها الجامع
لألحق بمن يقرب من الإمام ويقرب أفضل الأنعام فحظيت بأن صليت
في الحلبة وتخيرت المركز لاستماع الخطبة ولم يزل الناس يدخلون
في دين الله أفواجا ويردون فرادى وأزواجا حتى إذا اكتظ الجامع
بحفله وأظل تساوي الشخص وظله برز الخطيب في أهبته متهاديا
خلف عصبته فارتقى في منبر الدعوة إلى أن مثل بالذروة فسلم
مشيرا باليمين ثم جلس حتى نظم التأذين ثم قام وقال
الحمد لله الممدوح الأسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم
اللأواء مالك الأمم ومصور الرمم وأهل السماح والكرم ومهلك
عاد وإرم أدرك كل سر علمه ووسع كل مصر حلمه وعم كل عالم
طوله وهد كل مارد حوله أحمده حمد موحد مسلم وأدعوه دعاء
مؤمل مسلم وهو الله لا إله إلا هو الواحد الأحد العادل الصمد
لا ولد له ولا والد ولا رده له ولا مساعد أرسل محمدا للإسلام ممهدا
وللملة موطدا ولأدلة الرسل مؤكدا وللأحمر والأسود مسددا وصل
الأرحام وعلم الأحكام ووسم الحلال والحرام ورسم الإحلال
والإحرام كرم الله محله وكمل الصلاة والسلام له ورحم الله الكرماء
وأهله الرحماء ما همر ركام وهدر حمام وسرح سوام وسطا حسام
اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء واكدحوا لمعادكم كدح الأصحاء
واردعوا أهواءكم ردع الأعداء وأعدوا للرحلة إعداد السعداء

وادرعوا

وادرعوا حلل الورع • وداووا علل الطمع • وسووا اود العمل • وعاصوا وساوس الامل • وصوروا لاوهامكم حوول الاحوال • وحلول الاهوال ومساورة الاعلال • ومصارمة المال والآل • وادّكروا الحمام وسكرة مصرعه • والرمس وهول مطلعه • واللحد ووحدة مودعه • والملك وروعة سؤاله ومطلعه • والمحوا الدهر ولؤم كره • وسوء محاله ومكره كم طمس معلما • وامر مطعما • وطحطح عرمرما • ودمر ملكا مكرما • همه سدّ المسامع • وسحّ المدامع • واكداء المطامع • وارداء المسمع والسامع عمّ حكمه الملوك والرعاء • والمسود والمطاع • والمحسود والحساد والاساود والاساد • ما مؤمل الا مال • وعكس الامال • ولا وصل الا وصال • وكلم الا وصال • ولا سرّ الا وساء • ولؤم واساء • ولا صحّ الا ولد • وروّع الاوداء • الله الله رعاكم الله • الام مدا ومدا اللهو وهوا صدد السهو • وطول الاصرار • وحمل الاصار • واطراح كلام الحكماء ومعاصاة اله السماء • اما الهرم حصادكم • والمدر مهادكم • اما الحمام مدرككم • والصراط مسلككم • اما الساعة موعدكم • والساهرة موردكم • اما اهوال الطامة لكم مرصدة • اما دار العصاة الحطمة المؤصدة • حارسهم مالك • ورواهم حالك • وطعامهم السمام وهواهم السموم • لا مال اسعدهم ولا ولد • ولا عدد حماهم ولا عدد الا رحم الله امرءا ملك هواه • وامّ مسالك هداه • واحكم طاعة مولاه وكدّ لروح ماواه • وعمل ما دام العمر مطاوعا • والدهر موادعا • والصحة كاملة • والسلامة حاصلة • والا دهمه عدم المرام • وحصر الكلام

والمام الآلام ۞ وحموم الحمام ۞ وهدوء الحواس ۞ ومراس الارماس ۞ آهًا لها حسرةً المها مؤكد ۞ وامدها سرمد ۞ وممارسها مكمد ۞ ما لوَلَهه حاسم ۞ ولا لسدمه راحم ۞ ولا له مما عراه عاصم ۞ الهمكم الله احمد الالهام ۞ وردّاكم رداء الكرام ۞ واحلكم دار السلام ۞ واسأله الرحمة لكم ولأهل ملة الاسلام ۞ وهو اسمح الكرام ۞ والمسلّم والسلام قال الحرث بن همام فلما رايت الخطبة نخبةً بلا سقط ۞ وعروسًا بلا نقط ۞ دعاني الاعجاب بنمطها العجيب ۞ الى استجلاء وجه الخطيب ۞ فجعلت اتوسّمه جدًّا ۞ واقلّب الطرف فيه مجدًّا ۞ واقلب الطرف فيه الى ان وضح لي بصدق العلامات ۞ انه شيخنا ابو زيد ذو المقامات ۞ ولم يكن بدٌّ من الصمت في ذلك الوقت ۞ فامسكت حتى تحلّل من الفرض ۞ وحلّ الانتشار في الارض ۞ ثم واجهت تلقاه ۞ وابتدرت لقاه ۞ فلما لحظني خفّ في القيام ۞ واحفى في الاكرام ۞ ثم استصحبني الى داره ۞ واودعني خصائص اسراره ۞ وحين انتشر جناح الظلام ۞ وحان ميقات المنام ۞ احضر اباريق المدام ۞ مغلوقةً بالفدام ۞ فقلت اتحسوها امام النوم وانت امام القوم ۞ فقال مه انا بالنهار خطيب ۞ وفي الليل اطيب ۞ فقلت له والله ما ادري أأعجب من تسلّيك عن اناسك ۞ ومسقط راسك ۞ ام من خطابتك مع ادناسك ۞ ومدار كاسك ۞ فاشاح بوجهه عني

۞ ثم قال اسمع مني ۞

لا تبكِ الفًا نأى ولا دارا ۞ ودُر مع الدهر كيف ما دارا
واتّخذ الناس كلهم سكنًا ۞ ومثّل الارض كلها دارا
واصبر على خُلق من تعاشره ۞ وداره فاللبيب من دارى

ولا

ولا تضيّع فرصة السرور فما ∴ تدري أيومًا تعيش أم دارا
واعلم بأنّ المنون جائلة ∴ وقد أدارت على الورى دارا
وأقسمت لا تزال قانصة ∴ ما كرّ عصر المحيا وما دارا
وكيف ترجو النجاة من شرك ∴ لم ينج منه كسرى ولا دارا

فلما اعتورتنا الكؤوس ∴ وطربت النفوس ∴ جرّعني اليمين الغموس ∴ على أن
أحفظ عليه الناموس ∴ فاتّبعت مرامه ∴ ورعيت ذمامه ∴ ونزّلته في الورى
منزلة الفضيل ∴ وسدلت الذيل على مخازي الليل ∴ ولم يزل ذلك دابه
ودابي ∴ إلى أن تهيّأ إيابي ∴ فودّعته وهو مصرّ للتدليس ∴ ومترضع الخندريس

المقامة التاسعة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال ألجأني حكم دهر قاسط ∴ إلى أن أنتجع أرض واسط
فقصدتها وأنا لا أعرف بها سكنًا ∴ ولا أملك فيها مسكنًا ∴ ولمّا حللتها حلول
الحوت بالبيداء ∴ والشعرة البيضاء في اللمّة السوداء ∴ قادني الحظّ الناقص
والجدّ الناكص ∴ إلى خان ينزله شذّاذ الآفاق ∴ وأخلاط الرفاق ∴ وهو
لنظافة مكانه ∴ وظرافة سكانه ∴ يرغّب الغريب في إيطانه ∴ وينسيه هوى
أوطانه ∴ فاستفردت منه بحجرة ∴ ولم أنافس في أجرة ∴ فما كان إلا كلمح طرف
أو كتب حرف ∴ حتى سمعت جاري بيت بيت ∴ يقول لنزيله في البيت ∴ قم
يا بنيّ لا قعد جدّك ∴ ولا قام ضدّك ∴ واستصحب ذا الوجه البدري ∴ واللون
الدرّي ∴ والأصل النقي ∴ والجسم الشقي ∴ الذي قبض ونشر ∴ وسجن وشهر
وسقي وفطم ∴ وأدخل النار بعدما لطم ∴ ثم اركض إلى السوق ∴ ركض المشوق

فقايض به اللاحي الملحي ۔ المفسد المصلح ۔ الممد المفرح ۔ المعنى المروح ۔ ذا الزفير المحرق ۔ والجبين المشرق ۔ واللفظ المقنع ۔ والنيل الممتع ۔ الذي اذا طرق رعد وبرق ۔ وباح بالحرق ۔ ونفث في الخرق ۔ قال فلما قرت شقشقة الهادر ۔ ولم يبق الا صدر الصادر ۔ برز فتى يميس ۔ وما معه انيس فرأيتها عضلة تلعب بالعقول ۔ وتغري بالدخول في الفضول ۔ فانطلقت في اثر الغلام ۔ لاخبر نحوى الكلام ۔ فلم يزل يسعى سعي العفاريت ۔ ويتفقد نضائد الحوانيت ۔ حتى انتهى عند الرواح ۔ الى حجارة القداح ۔ فتناول بايسها رغيفا ۔ وتناول منه حجرا لطيفا ۔ فتعجبت من فطانة المرسل والمرسل ۔ وعلمت انها سروجية ۔ وان لم اسأل ۔ وما كذبت ان بادرت الى الخان منطلق العنان ۔ لانظر كنه فهمي ۔ وهل قرطس في التكهن سهمي ۔ فاذا انا في الفراسة فارس ۔ وابو زيد بوصيد الخان جالس فتهادينا بشرى الالتقاء ۔ وتقارضنا تحية الاصدقاء ۔ ثم قال ما الذي نابك ۔ حتى زايلت جنابك ۔ فقلت دهر هاض ۔ ووجد فاض ۔ فقال والذي انزل المطر من الغمام ۔ واخرج الثمر من الاكمام ۔ لقد فسد الزمان ۔ وعم العدوان ۔ وعدم المعوان ۔ والله المستعان ۔ فكيف افلت ۔ وعلى اي وصفيك اجفلت ۔ فقلت اتخذت الليل قميصا ۔ وادلجت فيه خميصا ۔ فاطرق ينكت في الارض ۔ ويفكر لي ۔ في ارتياد القرض والفرض ۔ ثم اهتز هزة من اكتنه قنص ۔ او بدت له فرص ۔ وقال قد علق بقلبي ان تصاهر من يأسو جراحك ويريش ۔ فقلت وكيف اجمع بين غل وقل ۔ ومن ذا الذي يرغب في ضل بن ضل ۔ فقال انا المشير بك واليك ۔ والوكيل لك وعليك

مع ان دين القوم جبر الكسير، وفك الاسير، واحترام العشير، واستنصا ح
المشير، الا انهم لو خطب اليهم ابراهيم بن ادهم، اقتداء بما مهر الرسول ~~بناته~~
زوجاته، وعقد به انكحة بناته، على انك لم تطالب بصداق، ولا تلجا
الى طلاق، ثم اني ساخطب في موضع عقدك، ومجمع حشدك، خطبة لم
تفتق رتق سمع، ولا خطب بمثلها في جمع، قال الحرث بن همام فازدهاني بوصف
الخطبة المتلوة، دون الخطبة المحلوة، حتى قلت له قد وكلت اليك هذا
الخطب، فدبره تدبير من طب لمن حب، فنهض مهرولا، ثم عاد متهللا
وقال ابشر باعتاب الدهر، واحتلاب الدر، فقد وليت العقد، واكفلت
النقد، وكان قد، ثم اخذ في مواعدة اهل الخان، واعداد حلواء الخوان
فلما مد الليل اطنابه، واغلق كل ذي باب بابه، اذن في الجماعة، الا
احضروا في هذه الساعة، فلم يبق فيهم الا من لبى صوته، وحضر بيته، فلما
فلما اصطفوا لديه، واجتمع الشاهد والمشهود عليه، جعل يرفع الاصطرلاب
ويضعه، ويلحظ التقويم ويدعه، الى ان نعس القوم، وغشي النوم، فقلت
له يا هذا ضع الفاس في الراس، وخلص الناس، فنظر نظرة في النجوم
ثم انتشط من عقدة الوجوم، واقسم بالطور والكتاب المسطور، ليكشفن
سر هذا الامر المستور، ولينشرن ذكره الى يوم النشور، ثم انه جثا على
ركبتيه، واسترعى الاسماع لخطبته، وقال الحمد لله الملك المحمود
المالك الودود، مصور كل مولود، ومالك كل مطرود، ساطح المهاد
وموطد الاطواد، ومرسل الامطار، ومسهل الاوطار، وعالم الاسرار
ومدركها، ومدمر الاملاك ومهلكها، ومكور الدهور ومكررها، ومورد

الأمورِ ومُصدِرِها، عمّ سماحُهُ وكَمَل، وهطَلَ رُكامُهُ وهَمَل، وطاوعَ
السُّؤْلَ والأمَلَ، وأوسعَ المُرمِلَ والأرمَلَ، أحمدُهُ حمدًا ممدودًا مداه،
وأوحِّدُهُ كما وحّدَهُ الأوّاه، وهو اللهُ لا إلهَ للأُمَمِ سواه، ولا صادعَ لما عدَّلَهُ
وسوّاه، أرسلَ محمدًا علمًا للإسلام، وإمامًا للحُكّام، ومُسدِّدًا للرَّعاع،
ومُعطِّلًا أحكامَ وُدٍّ وسُواع، علّمَ وأعلمَ، وحكمَ وأحكمَ، وأصّلَ الأصولَ
ومهّدَ، وأكّدَ الوعودَ وأوعدَ، واصلَ اللهُ لهُ الإكرامَ، وأودعَ روحَهُ
السلامَ، ورحمَ آلَهُ وأهلَهُ الكرامَ، ما لمعَ آلٌ، وملعَ رالٌ، وطلعَ هلالٌ،
وسُمِعَ إهلالٌ، اعملوا رعاكمُ اللهُ أصلحَ الأعمالِ، واسلكوا مسالكَ الحلالِ،
واطّرحوا الحرامَ ودعوهُ، واسمعوا أمرَ اللهِ وعوهُ، وصلوا الأرحامَ وراعوها،
وعاصوا الأهواءَ واردعوها، وصاهروا لُحَمَ الصلاحِ والورعِ، وصارموا رهطَ
اللهوِ والطمعِ، ومُصاهرُكم أطهرُ الأحرارِ مولدًا، وأسراهم سؤددًا، وأحلاهم
موردًا، وأصحُّهم موعدًا، وها هو أتاكم وحلَّ حرمَكم، مُملِّكًا عروسَكمُ المكرّمة،
وماهرًا لها كما مهرَ الرسولُ أمَّ سلمة، وهو أكرمُ صهرٍ أودعَ الأولادَ، وملّكَ
ما أرادَ، وما سها مُملِّكُهُ ولا وَهِمَ، ولا وُكِسَ مُلاحِمُهُ ولا وُصِمَ، أسألُ اللهَ
تعالى لكم إحمادَ وصالِهِ، ودوامَ إسعادِهِ، وألهمَ كلًّا إصلاحَ حالِهِ، والإعدادَ
لمعادِهِ، ولهُ الحمدُ السرمدُ، والمدحُ لرسولِهِ محمدٍ، قال فلمّا فرغَ من خطبتِهِ
البديعةِ النظامِ، العريّةِ من الإعجامِ، عقدَ العقدَ على الخمسِ المئينَ، وقالَ
لي الرفاءَ والبنينَ، ثمّ أحضرَ الحلواءَ التي كانَ أعدّها، وأبدى الأبدةَ عندها،
فأقلتُ إقبالَ الجماعةِ عليها، وكدتُ أهوي بيدي إليها، فزجرني عن
المواكلةِ، وأنهضني للمناولةِ، فواللهِ ما كانَ بأسرعَ من تصافحِ الأجفانِ

حتى

حتى خرّ القوم للأذقان فلمّا رأيتهم كأعجاز نخلٍ خاويةٍ ؛ او صرعى بنت خابيةٍ
علمتُ أنها احدى الكبرِ ؛ وأمّ العبرِ ؛ فقلتُ له يا عدىّ نفسهِ ؛ وعبيد
نفسهِ ؛ أأعددتَ للقوم حلوى أم بلوى ؛ فقال لم أعدّ خبيص البنج ؛ في
صحاف الخلنج ؛ فقلتُ أقسمُ بمن اطلعها زهرا ؛ وهدى بها السارين طرّاً
لقد جئتَ شيئاً نكراً ؛ وأبقيتَ لك في المخزيات ذكراً ؛ ثمّ حرتُ فكرةً في
صيّور أمرهِ ؛ وخيفةً من عدوى عرّهِ ؛ حتى طارت نفسي شعاعاً ؛ وأرعدت
فرائصي ارتياعاً ؛ فلمّا رأى استطارة فرقي ؛ واستشاطة قلقي ؛ قال ما
هذا المرمضُ ؛ والرّوع المومضُ ؛ فإن يكن فكرك في أجلي من اجلي فأنا
الآن أرتع وأظفرُ ؛ وأقوي هذه البقعة منّي وأقفرُ ؛ وكم مثلها فارقتها
وهي تصفرُ ؛ وإن يكن نظراً لنفسك ؛ وحذراً من جنسك ؛ فتناول نضالة
الخبيص ؛ وطب نفساً عن القبيص ؛ حتى تأمن المستعدى والمعدى ؛ ويتمهد
لك المقام بعدي ؛ وإلّا فالمفرّ المفرّ ؛ قبل أن تسحب وتجرّ ؛ ثمّ عمد لاستخراج
ما في البيوت ؛ من الأكياس والتخوتِ ؛ وجعل يستخلص كلّ مخزونٍ ؛ ونخبة — خالصة
كلّ منزوعٍ وموزونٍ ؛ حتى غادر ما ألفاه فيه ؛ كعظمٍ استخرج مخّه ؛ فلمّا
همّنا ما اصطفاه ورزم ؛ وشمّر عن ذراعه وتحزّم ؛ أقبل عليّ إقبال من
لبس الصفاقة ؛ وخلع الصداقة ؛ وقال هل لك في المصاحبة إلى البطيحة
لأصلك بأخرى مليحةٍ ؛ فأجبته جواب المطيع بطباعه ؛ الكائل له بصاعه
وأقسمتُ له بالذي جعله مباركاً أينما كان ؛ ولم يجعله ممّن خان في خانٍ
إنّه لا قبل لي بنكاح حرّتين ؛ ومداراة ضرّتين ؛ وقد كفتني الأولى فخراً
فأطلب أخرى للأخرى ؛ فتبسّم من كلامي ؛ ودلف لالتزامي ؛ فلويت عنه

عِذَارِي • وَابْدَيْتُ لَهُ اِذْ وِرَامِرِي • فَلَمَّا بَصُرَ بِانْقِبَاضِي • وَتَجَلَّى لَهُ اِعْتِرَاضِي

اَنْشَدَ

يَا صَارِفًا عَنِّي الْمَوَدَّةَ • وَالزَّمَانُ لَهُ صُرُوفْ
وَمُعَنِّفِي فِي هَتْكِ مَنْ • حَاوَرْتُ تَعْنِيفَ الْعَسُوفْ
لَا تَلْحَنِي فِيمَا اَتَيْتُ • فَاِنَّنِي بِهِمِ عَرُوفْ
وَلَقَدْ نَزَلْتُ بِهِمِ فَلَمْ • اَرَهُمْ يُرَاعُونَ الضُّيُوفْ
وَبَلَوْتُهُمْ فَوَجَدْتُهُمْ • لَمَّا سَبَكْتُهُمُ زُيُوفْ
مَا فِيهِمُ اِلَّا مُخِيفٌ • اِنْ تَمَكَّنَ اَوْ مَخُوفْ
لَا بِالصَّفِيِّ وَلَا الْعَفِيِّ • وَلَا الْحَفِيِّ وَلَا الْعَطُوفْ
فَوَثَبْتُ فِيهِمْ وَثْبَةَ الْ • ذِيبِ الْمُغِيرِ عَلَى الْخَرُوفْ
وَتَرَكْتُهُمْ صَرْعَى كَأَنْ • هُمْ سُقُوا كَاسَ الْحُتُوفْ
وَتَحَكَّمَتْ بِيَدِي فِيمَا اقْتَنَوْهُ • يَدِي وَهُمْ رُغْمُ الْاُنُوفْ
ثُمَّ انْثَنَيْتُ بِمَغْنَمٍ • حُلْوِ الْمَجَانِي وَالْقُطُوفْ
وَلَطَالَمَا خَلَّفْتُ مَكْلُومَ الْحَشَا خَلْفِي يَطُوفْ
وَوَتَرْتُ اَرْبَابَ الْاَرَائِكِ • وَالدَّرَائِكِ وَالسُّجُوفْ
وَلَكَمْ بَلَغْتُ بِحِيلَتِي • مَا لَيْسَ يُبْلَغُ بِالسُّيُوفْ
وَوَقَفْتُ فِي هَوْلٍ تُرَاعُ • الْاُسْدُ فِيهِ مِنَ الْوُقُوفْ
وَلَكَمْ سَفَكْتُ وَكَمْ فَتَكْتُ • وَكَمْ هَتَكْتُ حِمَى اُنُوفْ
وَكَمْ ارْتِكَاضٍ مُوبِقٍ • لِي فِي الذُّنُوبِ وَكَمْ خُفُوفْ
لَكِنَّنِي اَعْدَدْتُ حُسْنَ • الظَّنِّ فِي الْمَوْلَى الرَّؤُفْ

قال

قال فلما انتهى الى هذا البيت لج في الاستعبار ۝ ولاذ بالاستغفار ۝ حتى استمال هوى قلبي المنحرف ۝ ورجوت له ما يرجى للمقترف ۝ ثم انه غيض دمعه المنهمل ۝ وتأبط جرابه وانسل ۝ وقال لابنه احتمل الباقي والله الواقي ۝ قال المخبر بهذه الحكاية ۝ فلما رأيت انسياب الحية والخيبة وانتها الداء الى الكية ۝ علمت ان لبثي بالخان ۝ مجلبة للهوان ۝ فضممت رحلي ۝ وجمعت للرحلة ذيلي ۝ وبت ليلتي اسرى الطيب ۝ واحتسب الله على الخطيب

المقامة الثلثون

وتعرف بالمصرية

حكى الحرث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور ۝ الى بلدة صور ۝ فلما حصلت بها ذا رتبة وخفض ۝ ومالك رفع وخفض ۝ تقت الى مصر توقان السقيم الى الأساة ۝ والكريم الى المواساة ۝ فرفضت علايق الاستقامة ۝ ونفضت عوايق الاقامة ۝ واعروريت ظهر ابن نعامة ۝ واجفلت نحوها اجفال النعامة ۝ فلما دخلتها بعد معاناة الأين ۝ ومداناة الحين كلفت بها كلف النشوان بالاصطباح ۝ والحيران بتنفس الصباح ۝ فبينا انا يوما بها اطوف ۝ وتحتي فرس تطوف ۝ اذ رايت على جرد من الخيل ۝ عصبة كمصابيح الليل ۝ فسألت لاتباع التزهة ۝ عن العصبة والوجهة ۝ فقيل اما القوم فشهود ۝ واما المقصد فاملاك مشهود ۝ فحدتني ميعة النشاط ۝ على ان سرت مع الفراط ۝ لأفوز بحلاوة اللقاط ۝ واصيب حلواء السماط ۝ فأفضينا بعد مكابدة العناء ۝ الى دار رفيعة البناء وسيعة الفناء ۝ تشهد لبانيها بالثراء والسناء ۝ فلما نزلنا عن صهوات الخيول ۝ وقدمنا الاقدام للدخول

رأيت دهليزها مجللا بأطمار مخرقة ومكللا بمخارف معلقة وهناك
شخص على تطبيقة فوق دكينة لطيفة فرابني عنوان الصحيفة ومرأى
هذه الطريقة ودعاني التطير بتلك المناحس إلى أن عمدت لذلك الجالس
فعزمت عليه بمصرف الأقدار ليعرفني من رب هذه الدار فقال ما لها مالك
معين ولا صاحب مبين إنما هي مسطبة للمقيفين والمدعوزين ووليجة
المتفشفشين والمجلوزين فقلت في نفسي إنا لله على ضلة المسعى وإمحال
المرعى وهممت في الحال بالرجعى لكنني استهجنت العود من فوري والقهقرة
دون غيري فولجت الدار متجرعا الغصص كما يلج العصفور القفص فإذا
فيها أرائك منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة وسجوف
موصوفة والمملك يميس في بردته ويتبهنس بين حفدته فحين جلس
كأنه ابن ماء السماء نادى مناد من قبل الأحماء وحرمة ساسان أستاذ
الأستاذين وقدوة الشحاذين لا عقد هذا العقد المبجل في ذا اليوم
الأغر المحجل إلا الذي جال وجاب وشب في الكدية وشاب فأعجب
رهط الصهر ما أشاروا إليه وأذنوا في إحضار المنصوص عليه فبرز
حينئذ شيخ قد أمال الملوان قامته ونور الفتيان ثغامته فتباشرت
الجماعة بإقباله وتبادرت إلى استقباله فلما جلس على زربيته وسكنت
الضوضاء لهيبته ازدلف إلى مسنده ومسح سبلته بيده وقال الحمد لله
المبتدي بالإفضال المبتدع للنوال المتقرب إليه بالسؤال المؤمل لتحقيق
الآمال الذي شرع الزكوة في الأموال وزجر عن نهر السؤال وندب إلى
مواساة المضطر وأمر بإطعام القانع والمعتر ووصف عباده المقربين

في

في كتابه المبين ۞ فقال وهو أصدق القائلين ۞ والذين في أموالهم حق معلوم
للسائل والمحروم ۞ أحمده على ما رزق من طعمة هنيّة ۞ وأعوذ به من استماع
دعوة بغير نيّة ۞ وأشهد أن لا إله إلا الله ۞ وحده لا شريك له إلهاً يجزي
المتصدّقين والمتصدّقات ۞ ويمحق الربا ويربي الصدقات ۞ وأشهد أن
محمداً عبده الرحيم ۞ ورسوله الكريم ۞ ابتعثه لينسخ الظلمة بالبيضاء ۞ وينصف
الفقراء من الأغنياء ۞ فرفق صلوات الله عليه وعلى آله وسلم بالمسكين
وخفض جناحه للمستكين ۞ وفرض الحقوق في أموال المثرين ۞ وبيّن ما
يجب للمقلّين على المكثرين ۞ صلّى الله عليه صلوة تحظيه بالزلفة ۞ وعلى
أصفيائه أهل الصفّة ۞ أمّا بعد فإنّ الله تعالى شرع النكاح لتعفّفوا
وسنّ التناسل لكي تتضاعفوا ۞ فقال سبحانه وتعالى لتعرفوا إنّا خلقناكم
من ذكر وأنثى ۞ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ۞ وهذا أبو الدرّاج
ولّاج بن خرّاج ۞ ذو الوجه الوقاح ۞ والإفك الصراح ۞ والهرير والصياح ح
والإبرام والإلحاح ۞ يخطب سليطة أهلها ۞ وشريطة بعلها ۞ قنبس
بنت أبي العنبس ۞ لمّا بلغه من التحافها بإلحافها ۞ وإسرافها في إسفافها
وانكماشها على معاشها ۞ وانتعاشها عند هراشها ۞ وقد بذل لها الصداق ٢ من
ثلاثاً وعكّازاً ۞ وصقاعاً وكرازاً ۞ فأنكحوه إنكاح مثله ۞ وصلوا حبلكم
بحبله ۞ وإن خفتم عيلة يغنيكم الله من فضله ۞ أقول قولي هذا
وأستغفر الله العظيم لي ولكم ۞ وأسأله أن يكثر في المساطب نسلكم
ويحرس من المعاطب شملكم ۞ فلمّا فرغ الشيخ من خطبته ۞ وأبرم
للختن عقد خطبته ۞ تساقط من النثار ۞ ما جاوز حدّ الإكثار ۞ وأغرى

الشيخ بالإكثار • ثم نهض الشيخ يسحب ذلاذله • ويقدم اراذله • قال
الحرث بن همام • فتبعته لأنظر عرجة القوم • واكمل بهجة اليوم • فعاج
بهم الى سماط زينته طهاته • وتنافست في الحسن جهاته • فحين ربع كل
شخص في ربقته • وطفق يرتع في روضته • انسللت من الصف • وفررت
من الزحف • فحانت من الشيخ لفتة الي • ونظرة هجم بها طرفه علي
فقال الى اين يا برم • هلا عاشرت معاشرة من فيه كرم • فقلت والذي
خلقها طباقا • وطبقها اشراقا • لا ذقت لماقا • ولا لست رفاقا • او تخبرني
اين مدب صباك • ومن اين مهب صباك • فتنفس الصعداء مرارا • وارسل
البكاء مدرارا • حتى استنزف الدمع • واستنصت الجمع • ثم قال لي اسمع اذا

مسقط الرأس سروج • وبها كنت اموج
بلدة يوجد فيها • كل شيء ويروج
وردها من سلسبيل • وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم • نجوم وبروج
حبذا نفحة رياها • ومرآها البهيج
وازاهير رباها • حين تنجاب الثلوج
من رآها قال مرسى • جنة الدنيا سروج
ولمن ينزاح عنها • زفرات ونشيج
مثل ما لاقيت مذ • زحزحني عنها العلوج
عبرة تهمي وشجو • كلما قر يهيج
وهموم كل يوم • خطبها خطب مريج

وسلي

وساعِ في التزوجِ ❁ فاصراتُ الحظِ عوجُ
ليتَ يومي حمّ لي ❁ لما حمّ منها الخروجُ

قال فلما تبين بلده ❁ ووعيتُ ما انشده ❁ ايقنتُ انه علامتنا ابو زيد وان كان الهرم قد اوثقه بقيد ❁ فبادرتُ الى مصافحته ❁ واغتنمتُ مواكلته من صحفته ❁ وظلتُ مدة مقامي بمصر اعشو الى شواظه ❁ واحشو صدفتي من درر الفاظه ❁ الى ان نعب بيننا غراب البين ❁ ففارقته مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلاثون

وتعرف

اخبر الحرث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب ❁ وريعان العيش اللباب ❁ اقلى الاكتنان بالغاب ❁ واهوى الاندلاق من القراب ❁ لعلمي ان السفر ينجح السفر ❁ وينتج الظفر ❁ ومعاقرة الوطن ❁ تعقر الفطن ❁ وتخز من قطن ❁ فاجلتُ قداح الاستشارة ❁ واقتدحتُ زناد الاستخارة ثم استحسنت جاشا اثبت من الحجارة ❁ واصعدتُ الى ساحل الشام للتجارة ❁ فلما خيمتُ بالرملة ❁ والقيتُ بها عصا الرحلة ❁ صادفتُ ركابا تعد للسرى ❁ ورحالا تشد الى ام القرى ❁ فعصفت بي ريح الغرام واهتاج لي الشوق الى البيت الحرام ❁ فزممتُ ناقتي ❁ ونبذتُ علقي وعلاقتي ❁

❁ شعر ❁

وقلتُ للائمي اقصر فاني ❁ ساختار المقام على المقام
وانفق ما جمعتُ بارض جمع ❁ واسلو بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمتُ مع رفقة كنجوم الليل ❁ لهم في السير جرية السيل ❁ والى

الخيرِ جَرْيَ الخيلِ فلم نزلْ بين إدلاجٍ وتأويبٍ وإيجافٍ وتقريبٍ
إلى أن جبتنا أيدي المطايا بالتخفنِ في إيصالنا إلى الجحفةِ فحللنا
متأهّبين للإحرامِ متباشرين بإدراك المرامِ فلم يكُ إلّا الركائبَ
وحططنا الحقائبَ حتى طلع من بين الهضابِ شخصٌ ضاحي
الإهابِ وهو ينادي يا أهلَ ذا النادي هلمّ إلى ما ينجي يومَ
التنادي فانخرط إليه الحجيجُ وانصلتوا واحتفّوا به وأنصتوا
فلمّا رأى تأثّفهم حوله واستطعامهم قولَه تسنّم إحدى الإكامِ ثمّ
تنحنح مستفتحًا للكلامِ وقال يا معشرَ الحجّاجِ الناسلين من الفجاجِ
أتعقلون ما تواجهون وإلى من تتوجّهون أم تدرون على من
تقدمون وعلى ماذا تُقدمون أتخالون أنّ الحجَّ اختيارُ الرواحلِ
واتّخاذُ المحاملِ وإيقارُ الزواملِ أم تظنّون أنّ النسكَ هو نضوُ
الأردانِ وإنضاءُ الأبدانِ ومفارقةُ الولدانِ والتنائي عن البلدانِ
كلّا والله بل هو اجتنابُ الخطيئةِ قبل اجتلابِ المطيّةِ وإخلاصُ النيّةِ
في قصدِ تلك البنيّةِ وإمحاضُ الطاعةِ عند وجدانِ الاستطاعةِ
وإصلاحُ المعاملاتِ أمامَ إعمالِ اليعملاتِ فوالذي شرع المناسكَ
للناسكِ وأرشد السالكَ في الليلِ الحالكِ ما ينقّي الاغتسالُ
بالذَّنوبِ من الانغماسِ في الذنوبِ ولا تعدلُ تعريةُ الأجسامِ بتضبينِ
الأجرامِ ولا تغني لبسةُ الإحرامِ عن المتلبّسِ بالحرامِ ولا ينفعُ
الاضطباعُ بالإزارِ مع الاضطلاعِ بالأوزارِ ولا يجدي التقرّبُ بالحلقِ
مع التقلّبِ في ظلمِ الخلقِ ولا يرحضُ التنسّكُ بالتقصيرِ درنَ التمسّكِ

بالتقصير

بالتقصير ۝ ولا يسعد بعرفة ۝ غير أهل المعرفة ۝ ولا يزكو بالخيف ۝ من
يرغب في الحيف ۝ ولا يشهد المقام ۝ إلا من استقام ۝ ولا يحظى بقبول الحجة
من زاغ عن المحجة ۝ فرحم الله امرأً صفا ۝ قبل مسعاه إلى الصفا ۝ وورد
شريعة الرضا ۝ قبل شروعه على الأضا ۝ ونزع عن تلبيسه ۝ قبل نزع
ملبوسه ۝ وفاض بمعروفه ۝ قبل الإفاضة من تعريفه ۝ ثم رفع عقيرته
بصوت أسمع الصم ۝ وكاد يزعزع الجبال الشم ۝ وأنشد ۝

ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا ۝ ولا اعتيامك أجمالا وأحداجا
الحج أن تقصد البيت الحرام على ۝ تجريدك الحج لا تقضي به حاجا
وتمتطي كاهل الإنصاف متخذا ۝ ردع الهوى هاديا والحق منهاجا
وأن تواسي ما أوتيت مقدرة ۝ من مد كفا إلى جدواك محتاجا
فهذه إن حوتها حجة كملت ۝ وإن خلا الحج منها كان إخداجا
حسب المرائين غبنا أنهم غرسوا ۝ وما جنوا ولقوا كدا وإزعاجا
وأنهم حرموا أجرا ومحمدة ۝ والحموا عرضهم من عاب أو هاجا
أحق ابغ بما تبديه من قرب ۝ وجه المهيمن ولاجا وخراجا
فليس تخفى على الرحمان خافية ۝ إن أخلص العبد في الطاعات أو داجى
وبادر الموت بالحسنى تقدمها ۝ فما ينهنه داعي الموت إن فاجا
واقن التواضع خلقا لا تزايله ۝ عند الليالي ولو لبسنك التاجا
ولا تشم كل خال لاح بارقه ۝ وإن تراءى هتون السكب ثجاجا
ما كل داع بأهل أن يصاخ له ۝ فكم أصم بنعي بعض من ناجى
وما اللبيب سوى من بات مقتنعا ۝ ببلغة تدرج الأيام إدراجا

فكل كثر إلى قل مغبته ۝ وكل نار إلى لين وإن هاجا

قال الراوي فلما ألفح عقم الأفهام ۝ بسحر الكلام ۝ استروحت ريح أبي زيد ۝ وما دني الارتياح إلى أي مبد ۝ فمكثت حتى استوعب نث حكمته ۝ وانحدر من أكمته ۝ ثم دلفت إليه لأتصفح صفحات محياه ۝ وأستشف جوهر حلاه ۝ فإذا هو الضالة التي أنشدها ۝ وناظم القلائد اللاتي أنشدها ۝ فعانقته معانقة اللام للألف ۝ ونزلته منزلة البرء عند الدنف ۝ وسألته أن يلازمني ۝ فأبى أن يزاملني ۝ فنبا وقال آليت في حجتي هذه ألا أعتقب ۝ ولا أحتقب ۝ ولا أكتسب ۝ ولا أنتسب ۝ ولا أرتفق ۝ ولا أرافق ۝ ولا أوافق ۝ من ينافق ۝ ثم ذهب يهرول ۝ وغادرني أولول ۝ فلم أزل أقريه نظري ۝ وأود لو عشي على ناظري ۝ حتى توقل أحد الأطواد ۝ ووقف للحجيج بالمرصاد ۝ فخيل شاهد إيضاع الركبان ۝ في الكثبان ۝ وقع بالبنان على البنان ۝ وجعل ينشد ۝

ليس من زار راكبا ۝ مثل ساع على القدم
لا ولا خادم أطاع ۝ كعاص من الخدم
كيف يا قوم يستوي ۝ سعي بان ومن هدم
سيقيم المفرطون ۝ غدا مأتم الندم
ويقول الذي تقرب ۝ طوبى لمن خدم
ويك يا نفس قدمي ۝ صالحا عند ذي القدم
وازدري زخرف الحياة ۝ فوجدانه عدم
واذكري مصرع الحمام ۝ إذا خطبه صدم
واندبي فعلك القبيح ۝ ونحي له بدم

وادبغيه

وادّ بغيه بتوبة ❊ قبل أن يحلم الأدم
فعسى الله أن يقيك ❊ السعير الذي احتدم
يوم لا عثرة تقال ❊ ولا ينفع الندم

ثم إنه أغمد عضب لسانه، وانطلق لشانه، فما زلت في كل مورد نرده، ومعرّس نتوسّده، أتفقّده فأفتقده، وأستنجد بمن ينشده، فلا يجده، حتى خيّل إليّ أن الجن اختطفته، أو الأرض التطفته، فما كابدت في الغربة كهذه الكربة، ولا بليت في سفرة بمثلها من زفرة.

المقامة الثانية والثلاثون

وتعرف بالطيبية

حكى الحارث بن همام قال: اجتمعت حين قضيت مناسك الحج، وأتممت وظائف العجّ والثجّ، أن أقصد طيبة، مع رفقة من بني شيبة، لأزور قبر المصطفى، وأخرج من قبيل من حجّ وجفا، فأرجف بأن المسالك شاغرة، وعرب الحرمين متشاجرة، فحرت بين إشفاق يثبّطني، وأشواق تنشّطني، إلى أن ألقي في روعي الاستسلام، وتغليب زيارة قبر النبي عليه السلام، فأعتمت العقدة، وأعددت العدّة، وسرت والرفقة لا تلوي على عرجة، ولا تني في تأويب ولا دلجة، حتى وافينا بني حرب، وقد آبوا من حرب، فأزمعنا أن نقضي ظلّ اليوم في خِلّة القوم، وبينما نحن نتخيّر المناخ، ونرود الورد النقاخ، إذ رأيناهم يركضون، كأنهم إلى نصب يوفضون، فرابنا انثيالهم، وسألنا ما بالهم، فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب، فأهرعوا لهذا السبب، فقلت لرفقتي ألا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد من الغيّ، فقالوا لقد أسمعت إذ دعوت، ونصحت وما ألوت

فنهضنا نتّبع الهادي ۝ ونأمّ النادي ۝ حتى اذا اظللنا عليه ۝ واستشرفنا الفقيه المنهود اليه ۝ الفينا ابا زيد ذا الشنق والبقر ۝ والفواقر والفقر ۝ وقد اعتمّ القفداء ۝ واشتمل الصمّاء ۝ وقعد القرفصاء ۝ واعيان الحيّ به محتفّون ۝ واخلاطهم عليه ملتفّون ۝ وهو يقول سلوني عن المعضلات ۝ واستوضحوا منّي المشكلات ۝ فوالذي فطر السماء ۝ وعلّم آدم الاسماء ۝ انّي لفقيه العرب العرباء ۝ واعلم من تحت الخضراء ۝ فصمد له فتى فتيق اللسان ۝ جريّ الجنان ۝ وقال انّي حاضرت فقهاء الدنيا ۝ حتى انتخلت منهم مائة فتيا ۝ فان كنت ممّن يرغب عن بنات غير ۝ ويرغب في مثافنة خير ۝ فاستمع واجب ۝ لتقابل بما يجب ۝ فقال الله اكبر ۝ سيبين المخبر ۝ وينكشف المضمر ۝ فاصدع بما تؤمر ۝ قال

ما تقول فيمن توضّأ ثم لمس ظهر نعله ۝ قال انتقض وضوءه بفعله

النعل الزوجة

قال فان توضّأ ثم اتكاه البرد ۝ قال يجدّد وضوءه من بعد

البرد النوم

قال ايجوز الوضوء بما يقذفه الثعبان ۝ قال واي وضوء انظف منه للعريان

الثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادي

قال ايمسح المتوضّي انثييه ۝ قال قد ندب اليه ولم يوجب عليه

الانثيان الاذنان

قال ايستباح ماء الضرير ۝ قال نعم ويجتنب ماء البصير

الضرير حرف الوادي والبصير الكلب

قال ايحلّ الطوف في الربيع ۝ قال يكره ذاك للحدث الشنيع

الطوف

الطوف النفوط ؛ والربيع النهر

قال أيجب الغسل على من أمنى ؛ قال لا ولو ثنّى

أمنى نزل من منى يقال منى الرجل وأمنى وامتنى

قال وهل يجب على الجنب غسل فروته ؛ قال أجل وغسل إبرته

الفروة جلدة الراس ؛ والإبرة عظم الراس

قال وإن أخلّ بغسل فاسه ؛ قال هو كما لو ألغى غسل راسه

الفاس العظم المشرف على القفا

قال ما تقول فيمن تيمّم ثم رأى روضا ؛ قال بطل تيمّمه فليتوضّا

الروض جمع روضة وهي الصبابة تبقى في الحوض

قال أيجوز أن يسجد الرجل في العذرة ؛ قال نعم وليجانب القذرة

العذرة فناء الدار

قال فهل له السجود على الخلاف ؛ قال لا ولا على أحد الأطراف

الخلاف الكمّ

قال فإن سجد على شماله ؛ قال لا بأس بفعاله

الشمال جمع شملة

قال فهل يجوز السجود على الكراع ؛ قال دون الذراع

الكراع ما استطال من الحرّة

قال أيصلّى على راس الكلب ؛ قال نعم كسائر الهضب

راس الكلب ثنيّة معروفة

قال ما تقول فيمن صلّى وعانته بارزة ؛ قال صلوته جائزة

الصوم ذرق النعام من حمر الوحش

قال فان صلى وعليه صوم ؛ قال يعيد ولو صلى الف يوم

الصوم ذرق النعام

قال فان حمل جروا وصلى ؛ قال هو كما لو حمل باقلا

الجرو الصغار من القثاء والرمان

قال ايصح صلوة حامل القروة ؛ قال لا ولو صلى فوق المروة

القروة ميلغة الكلب

قال فان قطر على ثوب المصلي نجو ؛ قال يمضي في صلوته ولا غرو

النجو السحاب الذي هراق ماءه

قال ايجوز ان يأم الرجال مقتع ؛ قال نعم ويأتم بهم مدرع

المقتع لابس المغفر والمدرع لابس الدرع

قال فان امهم من في يده وقف ؛ قال يعيدون ولو انهم الف

الوقف السوار من الذبل

قال فان امهم من فخذه بادية ؛ قال صلوته وصلوتهم ماضية

الفخذ العشيرة وبادية يسكنون البدو فيها واختار بعض اهل اللغة تسكين الخاء من هذه الفخذ ليحصل الفرق بينهما وبين الفخذ من الاعضاء

قال فان امهم الثور الاجم ؛ قال صل وخلاك ذم

الثور السيد والاجم الذي لا رمح له

قال ايدخل القصر في صلوة الشاهد ؛ قال لا والغائب الشاهد

صلاة الشاهد صلاة المغرب سميت بذلك لاقامتها عند طلوع النجم لان

النجم

النجم يسمى الساهد

قال أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان • قال ما رخص فيه إلا الصبيان

المعذور المختون والمعذر أيضا

قال فهل للمعرس أن يأكل فيه • قال نعم بملء فيه

المعرس المسافر الذي ينزل من آخر ليله ليستريح ثم يرتحل

قال فإن أفطر فيه العراة • قال لا ينكر عليهم الولاة

العراة الذين تأخذهم العرواء وهي الحمى برعدة

قال فإن أكل الصائم بعدما أصبح • قال هو أحوط له وأصلح

أصبح استصبح بالمصباح

قال فإن عمد لأن أكل ليلا • قال ليتشمر للقضاء ذيلا

الليل فرخ الحبارى وقيل هو ولد الكروان

قال فإن أكل قبل أن تتوارى البيضاء • قال يلزمه وأبيه القضاء

البيضاء من أسماء الشمس

قال فإن استثار الصائم الكيد • قال أفطر وحق الصيد

الكيد القيء واستثاره أي استدعاه

قال أله أن يفطر بإلحاح الطابخ • قال نعم لا بطاعة المطابخ

الطابخ الحمى الصالب

قال فإن ضحكت المرأة لا بصومها • قال بطل صوم يومها

ضحكت ههنا أي حاضت ومنه قوله فضحكت فبشرناها

قال فإن ظهر الجدري على ضرتها • قال تفطر إن أذن بمضرتها

الضرة اصل الابهام وأصل الثدي ايضا

قال ما يجب في مائة مصباح ؛ قال حقتان يا صاح

المصباح الناقة التي تصبح في المبرك

قال فان ملك عشر خناجر ؛ قال يخرج شاتين ولا يشاجر

الخناجر النوق الغزار واحدها خنجر وخنجور

قال فان سمح الساعي بخميمته ؛ قال يا بشرى له يوم قيامته

الساعي جابي الصدقة والخميمة خيار المال

قال ايستحق حملة الاوزار من الزكاة جزا ؛ قال نعم اذا كانوا غزا

الاوزار السلاح

قال ايجوز للحاج ان يعتمر ؛ قال لا ولا ان يختمر

الاعتمار لبس العمامة

قال فهل له ان يقتل الشجاع ؛ قال نعم كما يقتل السباع

الشجاع الحية

قال فان قتل زمارة في الحرم ؛ قال عليه بدنة من النعم

الزمارة النعامة واسم صوتها الزمار

قال فان رمى ساق حر فجدله ؛ قال يخرج شاة بدله

ساق حر ذكر القماري

قال فان قتل ام عوف بعد الاحرام ؛ قال يتصدق بقبضة من طعام

ام عوف الجرادة

قال ايجب على الحاج استصحاب القارب ؛ قال نعم ليسوقهم الى المشارب

القارب

القارب طالب الماء بالليل

قال ما تقول في الحرام يحل لسبت ؛ قال قد حل في ذلك الوقت

الحرام المحرم والسبت حلق الرأس وحل من تحليل الحج

قال ما تقول في بيع الكميت ؛ قال حرام كبيع الميت

الكميت الخمر

قال أيجوز بيع الخل بلحم الجمل ؛ قال لا ولا بلحم الجمل

الخل ابن المخاض ولا يحل بيع اللحم بالحيوان سواء من جنسه أم من غير جنسه

قال أيحل بيع الهدية ؛ قال لا ولا بيع السبية

الهدية بالتشديد ما يهدى إلى الكعبة والسبية الخمر

قال ما تقول في بيع العقيقة ؛ قال محظور على الحقيقة

العقيقة ما يذبح عن المولود السابع من ولادته من اليوم

قال أيجوز بيع الداعي على الراعي ؛ قال لا ولا على الساعي

الراعي بقية اللبن في الضرع

قال أيباع الصقر بالتمر ؛ قال لا ولا العنب بالخمر

الصقر الدبس

قال أيشتري المسلم سلب المسلمات ؛ قال نعم ويورث عنه إذا مات

السلب لحاء الشجر وهو أيضا خوص الثمام

قال أيجوز في ذبح الشافع ؛ قال ما لجوازه من دافع

الشافع الشاة التي معها سخلتها

قال أيباع الإبريق على بني الأصفر ؛ قال يكره كبيع المغفر

الأبريق السيف الصقيل الكثير الماء ۞ وبنو الأصفر الروم

قال أيجوز أن يبيع الرجل صيفيّة ۞ قال لا ولكن يبيع صيفيّة

الصيفي الولد على الكبر ۞ والصيفية الناقة الغزيرة الدر

قال فإن اشترى عبدا فبان بأمّه جراح ۞ قال ما في ردّه من جناح

الأم مجمع الدماغ

قال أتثبت الشفعة للشريك في الصحراء ۞ قال لا وللشريك في الصحراء

الصحراء الأتان التي تمازج بياضها غبرة

قال أيجوز أن يحمى ماء البير والخلا ۞ قال إن كان في الفلا فلا

يحمى يمنع والخلا الكلا

قال ما تقول في ميتة الكافر ۞ قال حلّ للمقيم والمسافر

الكافر البحر وميتته السمك الطافي فوق مائه

قال أيجوز أن يضحّى بالحول ۞ قال هو أجدر بالقبول

الحول جمع حائل

قال فهل يضحّى بالطالق ۞ قال نعم ويقرى منها الطارق

الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت

قال فإن ضحّى قبل ظهور الغزالة ۞ قال شاة لحم بلا محالة

الغزالة الشمس وقال بعضهم طلعت الغزالة ولا يقال غربت

قال أيحلّ الكسب بالطرق ۞ قال هو كالقمار بلا فرق

الطرق الضرب بالحصى وهو من أفعال الكهنة :

قال أيسلّم القائم على القاعد ۞ قال هو محظور فيما بين الأباعد

القاعد

القاعد التي قعدت عن الحيض او عن الازواج

قال ايباع العاقل تحت الرقيع ۞ قال احبب به في البقيع

الرقيع السما والبقيع بقيع المدينة

قال ايمنع الذمي من قتل العجوز ۞ قال تعارضه في العجوز لا تجوز

العجوز الخمر ـ وقتلها مزجها

قال ايجوز ان ينتقل الرجل عن عمارة ابيه ۞ قال ما جوز لخامل ولا نبيه

العمارة القبيلة

قال ما تقول في التهود ۞ قال هو مفتاح التزهد

التهود التوبة ومنه قوله تعالى انا هدنا اليك اى تبنا

قال ما تقول في صبر البلية ۞ قال اعظم به من خطية

الصبر الحبس والبلية الناقة تحبس عند قبر صاحبها فلا تسقى ولا تعلف

قال ايحل ضرب السفير ۞ قال نعم والحمل على المستشير

السفير ما تساقط من ورق الشجر والمستشير الجمل السمين وهو ايضا الجمل الذي يعرف اللاقح من الحائل

قال ايعزر الرجل اباه ۞ قال يفعله ولا يأباه

التعزير التعظيم

قال ما تقول في من افقر اخاه ۞ قال يا حبذا ما توخاه

افقره اعاره ناقة يركب فقارها

قال فان اعرى ولده ۞ قال يا حسن ما اعتمده

اعراه اعطاه ثمرة نخله عاما

قال فان اصلى مملوكه النار ♦ قال لا اثم عليه ولا عار

المملوك العجين الذى اجيد عجنه حتى قوى

قال ايجوز للمراة ان تصرم بعلها ♦ قال ما خطر احد فعلها

البعل النخل الذى يشرب بعروقه من الارض

قال فهل يودب المراة على الخجل ♦ قال اجل

الخجل سوء احتمال الغنى ومنه قوله عليه السلام انكن اذا جعتن دقعتن واذا شبعتن خجلتن

قال ما تقول فيمن نحت اثلة اخيه ♦ قال اثم ولو اذن له فيه

نحت اثلته اذا اغتابه وقدح فى عرضه

قال ايحجر الحاكم على صاحب الثور ♦ قال نعم ليامن غائلة الجور

الثور الجنون

قال فهل له ان يضرب على يد اليتيم ♦ قال نعم الى ان يستقيم

ضرب على يده اذا حجر عليه

قال فهل يجوز ان يتخذ له ربضا ♦ قال لا ولو كان له رضا

الربض الزوجة

قال فمتى يبيع بدن السفيه ♦ قال حين يرى له الحظ فيه

البدن الدرع القصيرة

قال فهل يجوز ان يباع له حشا ♦ قال نعم اذا لم يكن مغشى

الحش النخل المجتمع

قال ايجوز ان يكون الحاكم ظالما ♦ قال نعم اذا كان عالما

الظالم

الظالم الذي يشرب اللبن قبل ان يروب ويخرج زبده

قال ايستقصي من ليست له بصيرة ؛ قال نعم اذا حسنت منه السيرة

البصيرة الترس

قال فان تعرى من العقل ؛ قال ذاك عنوان الفضل

العقل ضرب من الوشي

قال فان كان له زهو جبار ؛ قال لا انكار عليه ولا اكبار

الزهو البسر المتلون والجبار النخل الذي فات اليد وضده القاعد

قال ايجوز الشاهد ان يكون مريبا ؛ قال نعم اذا كان اديبا

المريب الذي كثر عنده اللبن الرائب

قال فان بان انه لاط ؛ قال هو كما لو ضاط

لاط الحوض اذا طينه

قال فان عثر على انه غربل ؛ قال ترد شهادته ولا تقبل

غربل قتل • قال الراجز • ترى الملوك حوله مغربله

قال فان وضح انه مائن ؛ قال هو وصف له زائن

المائن الذي يعول ويكفي المؤنة من مان يمون

قال ما يجب على عائد الحق ؛ قال يحلف باله الخلق

العائد ههنا الجاحد • والحق ههنا الدين

قال ما تقول في من فقا عين بلبل عامدا ؛ قال تفقا عينه قولا واحدا

البلبل الرجل الخفيف

قال فان جرح قطاة امراة فماتت ؛ قال النفس بالنفس اذا فاتت

الفطاة ما بين الوركين

قال فان التقت الحامل حشيشا من ضربه قال ليكفر بالاعتاق عن ذنبه

الحشيش الجنين الملقى ما يتا

قال ما يجب على المختفي في الشرع قال القطع لا قامة الردع

المختفي نباش القبور

قال فما يصنع بمن سرق اساود الدار قال يقطع ان ساوين ربع دينار

الاساود الآلات المستعملة كالأجانة والقدر والجفنة

قال فان سرق ثمينا من ذهب قال لا قطع كما لو غصب

الثمين الثمن كما يقال في النصف النصيف وفي السدس السديس

قال فان بان على المرأة السرق قال لا حرج عليها ولا فرق

السرق الحرير الأبيض

قال اينعقد نكاح لم تشهده الفوارك قال لا ولا السوق البارك

الفوارك الشهود لانهم يفركون الاشياء اى يتثبتونها

قال ما تقول في عروس باتت بليلة حرة ثم ردت في حافرتها بسحرة

قال يجب لها نصف الصداق ولا يلزمها عدة الطلاق

يقال باتت العروس بليلة حرة اذا امتنعت على زوجها فان افتضها قيل باتت بليلة شيباء والرد في الحافرة يعني الرجوع في الطريق الاول وكني به عن طلاقها وردها الى اهلها

فقال له السائل لله درك من بحر لا يغضغضه الماتح وحبر لا يبلغ مدحه المادح ثم اطرق اطراق الحي وارم ارمام العي فقال له

ابو زيد اليه يا فتى ۞ فالى متى والى متى ۞ فقال انه لم يبق في كنانتي مرماة
ولا بعد اشراق صبحك مماراة ۞ فبالله اي ابن ارض انت ۞ فما احسن ما ابنت

فانشد بلسان ذلق ۞ وصوت صهصلق

انا في العالم مثله ۞ ولاهل العلم قبله
غير اني كل يوم ۞ بين تعريس ورحله
والغريب الدار لو حل ۞ بطوبى لم تطب له

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هدى وبهدى ۞ فاجعلهم ممن تهتدي ويهدى
فساق اليه القوم ذودا مع قينة ۞ وسالوه ان يزورهم الفينة بعد الفينة
فنهض يمنيهم العود ۞ ويزجي الامد والذود ۞ قال الحرث بن همام ۞ فاعترضته
وقلت له عهدي بك سفيها ۞ متى صرت فقيها ۞ فظل هنيهة يحول ثم انشد يقول

لبست لكل زمان لبوسا ۞ وجربت صرفيه نعمى وبوسا
وعاشرت كل جليس بما ۞ يلائمه لأروق الجليسا
فعند الرواة ادير الكلام ۞ وبين الندامى ادير الكؤوسا
وطورا بوعظي اسيل الدموع ۞ وطورا بلهوي اسر النفوسا
واقري المسامع اما نطقت ۞ بيانا يقود الحرون الشموسا
وان شئت ارعد كفي اليراع ۞ فساقط درا يحلي الطروسا ارعف
وكم مشكلات حكين السها ۞ خفاء فصيرن بكشفي شموسا
وكم ملح لي خلبن العقول ۞ واسأرن في كل قلب رسيسا
وعذراء أفضت بها فانثنت ۞ عليها الثناء طليقا حبيسا
على انني من زماني خصصت بكيد ۞ ولا كيد فرعون موسى

يُسْعِرُ لي كلَّ يومٍ وغًا أطا ❁ من لظاها وطيسا
ويطرقني بالخطوب التي يُذ ❁ بن الفؤاد ويُشبن الرؤوسا
ويُدني إلى البعيد البغيض ❁ ويُبعد عني القريب الأنيسا
ولولا خساسة أخلاقه لما ❁ كان حظّي منه خسيسا

قال المخبر بهذه الحكاية فقلت له خفّض الأحزان ❁ ولا تلم الزمان واشكر لمن نقلك عن مذهب ابليس ❁ إلى مذهب ابن ادريس ❁ فقال دع الهتار ولا تهتك الأستار ❁ وانهض بنا لنضرب ❁ إلى مسجد يثرب عسى أن نرحض بالمزار ❁ درن الأوزار ❁ فقلت هيهات أن أسير ❁ أو أفقه التفسير ❁ فقال تالله لقد أوجبت ذمّا ❁ وطلبت إذ طلبت أمّا نهاك ما يشفي النفس ❁ وينفي اللبس ❁ قال فلما أوضح لي المعمّى ❁ وكشف عني الغمّى ❁ شددنا الأكوار ❁ وسرت وسار ❁ ولم أزل من مسامرته ❁ مدة مسايرته ❁ فيما أنساني طعم المشقة ❁ ووددت معه بعد الشقة ❁ حتى حتى إذا دخلنا مدينة الرسول ❁ وفزنا من الزيارة بالسؤل ❁ أشأم وأعرقت وغرّب وشرّقت

المقامة الثالثة والثلثون

وتعرف

أخبر الحرث بن همام قال عاهدت الله تعالى مذ لفعت ❁ ألا أؤخر الصلوة ما استطعت ❁ فكنت مع جوب الفلوات ❁ ولهو الخلوات ❁ أراعي أوقات الصلوات ❁ وأحاذر من مأثم الفوات ❁ وإذا رافقت في رحلة أو حللت بحلّة ❁ مرحبت٧ الداعي إليها ❁ واقتديت بمن يحافظ عليها ❁ فاتفق حين دخلت تفليس ❁ أن صليت مع مفاليس ❁ فلما فرغنا الصلوة ٧ بصوت

وأزمعنا

وارتعنا للانفلات، برز شيخ بادي اللقوة، بالي الكسوة والقوة، فقال
عزمت على من خلق من طينة الحرية، وارتضع لبان العصبية، ونشأ
في حجرة الحمية، إلا ما تكلف لي لبثة، واستمع مني نفثة، ثم له الخيار من
بعد، وبيده البذل والرد، فعقد له القوم الحبى، ورسوا مثال الربى
فلما آنس حسن إنصاتهم، ورزانة حصاتهم، قال يا أولي الأبصار الرامقة
والبصائر الرائقة، أما يغني عن الخبر العيان، وينبي عن النار الدخان
شيب لائح، وضعف بائح، وداء واضح، وباطن فاضح، ولقد كنت والله
ممن ملك ومال، وولي وآل، ورفد ونال، ووصل وصال، فلم تزل
الجوائح تسحب، والنوائب تنحب، حتى الوكر قفر، والكف صفر، والشعار
ضر، والعيش مر، والصبية يتضاغون من الطوى، ويتمنون مصاصة
النوى، ولم أقم هذا المقام الشائن، وأكشف لكم الدفائن، إلا بعدما شقيت
ولقيت، وشبت مما لقيت، فليتني لم أكن بقيت، ثم تأوه تأوه الأسيف

وأنشد بصوت ضعيف

أشكو إلى الرحمن سبحانه ❖ تقلب الدهر وعدوانه
وحادثات قرعت مروتي ❖ وقوضت مجدي وبنيانه
واهتصرت عودي ويا ويل من ❖ تهتصر الأحداث أغصانه
وأمحل ربعي حتى جلت ❖ من ربعي الممحل جرذانه
وغادرتني حائرا بائرا ❖ أكابد الفقر وأشجانه
من بعد ما كنت أخا ثروة ❖ يسحب في النعمة أردانه
يختبط العافون أوراقه ❖ ويحمد الساعون نيرانه

فاصبح اليوم كان لم يكن ۞ اعانه الدهر الذي عانه
وازورّ من كان زائرا ۞ وعافى عافي العرف عرفانه
فهل فتى يحزنه ما يرى من ۞ ضر شيخ دهره خانه
فيفرج الهم الذي همه ۞ ويصلح الشان الذي شانه

قال نصبت الجماعة الى ان تستثبته ۞ ليستنجث خبأه ويستنقض حقيبته ۞ فقالت له قد عرفنا قدر رزانتك ۞ ورأينا درّ مزنتك ۞ فعرفنا دوحة شعبتك ۞ واحسر اللثام عن نسبتك ۞ فاعرض اعراض من منّي بالاعنات ۞ او بشّر بالبنات ۞ وجعل يلصّ الضرورات ۞ ويتأفف من تنقّض المروات

ثم انشد بلفظ صادع ۞ وجرس خادع

لعمرك ما كل فرع يدل ۞ جناه اللذيذ على اصله
فكم ما حلا جنى تؤتى به ۞ ولا تستبيل الشهد من نحله
وميّز اذا ما اعتصرت الكروم ۞ سلافة عصرك من خله
لتغلي وترخص عن خبرة ۞ وتشري كلا شري مثله
فعار على الفطن اللوذعي ۞ دخول الغميزة في عقله

قال فاذهى القوم بذكائه ۞ واختلبهم بجنس ادائه مع دائه ۞ ودعاهم الافتتان بادبه ۞ ولا امتعاض مما نزل به ۞ حتى جمعوا له خبايا الخبن ۞ وخفايا الثبن ۞ وقالوا له يا هذا انك حمت على ركية بكية ۞ وتعرضت لخلبة خلبية ۞ فخذ هذه الصبابة ۞ وهبها لا اخطاء ولا اصابة ۞ فنزل قلهم منزلة الكثر ۞ ووصل قبوله بالشكر ۞ ثم تولى يجر شقه ۞ وينهب بالخط طرقه ۞ فقال المخبر بهذه الحكاية ۞ فتصور لي انه محيل في حليته

منتصبه

مُتَصَنِّعٌ فِي مِشْيَتِهِ ❁ فَنَهَضْتُ أَنْهَجُ مِنْهَاجَهُ ❁ وَأَقْفُو أَدْرَاجَهُ
وَهُوَ يَلْحَظُنِي شَزْرًا ❁ وَيُوسِعُنِي هَجْرًا ❁ حَتَّى إِذَا خَلَا الطَّرِيقُ ❁ وَأَمْكَنَ التَّحْقِيقُ
نَظَرَ إِلَيَّ نَظَرَ مَنْ هَشَّ وَبَشَّ ❁ وَمَا حَصَّ بَعْدَ مَا غَشَّ ❁ وَقَالَ إِنِّي لَأَخَالُكَ
أَخَا غُرْبَةٍ ❁ وَرَائِدَ صُحْبَةٍ ❁ فَهَلْ لَكَ فِي رَفِيقٍ يَرْفُقُ لَكَ ❁ وَيَرْفُقُ
وَيُنْفِقُ عَلَيْكَ وَيُنْفِقُ ❁ فَقُلْتُ لَوْ أَتَانِي هَذَا الرَّفِيقُ ❁ لَأَتَانِي التَّوْفِيقُ
فَقَالَ قَدْ وَجَدْتَ فَاغْتَبِطْ ❁ وَاسْتَكْرَمْتَ فَارْتَبِطْ ❁ ثُمَّ ضَحِكَ مَلِيًّا
وَتَمَثَّلَ لِي بَشَرًا سَوِيًّا ❁ فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا أَبُو زَيْدٍ لَا تَلْبِيسَ بِجِسْمِهِ ❁ وَلَا
تَشْبِيهَ فِي وَسْمِهِ ❁ فَفَرِحْتُ بِلُقْيَتِهِ ❁ وَكَذَّبْتُ لِقُوَّتِهِ ❁ وَهَمَمْتُ بِمَلَامَتِهِ
عَلَى سُوءِ مَقَامَتِهِ فَنَشَجَا فَاهُ ❁ وَأَنْشَدَ قَبْلَ أَنْ الْحَاهُ ❁

ظَهَرْتُ بِرَثٍّ لِكَيْمَا يُقَالُ ❁ فَقِيرٌ يُزَجِّي الزَّمَانَ الْمُزَجَّى
وَأَظْهَرْتُ لِلنَّاسِ أَنِّي فُلِجْتُ ❁ فَقَدْ نَالَ قَلْبِي بِهِ مَا تَرَجَّى
وَلَوْلَا الرَّثَاثَةُ لَمْ يُرْثَ لِي ❁ وَلَوْلَا التَّفَالُجُ لَمْ أَلْقَ فُلْجَا

ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ بِهَذِهِ الْأَرْضِ مَرْتَعٌ ❁ وَلَا فِي أَهْلِهَا مَطْمَعٌ ❁ فَإِنْ كُنْتَ
الرَّفِيقَ ❁ فَالطَّرِيقَ الطَّرِيقَ ❁ فَسِرْنَا مِنْهَا مُتَجَرِّدَيْنِ ❁ وَرَافَقْتُهُ عَامَيْنِ
أَجْرَدَيْنِ ❁ وَكُنْتُ عَلَى أَنْ أَصْحَبَهُ مَا عِشْتُ ❁ فَأَبَى الدَّهْرُ الْمُشَتِّتُ

❁ الْمَقَامَةُ الرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ ❁

❁ وَتُعْرَفُ بِالزَّبِيدِيَّةِ ❁

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ لَمَّا جُبْتُ الْبِيدَ ❁ إِلَى زَبِيدَ ❁ صَحِبَنِي غُلَامٌ كُنْتُ
رَبَّيْتُهُ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَشُدَّهُ ❁ وَثَقَّفْتُهُ حَتَّى أَكْمَلَ رُشْدَهُ ❁ وَكَانَ أَنِيسًا بِأَخْلَاقِي
وَخَبِرَ بِمَحَالِبِ وِفَاقِي ❁ فَلَمْ يَكُنْ يَتَخَطَّى مَرَامِي ❁ وَلَا يُخْطِئُ فِي الْمَرَامِي ❁ لَا جَرَمَ

ان قربه التاطت بصفري • واخلصته لحضري وسفري • فالوى به الدهر
المبيد حتى ضمتنا زبيد • فلما شالت نعامته • وسكنت نامته • بقيت
عاما لا اسيغ طعاما • ولا اريغ غلاما • حتى الجاتني شوائب الوحدة
ومتاعب القومة والقعدة • الى ان اعتاض على الدن الخرز • وارتاد من
هو سداد من عوز • فتصديت من يبيع العبيد • بسوق زبيد • وقلت
اريد غلاما يعجب اذا قلب • ويحمد اذا جرب • وليكن ممن خرجه الاكياس
وخرج به الى السوق الافلاس • فاهتز كل منهم لمطلبي • ووثب وبذل
تحصيله عن كثب • ثم دارت الاهلة دورها • وتقلبت كورها وحورها
وما نجز من وعودهم وعد • ولا سنح لهم سعد • علمت ان ليس من
خلق يفري • وان لن يحك جلدي مثل ظفري • فرفضت مذهب التفويض
وبرزت الى السوق بالصفر والبيض • واني لاستعرض الغلمان • واستغرق
الاثمان • اذ عارضني رجل قد اختطم بلثام • وقبض على زند غلام • وقال

اتشتري مني غلاما صنعا • في خلقه وخلقه قد برعا
بكل ما فطت به مضطلعا • يشفيك ان قال وان قلت وعى
وان تصبك عثرة يقل لعا • وان تسمه السعي في النار سعى
وان تناجيه ولو يوما رعى • وان تقنعه بطلف قنعا
وهو على الكيس لذي قد جمعا • ما فاه قط كاذبا ولا ادعى
ولا اجاب مطمعا حين دعا • ولا استجاز نث سر اودعا
وطالما ابدع فيما صنعا • وفاق في النظم وفي النثر معا
والله لولا ضنك عيش صدعا • وصبية اضحوا عراة جوعا
ما بعته بملك كسرى اجمعا •

[illegible]

قال فلما تأملت خلقه القويم ❁ وحسنه الصميم ❁ خلته من ولدان جنة
النعيم ❁ وقلت ما هذا بشرا ❁ ان هذا الا ملك كريم ❁ ثم استنطقته عن
اسمه ❁ لا لرغبة في علمه ❁ بل لانظر اين فصاحته ❁ من صباحته
وكيف لهجته من بهجته ❁ فلم ينطق بحلوة ولا مرة ❁ ولا فاه فوه بابن امة
ولا حرة ❁ فضربت عنه صفحا ❁ وقلت قبحا لعيك وشقحا ❁ فافتر في
الضحك وانجد ❁ ثم انغض راسه الي وانشد ❁

يا من تلهب غيظه ان لم يبح ❁ باسمي له ما هكذا من ينصف
ان كان لا يرضيك الا كشفه ❁ فاصخ له انا يوسف انا يوسف
ولقد كشفت لك الغطا فان تكن ❁ فطنا عرفت وما اخالك تعرف

قال فسرى عني بشعره ❁ واستبى لبي بسحره ❁ حتى شدهت عن
التحقيق ❁ وانسيت قصة يوسف الصديق ❁ ولم يكن لي هم ❁ ولا مساومة
مولاه فيه ❁ واستطلاع طلع الثمن لاوفيه ❁ وكنت احسب انه سينظر
شزرا الي ❁ ويغلي السيمة علي ❁ فما حلق الى حيث حلقت ❁ ولا اعتلق
بما به اعتلقت ❁ بل قال ان العبد اذا نزر ثمنه تبرك به مولاه ❁ ولتخف
عليه هواه ❁ واني لاوثر تحبيب هذا الغلام اليك ❁ بان اخفف ثمنه
عليك ❁ فزن مائتي درهم ان شئت ❁ واشكر لي ما حييت ❁ فنقدته
المبلغ في الحال ❁ كما ينقد في الرخيص الحلال ❁ ولم يخطر لي ببال ❁ ان
كل مرخص غال ❁ فلما تحققت الصفقة ❁ وحقت الفرقة ❁ هملت عينا
الغلام ❁ لا كهمول دمع الغمام ❁ ثم اقبل على صاحبه وقال

لحاك الله هل مثلي يباع ❁ لكيما تشبع الكرش الجياع

فوه

وَهَلْ فِي شِرْعَةِ الْإِنْصَافِ إِنِّي ۞ أُكَلَّفُ خُطَّةً لَا تُسْتَطَاعُ
وَانْ أُبْلَى بِرَوْعٍ بَعْدَ رَوْعٍ ۞ وَمِثْلِي حِينَ يُبْلَى لَا يُرَاعُ
أَمَا جَرَّبْتَنِي فَخَبَرْتَ مِنِّي ۞ نَصَائِحَ لَمْ يُمَازِجْهَا خِدَاعُ
وَكَمْ ارْصَدْتَنِي شَرَكًا لِصَيْدٍ ۞ فَصُدْتُ وَفِي حَبَائِلِي السِّبَاعُ
وَنُطْتَ بِي الْمَصَاعِبَ فَاسْتَقَادَتْ ۞ مُطَاوِعَةً وَكَانَ بِهَا امْتِنَاعُ
وَايُّ كَرِيهَةٍ لَمْ أُبْلِ فِيهَا ۞ وَغُنْمٍ لَمْ يَكُنْ لِي فِيهِ بَاعُ
وَمَا ابْدَتْ لِيَ الْأَيَّامُ جُرْمًا ۞ فَيَكْشِفُ فِي مُصَارَمَتِي الْقِنَاعُ
وَلَمْ تَعْثُرْ بِحَمْدِ اللّٰهِ مِنِّي ۞ عَلَى عَيْبٍ يُكَتَّمُ اَوْ يُذَاعُ
فَأَنَّى سَاغَ عِنْدَكَ نَبْذُ عَهْدِي ۞ كَمَا نُبِذَتْ بُرَايَتُهَا الصُّنَاعُ
وَكَمْ سَمَحَتْ قُرُونُكَ امْتِهَانِي ۞ وَانْ اُشْرَى كَمَا يُشْرَى الْمَتَاعُ
وَهَلَّا صُنْتَ عِرْضِي عَنْهُ صَوْنِي ۞ حَدِيثَكَ يَوْمَ جَدَّ بِنَا الْوَدَاعُ
وَقُلْتَ لِمَنْ يُسَاوِمُ فِيَّ هَذَا ۞ سَكَابِ فَلَا يُعَافُ وَلَا يُبَاعُ
فَمَا اَنَا دُونَ ذَاكَ الطِّرْفِ لَكِنْ ۞ طِبَاعُكَ فَوْقَهَا تِلْكَ الطِّبَاعُ
عَلَى أَنِّي سَأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعِي ۞ اَضَاعُونِي وَاَيَّ فَتًى اَضَاعُوا

قال فَلَمَّا وَعَى الشَّيْخُ اَبْيَاتَهُ ۞ وَعَقَلَ مُنَاغَاتَهُ ۞ تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ ۞ وَبَكَى حَتَّى اَبْكَى الْبُعَدَاءَ ۞ ثُمَّ قَالَ إِنِّي أُحِلُّ هَذَا الْغُلَامَ مَحَلَّ وَلَدِي ۞ وَلَا اُمَيِّزُهُ عَنْ كَبِدِي ۞ فَلَوْلَا خُلُوُّ اَمْرَاحِي ۞ وَخُبُوُّ مِصْبَاحِي ۞ لَمَا دَرَجَ عَنْ عُشِّي ۞ إِلَى اَنْ يُشَيِّعَ نَعْشِي ۞ وَقَدْ رَأَيْتَ بِهِ مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ وَالْمَوْتُ هَيِّنٌ لَيِّنٌ ۞ فَهَلْ لَكَ فِي تَسْلِيَةِ قَلْبِهِ ۞ وَتَسْرِيَةِ كَرْبِهِ ۞ بِاَنْ تُشَاهِدَنِي عَلَى الْإِقَالَةِ مَتَى اسْتَقَلْتُ ۞ وَلَا تَسْتَثْقِلَنِي إِذَا ثَقُلْتُ ۞ فَفِي

الآثار المنتقاة * المدونة عن التقاة * من أقال نادماً بيعته * أقال الله عثرته * قال الحارث بن همام * فوعدته وعداً أبرزه الحياء * وفي القلب أشياء فاستدناني حينئذٍ الغلام إليه * وقبّل ما بين عينيه * وأنشد والدمع يترقرق من جفنيه *

خفّض فديتك ما تلاقي * من برحاء الوجد والاشتياق
فما تطول مدة الفراق * ولا تني ركائب التلاقي
بحسن عون القادر الخلّاق *

ثم قال أستودع عنك من هو نعم المولى * ثم تشمّر ذيله وولّى * فلبث الغلام في زفير وعويل * ربّما يقطع مدى ميل * فلما استفاق * وكفكف دمعه المهراق * قال أتدري لما أعولت * وعلى ماذا عوّلت * فقلت أطرح فراق مولاك * هو الذي أبكاك * فقال إنك لفي واد * وأنا في واد * وكم بين مريد ومراد * وأنشد

لم أبك والله على إلف نزح * ولا على فوت نعيم وفرح
وإنما مدمع أجفاني سفح * على غبي لحظه حين طمح
ورحله حتى تعنّى وانتضح * وضيّع المنقوشة البيض الوضح
ويك أما ناجتك هاتيك الملح * بأنني حر وبيعي لم يصح
إذ كان في يوسف معنى قد وضح *

قال فتمثّلت مقاله في مرآة المداعب * ومعرض الملاعب * فتصلّب تصلّب المحق * وأضبّ على التبرّي من طينة الرق * فجلنا في مخاصمة اتصلت بملاكمة * وأفضت إلى محاكمة * فلما أوضحنا للقاضي الصورة * وتلونا

عليه السورة ۞ قال الا ان من انذر ۞ فقد اعذر ۞ ومن حذر ۞ كمن بشر
ومن بصر فما قصر ۞ وان فيما شرحتماه لدليلا على ان هذا الغلام قد نبهك
فما ارعويت ۞ ونصحك فما وعيت ۞ فاسترد ابلجك واكتمه ۞ ولم نفسك
ولا تلمه ۞ وحذار من اعتلاقه ۞ والطمع في استرقاقه ۞ فانه حر الاديم ۞ غير
معرض للتقويم ۞ قد كان ابوه احضره امس ۞ قبيل افول الشمس ۞ فاعترف
بانه فرعه الذي انشاه ۞ وان لا وارث سواه ۞ فقلت للقاضي ۞ اتعرف اباه
اخزاه الله ۞ فقال فهل يجهل ابو زيد الذي جرحه جبار ۞ وعند كل
قاض له اخبار ۞ فتحرقت حينئذ وحوقلت ۞ وافقت ولكن حين فات الوقت واخبار
وايقنت ان لئامه كان شرك مكيدته ۞ وبيت قصيدته ۞ فنكس طرفي ما
لقيت ۞ واليت الا اعامل مثلتما ما بقيت ۞ ولم ازل اتاوه لخسرة صفقتي
والافتضاح بين رفقتي ۞ فقال لي القاضي حين راى امتعاضي ۞ وتبين حر
ارتماضي ۞ يا هذا ما ذهب من مالك ما وعظك ۞ ولا اجرم اليك من ايقظك
فاتعظ بما نابك ۞ وكاتم اصحابك ۞ وتذكر ابدا ما دهاك ۞ لتتقي الذكر
دراهمك ۞ وتخلق بخلق من ابتلي فصبر ۞ وتجلت له العبر فاعتبر ۞ فودعته
لابسا ثوب الخجل والحزن ۞ ساحبا ذيل الغبن والغبن ۞ ونويت مكاشفة
ابي زيد بالهجر ۞ ومصارمته يد الدهر ۞ فجعلت اتنكب ذراه ۞ واتجنب ان
اراه ۞ الى ان غشيني في طريق ضيق ۞ فحياني تحية شيق ۞ فما زدت على
ان عبست ۞ وما نبست ۞ فقال ما بالك شمخت بانفك على الفك ۞ فقلت
انسيت انك اختلت وختلت ۞ وفعلت فعلتك التي فعلت ۞ فاضرط
بي متهازئا ۞

يا من

يامن نبا بي منه صدود ۞ موحش وتجهم
وغدا يريش ملاومًا ۞ من دونهن الاسهم
ويقول هل حر يباع ۞ كما يباع الادهم
اقصر فما انا فيه بدع ۞ مثل ما تتوهم
قد باعت الاسباط قبلي ۞ يوسفا وهم هم
هذا واقسم بالتي ۞ يسري اليها المتهم
والطائفين بها وهم ۞ شعث النواصي سهم
ما رمت ذاك الموقف الـ ۞ ـمخزي وعندي درهم
فاعذر اخاك وكف عنه ۞ ملام من لا يفهم

ثم قال اما معذرتي فقد لاحت ۞ واما دراهمك فقد طاحت ۞ فان كان اقشعرارك مني ۞ وازورارك عني ۞ لفرط شفقتك ۞ على غبر نفقتك ۞ فلست ممن يلسع مرتين ۞ ويوطى على جمرتين ۞ وان كنت طويت كشحك ۞ واطعت شحك ۞ لتستنقذ ما علق باشراكي ۞ فلتبكي على عقدك البواكي ۞ قال الحرث بن همام ۞ فاضطرني بلفظه الخالب ۞ وسحره الغالب ۞ الى ان عددت له صفيا ۞ وبه حفيا ۞ ونبذت فعلته ظهريا ۞ وان كان شيئا فريا ۞

المقامة الخامسة والثلثون

وتعرف بالشيرازية

حكى الحرث بن همام قال مررت في تطوافي بشيراز ۞ على ناد يستوقف المجتاز ۞ ولو كان على اوفاز ۞ فلم استطع تعديه ۞ ولاحظت تدلي في تخطيه ۞ فنحت اليه لاسبك سر جوهره ۞ وانظر كيف ثمره من زهره ۞ فاذا اهله افراد

والعايج اليهم مفاد وبينما نحن فى فكاهة اطرب من الاغاريد واطيب
من حلب العناقيد اذ احتف بنا ذو طمرين قد كاد يبلغ العمرين
فحيا بلسان طليق وابان ابانة منطيق ثم اجتبى حبوة المنتدين
وقال اجعلنا اللهم من المهتدين فازدراه القوم لطمريه ونسوا ان
المرء باصغريه واخذوا يتداعون فصل الخطاب ويجتدون عوده
من الاحطاب وهو لا يفيض بكلمة ولا يبين عن سمة الى ان سبر
قرايحهم فجين استخرج دفاينهم واستنثل كناينهم قال يا قوم
لو علمتم ان وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا الاخلاق وقلتم ما
له من خلاق ثم فجر من ينابيع الادب ولمع النخب ما جلب
بدايع العجب واستوجب ان يكتب بذوب الذهب فلما خلب كل
خلب وقلب اليه كل قلب تحلحل ليرحل وتاهب ليذهب فتعلقت
الجماعة بذيله وعاقت مسرب سيله وقالت له قد اريتنا وسمك
وارويتنا من نضحك فخبرنا عن فيضك ومحتدك فصمت صموت من
أُفحم ثم اعول حتى رُحم **قال** الراوى فلما رايت شوب ابى زيد وروبه
وسكوبه المالوف وصوبه فتاملت الشيخ على سهوة محياه وسهوكة
رباه فاذا هو اياه فكتمت سره كما يكتم الداء الدخيل وسترت مكره
وان لم يكن بخيل حتى اذا نزع عن اعواله وقد عرف عثورى على
احواله رمقنى بعين ضحاك **ثم طفق ينشد بلسان مسباك**

استغفر الله واعنى له … من فرطات اثقلت ظهريه
يا قوم كم من عاتق عانس … ممدوحة الاوصاف فى الانديه

قتلتها

قتلتها لا اتقى وارثا ◆ يطلب منى قودًا اوديه
وكلما استذنبت فى قتلها ◆ احلت بالذنب على الاقضيه
ولم تزل نفسى فى غيها ◆ وقتلها الابكار مستشريه
حتى نهانى الشيب لما بدا ◆ فى مفرقى عن تلكمُ المعصيه
فلم أُرِق مذ شاب فودى ◆ دمًا من عاتق يومًا ولا مصبيه
وها انا اليوم على ما يرى ◆ منى ومن حرفتى المكديه
أربّ بكرٍ طال تعنيسها ◆ وحجبها حتى عن الاهويه
وهى على التعنيس مخطوبة ◆ كخطبة الغانية المغنيه
وليس يكفى لتجهيزها ◆ على الرضا بالدون الا ميه
واليد لا توكى على درهم ◆ والارض قفرٌ والسما مصحيه
فهل معين لى على نقلها ◆ مصحوبة بالقينة الملهيه
فيغسل الهم بصابونه ◆ والقلب من افكاره المضنيه
ويقتنى منى الثناء الذكى ◆ تضوع رياه مع الادعيه

قال فلم يبق فى الجماعة الا من نديت له كفه ◆ وانباع اليه عرفه
فلما نجحت نغيته ◆ وكملت ماتيته ◆ اخذ يثنى عليهم بصالح ◆ ويشمر
عن ساق سارح ◆ قال الحرث بن همام ◆ فتبعته لاستعرف ربيبة
خدره ◆ ومن قتل فى حدثان امره ◆ فكانّ وشك نيامى ◆ مثّل له مرامى

فازدلف وقال افقه منى

قتل مثلى يا صاح مزج المدام ◆ ليس قتلى بلهذم وحسام
والتى عنست هى البنت بنت الكرم ◆ لا البكر من بنات الكرام

والتجهيز ها الى الكاس والطاس ۞ فيا لى الذى ترى ومقامى
فنعم ما تلته وتحكم فى التقاضى ان شئت او فى الملام
ثم قال انا عربيد ۞ وانت رعديد ۞ و بيننا بون بعيد ۞ ثم ودعنى
وانطلق ۞ واودعنى نظرة من ذى علق

المقامة السادسة والثلثون

اخبر الحرث بن همام قال انخت بملطية مطية البين ۞ وحقيبتى ملء من
العين فجعلت هجيراى ۞ مذ القيت بها عصاى ۞ ان اتورد موارد المرح
واتصيد شوارد الملح ۞ فلم يفتنى بها منظر ولا مسمع ۞ ولا خلا منى ملعب
ولا مرتع ۞ حتى اذا لم يبق لى فيهما ارب ۞ ولا فى الثواء بها مارب ۞ عمدت
لانفاق الذهب ۞ فى ابتياع الاهب ۞ فلما كملت الاعداد ۞ وتهيا الظعن
منها او كاد ۞ رايت تسعة رهط قد سباوا قهوة ۞ وارتباوا ربوة ۞
ودماثتهم قيد الالحاظ ۞ وفكاهتهم حلوة الالفاظ ۞ فنحوتهم طلبا لمنادمتهم
وشغفا بممازجتهم ۞ لا برحاجتهم ۞ فلما انتظمت عاشرهم ۞ واضحيت معاشرهم
الفيتهم ابناء علات ۞ وقذائف فلوات ۞ الا ان لحمة الادب قد الفت شملهم
الفة النسب ۞ وساوت بينهم فى الرتب ۞ حتى لاحوا مثل كواكب الجوزاء
وكالحلقة المتناسبة الاجزاء ۞ فابهجنى الاهتداء اليهم ۞ واحمدت الطالع
الذى اطلعنى عليهم ۞ وطفقت افيض قدحى مع قداحهم ۞ واستشفى
برياحهم لا براحهم ۞ حتى اذ تناشجوا المفاوضة ۞ الى التحاجى بالمقايضة
كقولك غنيت بالكرامات ۞ ما مثل النوم فات ۞ فانشانا نجلو السها

والقمر

والقمر • ونجتني الشوك والثمر • وبينما نحن ننشر القشيب والرث • وننثل
السمين والغث • طلع علينا شيخ قد ذهب حبره وسبره • فمثل مثول
من يسمع وينظر • ويلتقط ما ننثر • الى ان نُفِضَتْ الاكياس • وحصحص
الياس • فلما راى اخبال القرايح • واكدا الماتح والمايح • جمع اذياله
وولانا اقذاله • وقال ما كل سوداء تمرة • ولا كل صهباء خمرة • فاعتلقنا
به اعتلاق الحرباء بالاعواد • وضربنا دون وجهته بالاسداد • وقلنا
له ان دواء الشق ان يحاص • والا فالقصاص من القصاص • فلا تطمع
في ان تجرح • وتتهر الفنق وتسرح • فلوى عنانه راجصًّا • حتى جثم بمكانه
راصصًّا • وقال اما اذا استثرتموني النفث بالنحث • فسا حكم بينكم حكم
سليمان في الحرث • اعلموا يا ذوي الشمايل الاديبة • والشمول الذهبية
ان وضع الاحاجية لامتحان الالمعية • واستخراج الخبية الخفية • وشرطها
ان تكون ذات مماثلة حقيقية • والفاظ معنوية • ولطيفة ادبية
فمتى نافت هذا النمط • ضاهت السقط • ولم اركم حافظتم على هذه
الحدود • ولا ميزتم بين المقبول والمردود • فقلنا له صدقت فكِلْ لنا من
لبابك • وانض علينا من عيابك • فقال افعل لئلا يرتاب المبطلون
ويظنوا بي الظنون • ثم قابل ناظورة القوم وقال

يا من سما بذكاءٍ • في الفضل واري الزنادِ
ماذا يماثل قولي • جوع امد بزادِ

• ثم ضحك الى الثاني وانشد •

يا ذا الذي فاق فضلا • ولم يدنسه شينُ

ما مثل قولى المحاجى ❁ ظهر اصابته عين

❁ ثم لحظ الثالث وانشاء يقول ❁

يامن نتايج فكره ❁ مثل النقود الجايزه

ما مثل قولك للذكى ❁ حاجيت صادق جايزه

❁ ثم التلع الى الرابع وقال ❁

انا مستنبط الغامض ❁ من لغز واضماد

الا اكشف لى ما مثل ❁ تناول الف دينار

❁ ثم رمى الخامس ببصره وانشد ❁

يا ايها الالمعى ❁ ضو الذكاء المنجلى

ما مثل اهل حلية ❁ بين هُدَيْت وعجل

❁ ثم التفت لفت السادس وقال ❁

يامن تقصر عن مداه ❁ خطى مجاريه وتضعف

ما مثل قولك للذكى ❁ اضحى يحاجيك الكفف الكفف

❁ ثم خلج السابع بحاجبه وقال ❁

يامن له فطنة تجلت ❁ ورتبة فى الذكاء جلت

بين فمازلت ذا بيان ❁ ما مثل قولى الشفيق افلت

❁ ثم استنصت الثامن وانشد ❁

يامن حدايق فضله ❁ مطلولة الازهار غضه

ما مثل قول المحاجى ❁ ذى الحجى ما اختار فضه

❁ ثم حدج التاسع ببصره وقال ❁

يامن

يامن يشار اليه في ۞ القلب الذكي وفي البراعة
اوضح لنا ماثل قولك ۞ للمحاجي دس جماعة
۞ فلما انتهى الى ۞ هزّ منكبي وقال ۞
يامن له النكت التي ۞ يشجي الخصوم بها وينكت
انت المبين فقل لنا ۞ ماثل قولي خالي اسكت
ثم قال قد انهلتكم وامهلتكم ۞ وان شيتم اعلمكم علمتكم ۞ قال فالجانا
لهب الغلل ۞ الى استشفاء الصلل ۞ فقال لست كمن يستاثر على نديمه
ولا ممن سمته في اديمه ۞ ثم كر على الاول وقال ۞
يامن اذا اشكل المعمى ۞ جلته افكاره الدقيقة
ان قال يوما لك المحاجي ۞ خذ تلك ما مثله حقيقة
۞ ثم ثنى جيده الى الثاني وقال ۞
يامن بدا بيانه ۞ عن فضله مجليا
ماذا مثال قولهم ۞ حمار وحش جليا
۞ ثم اومى الى الثالث بلحظه وقال ۞
يامن بدا في فضله ۞ وذكائه كالاصمعي
ماثل قولك للذكي ۞ حاجيت انفق تقمع
۞ ثم حملق الى الرابع وقال ۞
يامن اذا ما عويص ۞ دجا انار ظلامه
ماذا يماثل قولي ۞ استنشر ريح مدامه
۞ ثم اومض الى الخامس وانشاء يقول ۞

يامن تنزه فهمه • عن ان يروى ويشكى
ماشل قولك للذكى • امحى يحاجى غط هكى
• ثم اقبل قِبَلَ السادس وانشد •
يا اخا الفطنة التى • بان فيها كماله
سار بالليل مدة • اى شىء مثاله
• ثم نحا ببصره الى السابع وقال •
يامن تجلى بفهم • اقام فى الناس سوقه
لك البيان فبيّن • ماشل احبب فروقه
• ثم قصد قصد الثامن وقال •
يامن تبوّا ذروة • فى الفضل فاقت كل ذروه
ماشل قولك اعطِ • ابريقا يلوح بغير عروه
• ثم ابتسم الى التاسع وقال •
يامن حوى حسن الدراية • والبيان بغير شك
• ثم قبض بجمعه على ردنى وقال •
يامن سما بثقوب فطنة • فى المشكلات وقود كوكبه
ماذا مثال صفير جحفلة • بينه تبيانا ينم به
قال الحرث بن همام فلما اطربنا بما سمعناه • وطالبنا بكشف معناه • قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان • ولا لنا بجل هذه العقد يدان • فان ابنت مننت • وان كتمت غممت • فظل يشاور نفسيه • ويقلب قدحيه حتى هان بذل الماعون عليه • فاقبل حينيذ على الجماعة وقال ساعلمكم

ما شل قولك للعماء ذى الذكاء الثقف ملكى

ما

مالم تكونوا تعلمون ● ولا ظننتم انكم تعلمون ● فاوكوا عليه الاوعية ● وروضوا عليه الاندية ● ثم اخذ في تفسيرٍ صقل به الاذهان ● واستفرغ معه الاردان ● حتى اضت الافهام ● انور من الشمس ● والاكمام كأنْ لم تغن بالامس ● و لما هم بالمفر ● سيل عن المقر ● فتنفس كما يتنفس الثكول ● ثم انشد يقول ●

كل شعب لي شعبٌ ● وبه قلبي رحبُ
غير اني بسروج ● مستهام القلب صبُ
هي ارضي البكر والـ ● جو الذي منه المهبُ
والى روضتها الغناء ● دون كل الروض اصبو
ما حلا لي بعدها ● حلوٌ ولا اعذوذب عذبُ

قَالَ الراوي فقلت لاصحابي هذا ابو زيد السروجيُ ● الذي ادنى ملحِ الاحاجيِّ ● واخذت اصف لهم حسن توشيته ● وانقياد الكلام لمشيته ● ثم التفت فاذا به قد طمر ● ونائيها قمر ● فعجبنا بما صنع ولم ندرِ اين سكع وصقع تفسير الاحاجي المودعة هذه المقامة ●

اما جوع امد بزاد ● فتله طوامير ● واما ظهر اصابته عين ● فمثله طاعين ● واما صادق جايزه ● فمثله الفاصله ● واما تناول الف دينار فمثله هاديه ● واما اهمل صليه ● فمثله الغاشيه ● واما الكفف الكفف فمثله مهمه ● واما الشقيق افلت ● فمثله الاضطاد ● واما اختار فضة فمثله ابارقه ● لان الرقة من اسماء الفضة ● فقد نطق بها النبي ● في الرقة ربع العشر ● واما دس جاعة ● فمثله طانيه ● واما خالى

اسكت • فمثله خالصه • لانك اذا ناديت مضافًا الى نفسك • جاز لك
حذف اليا واثباتها ساكنة او متحركة • وقد حذف هاهنا حرف الندا • كما
حذف فى اصل الاحجية • وصه بمعنى اسكت • واما خذ نلك • فمثله هاتيك
واما حمار وحش جليا • فمثله فرايين • لان الفرا حمار الوحش ومنه
الخبر • كل الصيد فى جوف الفرا • واما قوله انفق تقمع • فمثله منتقم
لان الامر من مان يمون مُنْ • ومضارع قمت تقم • واما استنش ريح
مدامة • فمثله رصاح • لان الامر من استدعاء الرايحة رَحْ • واما
غطِّ هلكى • فمثله صُنْبُور • لان البور هم الهلكى • وفى القران وكنتم قومًا
بورًا • واما سار بالليل مرة • فمثله سراحين • واما احب فروقه • فمثله
مقلاع • لان الامر من ومق يمق مِقْ • واللاع الجبان يقال فلان هاع
لاع • اذا كان جزوعًا جبانًا • واما اعط ابريقًا يلوح بغير عروة • فمثله
اسكوب • لان الاوس العطا والامر منه اُسْ • ومنه اشتقاق المواساة
والكوب الابريق بغير عروة • واما الفوه ملكى • فمثله اللاولى • لان اللاى
على وزن ثور الوحش • واما صفير جعلنة • فمثله مكاشفة • لان
المكا الصفير • قال الله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاءً وتصدية
والاصل فى المكا المد • ولكنه قصره فى هذه الاحجية • كما حذف همزة الفراء
المهموز عند اكثرهم فى احجيته • وكلا الامرين من قصر الممدود • وحذف
همزة المهموز جايزة •

• المقامة السابعة والثلثون •

• وتعرف بالصعدية •

حكى

حكى الحرث بن همام اصعدت الى صعدة وانا ذو شطاط كالصعدة واشتدا د
يبد بنات صعدة فلما رايت نضرتها ووعيت حضرتها سالت خباير الرواة
عمن تحويه من السراة ومعادن الخيرات لاتخذه جذوة فى الظلمات ونجدة
فى الظلامات فنعت لى قاضٍ بها رحيب الباع خصيب الرباع سمى النسب
والطباع فلم ازل اتقرب اليه بالالمام واتنفق عليه بالاجمام حتى صرت
صدى صوته وسلمان بيته وكنت مع اشتياد شهده وانتشاق رنده
اشهد مشاجر الخصوم واسفر بين المصموم منهم والموصوم فبينما
القاضى جالس للاستجلال فى يوم الحفل والاحتفال اذ دخل شيخ بالى
الرياش بادى الارتعاش فتبصر الحفل تبصر نقاد ثم زعم ان له خصمًا
غير منقاد فلم يكن الا كلمح شارة او وحى اشارة حتى احضر غلامًا كانه
ضرغام فقال الشيخ ايد الله القاضى وعصمه من التغاضى ان ابنى
هذا كالقلم الردى والسيف الصدى يجهل اوصاف الانصاف ويرضع
اخلاف الخلاف ان اقربت اجحم وان اعربت اعجم وان اذكيت اخمد
ومتى شويت رمد مع انى كفلته مذ دب الى ان شب وكنت له الطف
من رَبٍّ ورَبٍّ فاكبر القاضى ما شكا اليه واطرق به مَنْ حواليه ثم قال
اشهد ان العقوق احد الثكلين ورُبَّ عقم اقر للعين فقال الغلام وقد
امضه هذا الكلام والذى نصب القضاة للعدل وحكمهم اعنة الفصل
ما دعا قط الا امنت ولا ادعى الا امنت ولا لبى الا احرمت ولا اورى
الا اضرمت بيد انه كمن يبغى بَيْضَ الانوق وتطلب الطيران من النوق
فقال له القاضى وبم اعنتك فى امتحان طاعتك قال انه مذ صفر من المال

ومنى بالمحال • لا يسومنى ان انمط بالسوال • واستمطر سحب النوال • ليفيض شربه الذى غاض • ويجبر من حاله ما انهاض • وقد كان حين اخذنى بالدرس • وعلمنى ادب النفس • اشرب نفسى ان الحرص متعبة • والطمع معيبة والشره متحنة • والمسالة ملامة • ثم انشد من فلق فيه • ونحت • قوافيه

ارض بادنى العيش واشكر عليه • شكر من القل كثير لديه
وجانب الحرص الذى لم يزل • يحط قدر المترافى اليه
وحام عن عرضك واستبقه • كما يحامى الليث عن لبدتيه
واصبر على من نابه من فاقة • صبر اولى العزم واصبر عليه
ولا ترق ما المحيا ولو • خولك المسول ما فى يديه
فالحر من ان قذيت عينه • اخفى قذى عينيه عن ناظريه
ومن اذا اخلق ديباجه • لم يران يخلق ديباجتيه

قال فعبس الشيخ واكفهر • واندرأ على ابنه وهر • وقال له صه يا عقق يا من هوا لشحم والشرق • ويلك اتعلم امك البضاع • وظيرك الارضاع • ولقد تحككت العقرب بالافعى • واستنت الفصال حتى القرعى • ثم كانه ندم على ما فرط من فيه • وحدته المقة على تلافيه • فرنا اليه بعين عاطف وخفض له جناح ملاطف • وقال ويك يا بنى ان من امر بالقناعة • وزجر عن الضراعة • هم ارباب البضاعة • واولوا المكنة بالصناعة • واما ذو الضرورات • فقد استثنى بهم فى المحظورات • وهبك جهلت هذا التاويل ولم يبلغك ما قيل • الست الذى عارض اباه • اذ قال وما حاباه •

لا تقعدن على ضر ومسغبة • لكى يقال عزيز النفس مصطبر

وانظر

وانظر بعينك هل ارض معطلة ۞ من النبات كارض حفها الشجر
فعد عما يشير الاغنيا به ۞ فاى فضل لعود ماله ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به ۞ الى الجناب الذى يهمى به المطر
واستنزل الرى من در السحاب فان ۞ بلت يداك به فليهنك الظفر
وان رددت فما فى الرد منقصة ۞ عليك فقد رد موسى قبل والخضر

قال فلما راى القاضى ۞ تنافى قول الفتى وفعله ۞ وتحليه بما ليس من اهله ۞ نظر اليه بعين غضبى ۞ وقال اتميميا مرة وقيسيا اخرى ۞ أفٍ لمن ينقص فعله ما يقول ۞ ويتلون كما يتلون الغول ۞ فقال له الغلام والذى جعلك مفتاحا للحق ۞ وفتاحا بين الخلق ۞ لقد انسيت مذ اسيت ۞ وصدى ذهنى مذ صديت ۞ على انه اين الباب للفتح ۞ والمطا للسرح ۞ وهل بقى من يترح بالملهى ۞ واذا استطعم يقول هاه ۞ فقال له القاضى مه ۞ فمع الخواطى سهم صايب ۞ وما كل برق خالب ۞ فميز البروق اذا شمت ۞ ولا تشهد الا بما علمت ۞ فلما تبين للشيخ ان القاضى قد غضب للكرام ۞ واعظم تخيل جميع الانام ۞ علم انه سينصر كلمته ۞ ويظهر اكرومته ۞ فما كذب ان نصب شبكته ۞ وشوى فى الحريق سمكته وانشد

يا ايها القاضى الذى علمه ۞ وحلمه ارسخ من رضوى
قد ادعى هذا على جهله ۞ ان ليس فى الدنيا اخو جدوى
وما درى انك من معشر ۞ عطاؤهم كالمن والسلوى
فجد بما يثنيه مستخزيا ۞ مما افترى من كذب الدعوى

قال فهش القاضى لقوله ۞ واجزل له من طوله ۞ ثم لفت وجهه

للغلام • وقد نصب له اسهم الملام • وقال له ارايت بطل زعمك • وخطا
وهمك • فلا تعجل بعدها بذم • ولا تنحت عودا قبل عجم • واياك تابيك
عن مطاوعة ابيك • فانك ان عدت تعقه • حاق بك مني ما تستحقه
فسقط الفتى في يده • ولاذ بحقو والده • ثم نهض يحفد • وتبعه الشيخ ينشد

من ضامه او ضاره دهره • فليقصد القاضي في صعده
سماحه ازرى بمن قبله • وعدله اتعب من بعده

قال الراوي فحرت بين تعريف الشيخ وتنكره • الى ان احرورف لمسيره
فناجيت النفس باتباعه • ولو الى رباعه • لعلي اظهر على اسراره • واعرف
شجرة ناره • فنبذت العلق • وانطلقت حين انطلق • ولم يزل يخطو
واعتقب • ويبعد واقترب • الى ان تراءى الشخصان • وحق التعارف
على الخلصان • فابدى الاهتشاش • ورفع الارتعاش • وقال من كاذب
اخاه فما عاش • فعرفت حينئذ انه السروجي بلا محالة • ولا حول
حالة • فسارعت اليه لاصافحه • واستعرف سانحه وبارحه • فقال
دونك ابن اخيك البر • وتركني ومر • فلم يعد الفتى ان افتر • ثم فر
وقد استبنت عينهما • ولكن اين هما :

• المقامة الثامنة والثلثون •

حكى الحرث بن همام قال حُبب الي مذ سعت قدمي • ونفثت فمي • ان
اتخذ الادب شرعة • والاقتباس منه نجعة • فكنت انقب عن اخباره
وخزنة اسراره • فاذا الفيت منهم بغية الملتمس • وجذوة المقتبس

شددت

شددت يدى بغرزه واستنزلت منه زكاة كنزه على انى لم القه كالشرقى
فى غزارة السحب ووضع الهنا مواضع النقب الا انه كان اسير من
المثل واسرع من القمر فى النقل وكنت لهوى ملاقاته واستحسان
مقاماته ارغب فى الاغتراب واستعذب السفر الذى هو قطعة من
العذاب فلما تطوحت الى مرو ولا غرو بشرنى بلقاه زجر الطير والفال
الذى هو بريد الخير فلم ازل انشده فى المحافل وعند تلقى القوافل
فلا اجد عنه مخبرًا ولا ارى له اثرًا ولا عثيرًا حتى غلب الياس الطمع
وانزوى التاميل وانقمع فانى لذات يوم بحضرة الوالى بمرو وكان ممن
جمع الفضل والسرو اذ طلع ابو زيد فى خلق مملاق وخلق ملاق
فحيا الوالى تحية المحتاج اذا لقى رب التاج ثم قال له اعلم وقيت الذم
وكفيت الهم ان من عذقت به الاعمال اعلقت به الامال ومن رفعت
له الدرجات رفعت اليه الحاجات وان السعيد من اذا قدر وواتاه
القدر ادى زكاة النعم كما يودى زكاة النعم والتزم لاهل الحرم
كما يلتزم للاهل والحرم وقد اصبحت بحمد الله عميد مصرك وعماد عصرك
تزجى الركايب الى حرمك وترجى الرغايب من كرمك وتنزل المطالب
بساحتك وتستنزل الراحة من راحتك وكان فضل الله عليك
عظيمًا ثم انى شيخ ترب بعد الاتراب وعدم الاعشاب حين شاب
قصدتك من محلة نازحة وحالة رازحة أمل من بحرك دفعة
ومن جاهك رفعة والتاميل افضل وسايل السايل ونايل النايل
فاوجب ما يجب عليك واحسن كما احسن الله اليك واياك ان

تلوى عذارك عمن ازدارك وام دارك او تقبض راحتك عمن امتاحك
وامتار سماحك فوالله ما مجد من جمد ولا رشد من حشد بل
اللبيب من اذا وجد جاد وان بدا بعايدة عاد والكريم من اذا استوهب
الذهب لم يهب ان يهب ثم امسك يرقب اكل غرسه ويرصد مطية
نفسه واحب الوالى ان يعلم هل نطفته ثمد ام لقريحته مدد فاطرق
يروى فى استيراء زنده واستشفاف فرنده والتبس على بنى رهيرة
سمته وسبب ارجاء صلته فتوغر غضبا وانشد مقتضبا

لا تحقرن ابيت اللعن ذا ادب ... لان بدا خلق السربال سبروتا
ولا تضع لأخى التاميل حرمته ... اكان ذا لسن ام كان سكيتا
وانفح بعرفك من وافاك مختبطا ... وانعش بعونك من الفيت منكوتا
فخير مال الفتى مال اشاد له ... ذكرا تناقله الركبان او صيتا
وما على المشترى حمدا بموهبة ... غبن ولو كان ما اعطاه ياقوتا
لولا المروة ضاق العذر عن فطن ... اذا اشرأب الى ما جاوز القوتا
لكنه لابتناء المجد جد ومن ... يبغ السماح تنخ للغنى بيتا
وما تنشق نشرا لشكر ذو كرم ... الا وازرى بنشر المسك مفتوتا
والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما ... حتى لقد خيل ذا ضب وذا حوتا
والسمح فى الناس محبوب خلايقه ... والجامد الكف لا ينفك ممقوتا
وللشحيح على امواله علل ... يوسعنه ابدا ذما وتبكيتا
فجد بما جمعت كفاك من نشب ... حتى يرى مجتدى جدواك مبهوتا
وخذ نصيبك منه قبل رايعة ... من الزمان تريك العود منحوتا

فالدهر

فالدهر انكد من ان تسمر به • حال تكرهت تلك الحال او شئتا

قال له والله لقد احسنت • فاى ولد الرجل انت • فنظر اليه عن عُرْضٍ • ثم انشد وهو مفضٍ •

لا تسل المرء عن ابوه وزن • خلاله ثم صِله او فاصرم
فما يشين السلاف حين حلا • مذاقها انها ابنة الحصرم

فقربه الوالى لبيانه الفاتن • حتى احله مقعد الخاتن • ثم فرض له من سيوب نيله • ما اذن بطول ذيله وقصر ليله • فنهض عنه بردن ملان • وقلب جذلان • وتبعته حاذيا حذوه • وقافيا خطوه حتى اذا خرج عن بابه • وفصل عن غابه • قلت له هُنِّيتَ بما اوتيت وملّيت ما اوليت • فاسفر وجهه وتلالا • ووالى شكر الله تعالى ثم خطر اختيالاً • وانشد ارتجالاً •

من يكن نال بالحماقة حظا • او سما قدره لطيب الاصول
فبفضلى انتفعت لا بفضولى • وبقولى ارتفعت لا بقبولى

ثم قال تعسًا لمن جنب الادب • وطوبى لمن جدّ فيه وداب • ثم ودعنى وذهب • واودع قلبى اللهب

• المقامة التاسعة والثلثون •

حكى الحرث بن همام قال لهجت مذ اخضرّ ازارى • وبقل عذارى • بان اجوب البرارى • على ظهور المهارى • انجد طورًا • واسلك تارةً غورًا • حتى فليت المعالم والمجاهل • وبلوت المنازل والمناهل • وادميت

السنابك والمناسم ۞ واضنيت السوابق والرواسم ۞ فلما مللت الاصحار
وقد سنح لي ارب بصحار ۞ ملت الى اختبار التيار ۞ واختيار الفلك
السيار ۞ فنقلت اليه اساودي ۞ واستصحبت زادي ومزاودي ۞ ثم
ركبت فيه ركوب حاذر ناذر ۞ عاذل لنفسه وعاذر ۞ فلما شرعنا في
القلعة ۞ ورفعنا الشرع للسرعة ۞ سمعنا من شاطي المرسى ۞ حين
دجى الليل واغسى ۞ هاتفا يقول يا اهل ذا الفلك القويم ۞ المزجى
في البحر العظيم ۞ بتقدير العزيز العليم ۞ هل ادلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب اليم ۞ فقلنا له اقبسنا نارك ايها الدليل ۞ وارشدنا كما يرشد
الخليل الخليل ۞ فقال تستصحبون ابن سبيل ۞ زاده في زبيل ۞ وظله
غير ثقيل ۞ فاجمعنا بالجنوح اليه ۞ والا نبخل بالماعون عليه ۞ فلما
استوى على الفلك ۞ قال اعوذ بمالك الملك ۞ من مسالك الهلك
ثم قال انا روينا في الاخبار ۞ المنقولة عن الاحبار ۞ ان الله تعالى
ما اخذ على الجهال ان يتعلمون ۞ حتى اخذ على العلماء ان يعلموا ۞ وان
معي لعوذة ۞ عن الانبياء ماخوذة ۞ وعندي لكم نصيحة ۞ براهينها صحيحة
وما وسعني الكتمان ۞ ولا من شيمي الحرمان ۞ فتدبروا القول وتفهموا
واعملوا بما تعلمون وعلموا ۞ ثم صاح صيحة المباهي ۞ وقال اتدرون
ماهي ۞ هي والله حرز السفر ۞ عند مسيرهم في البحر ۞ والجنة من الغم
اذا جاش موج اليم ۞ ثم قرا بعد اساطير تلاها ۞ وزخارف جلاها
وقال اركبوا فيها ۞ بسم الله مجراها ومرساها ۞ ثم تنفس تنفس
المغرمين ۞ او عباد الله المكرمين ۞ وقال اما انا فقد قمت فيكم مقام

المبلغين

المبلغين ونصحت لكم نصح المبالغين وسلكت بكم محجة المرشدين
فاشهد اللهم وانت خير الشاهدين قال الحرث بن همام فاعجبنا
بيانه البادى الطلاوة وعجت له اصواتنا بالتلاوة وانس قلبى
من جرسه معرفة عين شمسه فقلت له بالذى سخر البحر اللجى
الست السروجى فقال لى بلى وهل يخفى ابن جلا فاحمدت حينيذ
السفر وسفرت له عن نفسى اذ سفر ولم نزل نسير والبحر رهو
والجو صحو والعيش صفو والزمان لهو وانا اجد للقيانه
وجد المثرى بقنيانه وافرح بمناجاته فرح الغريق بنجاته
الى ان عصفت الجنوب وعسفت الجنوب ونسى السفر ما كان
وجاهم الموج من كل مكان فملنا لهذا الحدث الثاير الى احدى
الجزاير لنريح ونستريح ريثما تواتى الريح وتمادى اعتياص المسير
حتى نفد الزاد غير اليسير فقال ابو زيد انه لن يجرز جنى العود بالقعود
فهل لك فى استثارة السعود بالصعود فقلت انى لاتبع لك من ظلك
واطوع من نعلك فنهدنا الى الجزيرة على ضعف من المريرة لنركض
فى امترا الميرة وكلانا لا يملك فتيلا ولا يهتدى فيها سبيلا فاقبلنا
نجوس خلالها ونتفيا ظلالها حتى افضينا الى قصر مشيد له
باب من حديد ودونه زمرة من عبيد فناسمناهم لنتخذهم سلما
الى الارتقاء وارشية للاستقاء فالفينا كلا منهم فى مسك كسير
وكرب اسير فقلنا ايتها الغلمة لما هذه الغمة فلم يجيبوا الندا
ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء فلما راينا نارهم نار الحباحب وضربهم

كسراب السباسب قلنا شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه
فابتدر غلام قد علته كبرة وعرته عبرة وقال يا قوم لا توسعونا
سبًّا ولا توجعونا عتبًا فانا لفي حزن شامل وشغل عن الحديث
شاغل فقال له ابو زيد نفّس خناق البثّ وانفث ان قدرت
على النفث فانك ستجد مني عرّافًا كافيًا ووصّافًا شافيًا قال
اعلم ان رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة وشاه هذه
الرقعة الا انه لم يخل من كمدٍ لخلوه من ولدٍ ولم يزل يستكرم
المغارس ويتخيّر من المفارش النفائس الى ان بُشِّر بحمل عقيلة
وآذنت رقلته بفسيلة فنُذرت له النذور واحصيت الايام
والشهور ولما حان النتاج وصيغ الطوق والتاج عسر مخاض
الوضع حتى خيف على الاصل والفرع فما فينا من يعرف قرارًا ولا
يطعم النوم الا غرارًا ثم اجهش بالبكاء واعول وردد الاسترجاع
وطوّل فقال له ابو زيد اسكن يا هذا واستبشر وابشر بالفرج
وبشّر فعندي عزيمة الطلق التي انتشر سمعها في الخلق فتبادرت
الغلمة الى مولاهم متباشرين بانكشاف بلواهم فلم يكن الا كلا ولا
حتى برز من هلم بنا اليه فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه قال
لابي زيد ليهنك منالك ان صدق مقالك ولم يفل فالك فاستحضر
قلمًا مبريًّا وزبدًا بحريًّا وزعفرانًا قد ديف في ماء ورد نظيف فما
ان رجع النفس حتى احضر ما التمس فسجد ابو زيد وعفّر وسبّح
واستغفر ثم اخذ القلم واسحنفر وكتب على الزبد بالمزعفر

ايها

ايها الجنين انى نصيح لك ۝ والنصح من شروط الدين
انت مستعصم بكنٍّ كنينٍ ۝ وقرار من السكون مكين
ماترى فيه مايروعك من ۝ الفٍ مجاجٍ ولا عدوٍّ مبين
فمتى برزت منه تحولت الى ۝ منزل الاذى والهونِ
وترى لك الشقاء الذى ۝ تلقى فتبلى بدمع هتونِ
فاستدم عيشك الرغيد وحا ۝ ذران تبيع المحقوق بالمظنونِ
واحترس من مخادع لك رقيك ۝ ليلقيك فى العذاب المهين
ولعمرى لقد نصحت ولكن ۝ كم نصيح مشبه بظنين

ثم انه طمس المكتوب على غفلة ۝ وتفل عليه ماية مرة ۝ وشد الزبد
فى خرقة حرير ۝ بعد ما ضمخها بعبير ۝ وامر بتعليقها على فخذ الماخض
والا تعلق بها يدُ حائض ۝ فلم يك الا كفواق شارب ۝ اوفواق حالب
حتى اندلق شخص الولد ۝ لخصيصى الزبد ۝ بقدرة الواحد الصمد
فامتلأ القصر حبورًا ۝ واستطير عميدة وعبيدة سرورًا ۝ واحاطت الجما عة
بابى زيد تثنى عليه وتقبل يديه ۝ وتتبرك بسامر طمريه ۝ حتى خيّل
الىّ انه القُرنى اويس ۝ او الاسدى دبيس ۝ ثم انثال عليه من جوايز
المجاراة ۝ ووصايل الصلاة ۝ ما قيّض له الغنى ۝ وبيض وجه المنى
ولم يخل ينتابه الدخل ۝ من نتج السخل ۝ الى ان اعطى البحر الامان
وتسنى الابتام الى عمان ۝ فاكتفى ابو زيد بالنحلة ۝ وتاهب للرحلة
فلم يسمح الوالى بحركته ۝ لبعد تجربة بركته ۝ بل اوعز بضمه الى خزانته
وان تطلق يده الى خزانته ۝ قال الحرث بن همام فلما رايته قد مال

الى حيث يكسب المال • انحيت عليه بالتعنيف • وهجنت له مفارقة الالف والاليف • فقال اليك عنى • فاسمع منى

لا تصبون الى وطن • فيه تضام وتمتهن
وارحل عن الدار التى • تعلى الوهاد على القنن
واهرب الى كنٍّ يقى • ولو انه حضنا حضن
واربا بنفسك ان تقيم • بحيث يغشاك الدرن
وجُب البلاد فايها • ارضاك فاختره وطن
ودع التذكر للمعاهد • والحنين الى السكن
واعلم بان الحرّ فى • اوطانه يلقى الغبن
كالدر فى الاصداف يستزرى ويبخس فى الثمن

ثم قال حسبك ما استمعت • وحبذا انت لو اتبعت • فاوضحت له معاذيرى • وقلت له كن عذيرى • فعذر واعتذر • وتزوّد حتى لم يذر • ثم شيعنى تشييع الاقارب • الى ان ركبت القارب • فودعنى وانا اشكو الفراق واذمه • واودّ لو كان هلك الجنين وامه •

• المقامة الاربعون •

وتعرف بالتبريزية •

اخبر الحرث بن همام قال ازمعت التبريز من تبريز • حين نبت بالذليل والعزيز • وخلت من المجير والمحير • فبينا انا فى اعداد الاهبة • وارتياد الصحبة • لقيت ابا زيد السروجى ملتفا بكساء • ومحتفا بنساء • فسالته عن خطبه • والى اين يسرب مع سربه • فاومى الى امراة منهن

باهرة

باهرة السفور ظاهرة النفور وقال تزوجت هذه لتونسني في
الغربة وترحض عني قشف الغربة فلقيت منها عرق القربة تمطلني
بحقي وتكلفني فوق طوقي وانا منها نضو وجي وحلف شجو وشجي
وها نحن قد تساعينا الى الحاكم ليضرب على يد الظالم فان انتظم
بيننا الوفاق والا فالطلاق والانطلاق قال فتململت الى ان اضطرب
لمن الغلب وكيف يكون المنقلب وجعلت شغلي دبر اذني وصحبتها
وان كنت لا اغني فلما حضر القاضي وكان ممن يرى فضل الامساك
ويضن بنفاثة السواك جثا ابو زيد بين يديه وقال ايد الله
القاضي واحسن اليه ان مطيتي هذه ابية القياد كثيرة الشراد
مع اني اطوع لها من بنانها واحنى عليها من جنانها فقال لها
القاضي ويحك اما علمت ان النشوز يغضب الرب ويوجب الضرب
فقالت انه ممن يدور خلف الدار وياخذ الجار بالجار فقال له
القاضي تبا لك اتبذر في السباخ وتستفرخ حيث لا افراخ اعزب
عني لا نعم عوفك ولا امن خوفك فقال ابو زيد انها ورب
الرياح لاكذب من سجاح فقالت بل هو ومن طوق الحمامة اكذب
من ابي ثمامة حين مخرق باليمامة فزفر ابو زيد زفير الشواظ
واستشاط استشاطة المغتاظ وقال لها ويلك يا دفار يا فجار
يا غصة البعل والجار اتعمدين في الخلوة لتعذيبي وتبدين في
الحفلة تكذيبي وقد علمت حين بنيت عليك ورنوت اليك
الفيتك اقبح من قردة وايبس من قدة واخشن من ليفة وانتن

من جيفة واثقل من هيضة واقذر من حيضة وابرد من قشرة
وابرد من قرّة واحمق من رجلة واوسع من دجلة فسترت عوارك
ولم ابدِ عوارك على انه لو حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها
وبلقيس بعرشها وبوران بفرشها والزبا بملكها ورابعة بنسكها
وخندف بفخرها والخنساءُ بشعرها فى صخرها لأنفتُ ان تكونى قعيدة
رحلى وطروقة فحلى قال فتذمرت المراة وتنمرت وحسرت عن
ساعدها وشمّرت وقالت له يا ألأم من مادر واشأمُ من قاشر
واجبن من صافر واطيش من طامر اترمينى بشنارك وتفرى
عرضى بشفارك وانت تعلم انك احقر من قلامة واعيب من
بغلة ابى دلامة وافضح من حبقة فى حلقة واحير من بقة فى حقة
وهبك الحسن البصرى فى فضله ووعظه وعامرًا الشعبى فى علمه
وحفظه والخليل فى عروضه ونحوه وجريرًا فى غزله وهجوه وقسًّا
فى فصاحته وخطابته وعبد الحميد فى بلاغته وكتابته واباعمرو
فى قرائته واعرابه وابن قريب فى روايته عن اعرابه اتظنّنى ارضاك
امامًا لمحرابى وحسامًا لقرابى لا والله ولا بوّابًا لبابى ولا عصًا
لجرابى فقال لهما القاضى اراكما شنّا وطبقة واحة وبندقة
فاترك ايها الرجل اللدد واسلك فى سيرك الجدد واما انتِ
فكفّى عن سبابه وقرِى اذا اتى البيت من بابه فقالت المراة والله
ما اسجن عنه لسانى الّا اذا كسانى ولا ارفع له شراعى دون
اشباعى فحلف ابو زيد بالمحرجات الثلاث انه لا يملك سوى

اطماره

اطمار الرثاث • فنظر القاضي في قصصهما نظر الالمعي • وافكر فكرة اللوذعي
ثم اقبل عليهما بوجه قد قطبه • ومجنّ قد قلّبه • وقال الم يكفكما
التسافه في مجلس الحكم • والاقدام على ارتكاب هذا الجرم • حتى ترقيتما
من فحش المقاذعة • الى خبث المخادعة • وايم الله لقد اخطأت استكما
الحفرة • ولم يصب سهمكما الثغرة • فان امير المومنين اعزه الله ببقائه
الدين • نصبني لاقضي بين الخصماء • لا لاقضي دين الغرماء • وحق نعمته
التي احلتني هذا المحل • وملكتني هذا العقد والحل • لئن لم توضحا لي
جلية خطبكما • وخبية خبكما • لانددنّ بكما في الامصار • ولا اجعلنكما
عبرة لاولي الابصار • فاطرق ابو زيد اطراق الشجاع ثم قال له سماع سماع

انا السروجي وهذي عرسي • وليس كفو البدر غير الشمس
ولا تنافا انسها وانسي • ولا تناءى ديرها عن قسّي
ولا غدت سقياي ارض غرسي • لكننا منذ ليالٍ خمسِ
نصبح في ثوب الطوى ونمسي • لا نعرف المضغ ولا التحسّي
حتى كاننا لخفوت النفس • اشباح موتى نشروا من رمسِ
فحين عزّ الصبر والتاسي • وشفّنا الضر الاليم المسّ
قمنا لسعد الجد والنحس • هذا المقام لاجتلاب فلس
والفقر يلجي الحر حين يرسي • الى التحلي في لباس اللبس
فهذه حالي وهذا درسي • فانظر الى يومي وسل عن امسي
وامر بجبري ان تشا او حبسي • ففي يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي ليثب انسك • ولتطب نفسك • فقد حق لك ان

تغفر خطيئتك ، وتوفر عطيتك ، فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت ، واشارت الى الحاضرين وقالت ،

ياأهل تبريز لكم حاكم ، اوفى على الحكام تبريزا
مافيه من عيب سوى انه ، يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ نبغى جنى ، عود له مازال مهزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من ، جدواه تخصيصا وتمييزا
فردني اخيب من شائم ، برقا خفا في شهر تموزا
كانه لم يدر الا التي ، لقنت الشيخ الا راجيزا
وانني ان شيت غادرته ، اضحوكة في اهل تبريزا

فلما رأى القاضي اجترآء جنانها ، وانصلات لسانها ، علم انه قد دهي منهما بالداء العياء ، والداهية الدهياء ، وانه متى منح احد الزوجين وصرف الآخر صفر اليدين ، كان كمن قضى الدين بالدين ، او صلى المغرب ركعتين ، وطلسم وطرسم ، واخرنطم وبرطم ، وهمهم وغمغم ، ثم التفت يمنة وشامة ، وتململ كآبة وندامة ، واخذ يذم القضا ومتاعبه ويعدد شوائبه ونوائبه ، ثم تنفس كما يتنفس الحريب ، وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب ، وقال ان هذا لشيء عجيب ، أأرشق في موقف بسهمين ، أألزم في قضية مغرمين ، أأطيق ان ارضي الخصمين ، ومن اين ومن اين ، ثم عطف على حاجبه ، المنتقد لمآربه ، وقال ما هذا يوم حكم وقضاء ، وفصل وامضاء ، هذا يوم الاغتمام ، هذا يوم الاغترام هذا يوم البحران ، هذا يوم الخسران ، هذا يوم عصيب ، هذا يوم نصاب

فيه لا نصيب • فارضني من هذين المهذارين • واقطع لسانهما بدينارين
ثم فرق الاصحاب • واغلق الابواب • واشع انه يوم مزءوم • وان
القاضي فيه مهموم • ليلا يحضرني خصوم • قال فامن الحاجب على
دعايه • وتباكى لبكايه • ثم نقد ابا زيد وعرسه مثقالين • وقال اشهد
انكما لاحيل الثقلين • لكن احترما مجالس الحكام • واجتنبا فيها فحش
الكلام • فما كل قاض قاضي تبريز • ولا كل وقت تسمع الاراجيز • فقالا
له مثلك من حجب • وشكرك قد وجب • فنهضا وقد حظيا بدينارين
واصليا قلب القاضي نارين • تفسير ما تضمن هذه المقامة من
الالفاظ اللغوية • والامثال العربية • قوله لقيت منها عرق القربة • هذا
مثل يضرب لمن لقي شدة من الامر الذي يزاوله • كما لقي حامل القربة
يلقى جهداً حتى يعرق • وقوله جعلته دَبْرَ اُذُني يعني اطرحته • وهو
كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم • وقوله اكذب من سجاح • التي
تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب • وسارت اليه لتناظره وتختبره
ثم امنت به • ووهبت نفسها له • وهذا الاسم مبني على الكسر مثل حذام
وقطام • لكونه من الاسماء المعدولة • واشتقاقه من السجاحة وهي
سهولة • وقولها اكذب من ابي ثمامة • حين مخرق باليمامة • هذه
كنية مسيلمة الكذاب • وكان تنبا باليمامة • ومخرق بها الى ان سار
اليه خالد بن الوليد وقتله • وقوله لا نعم عوفك • العوف الحال
والعوف ايضا الذكر • ويدعى للباني على اهله فيقال نَعِمَ عوفك
• وقوله يا دفار يا فجار هذان اسماى معدولان عن دافرة • وعن

فاجرة والدفر النتن ومنه سميت الدنيا ام دفر وكلما سمي بصفة غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر عند النداء كقولك يالكاع ياخباث يادفار يافجار ولا يجوز استعمال ذلك الا في النداء الا في ضرورة الشعر كقول الشاعر

اطوّف ما اطوّف ثم اوي الى بيت قعيدته لكاع

واما قوله احمق من رجلة وهي ضرب من الحمض ينبت في مجاري السيل فيجترفها واما قولها الأم من مادر فهو رجل من هلال بن عامر كان اتخذ حوضا لسقي ابله فلما رويت سلح فيه ومدره بسلحه ليلا ينتفع به احد من بعده وقولها اشأم من قاشر فانه فحل كان في بعض قبايل العرب سعد بن زيد مناة ما طرق ابلا الا ماتت وقيل المراد به العام المجدب وسمي قاشرا لقشره وجه الارض من النبات واما قولها اجبن من صافر فقد اختلف في تفسيره قال بعضهم عني به كل ما يصفر من الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الارض وقيل انه طاير بعينه اذا جنه الليل تعلق ببعض الاغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفا من ان ينام فيوخذ وقيل انه الذي يصفر بالمراة لريبة وهو يجبن وقت صفيره مخافة ان يظهر على امره وقيل المراد به في المثل المصفور وهو الذي يُنذر بالصفر ليهرب فعلى هذا القول فاعل هنا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا اي ساترا

وقوله

وقوله تعالى انه كان وعده ماتياً ۞ واما قوله اطيش من طامر ۞ فالمراد
به البرغوث ۞ ويسمى طامر ابن طامر لكثرة وثوبه ۞ واما قول القاضي
اراكما خناً وطبقة ۞ وصادة وبندقة ۞ فانه اراد به ان كلاً منكما كفواً
لصاحبه ومقاومه ۞ ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه ۞ اما شن
وطبقة ۞ فان العلما مختلفون فى معنى قولهم وافق شن طبقة
فقال الاكثرون انهما قبليتان ۞ فشن هو ابن اقصى بن دعمى بن جذيلة
بن اسد بن ربيعة بن نزار ۞ وطبقة حى من اياد وكانت طبقة ۞ لا
تطاق ۞ فاذا وقعت بها شن وانتصف منها ۞ وقال بعضهم كان
شن رجلاً من دهات العرب ۞ وكان الزم نفسه الا يتزوج الا بامراة
تلايمه ۞ وكان يجوب البلاد فى ارتياد طلبه ۞ فصاحبه رجل فى
بعض اسفاره ۞ فلما اخذ منهما السير ۞ قال شن اتحملنى ام احملك
فقال له الرجل يا جاهل هل الراكب يحمل الراكب ۞ فامسك وسار
حتى اتيا على زرع ۞ فقال له شن اترى هذا الزرع أكِلَ ام لا ۞ قال
يا جاهل اما تراه فى سنبله ۞ فامسك الى ان استقبلتهما جنازة
فقال له شن اترى صاحبها حياً ۞ فقال له ما رايت اجهل منك ۞ اتراهم
حملوا الى القبر حياً ۞ ثم انهما وصلا الى قرية الرجل ۞ فصار به الى منزله
وكانت له بنت تسمى طبقة ۞ فاخذ يطرفها بحديث رفيقه ۞ فقالت له
مانطق الا بالصواب ۞ ولا استفهمك الا عما يستفهم عن مثله ۞ اما قوله
اتحملنى ام احملك ۞ فانه اراد اتحدثنى ام احدثك ۞ حتى نقطع الطريق
بالحديث ۞ واما قوله اترى هذا الزرع أُكِلَ ۞ فانه يقول هذا استسلف

اربابه ثمنه ام لا ۞ واما استفهامه عن حياة صاحب الجنازة ۞ فانه اراد
اخلّف عقباً يحيى ذكره به ام لا ۞ فلما خرج المرجل حدثه يتاول ابنته
كلامه ۞ فخطبها اليه فزوجه اياها ۞ فلما سار بها الى قومه ۞ وخبروا ما
فيها من الدها والفطنة ۞ قالوا وافق شن طبقه ۞ فسار مثلاً ۞ وحكى ان
الاصمعي سيل عن هذا المثل ليفسره ۞ فقال اظن الشن وعاءً من ادم كان
قد استشن ۞ فلما اتخذ له غطاءً وافقه ۞ ضرب به هذا المثل ۞ واما حدأة
وبندقة ۞ فانه يقال في المثل المضروب لمن يُقرّع بصدوة ۞ او يبلى بنظيره
حِدَاءَ حِداءَ وراك بندقة ۞ وكان الاصل حداة باثبات الهاء ۞ فرخم في
النداء ۞ وقد اختلف في المراد بهما ۞ فقيل هما الطاير المعروف ۞ وبندقة
الرامي ۞ وقيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة ۞ فاغارت حداة وكانت
تنزل باليمن فنالت منهم ۞ ثم كرّت بندقة على حداة فانحت عليهم ۞ وروى
بعضهم هذا المثل حدا حدا غير مهموز ۞ على مثال عصا وقفا ۞ وزعم انه
اسم للقبيلة ۞ واما قوله اخطات استكما الحفرة ۞ فانه مثل يضرب لمن
يخطي في مقصده ۞ ويضع الشي في غير موضعه ۞ اما قولهم طلسم وطرسم
فمعنى طلسم كرّه وجهه ۞ ومعنى طرسم اى اطرق ۞ وقوله اخرنطم غضب
مع تكبر ۞ ومعنى برطم اى غضب مع تعبس ۞ وقوله همهم وغمغم اى لم
يبين الكلام ۞

المَقَامَةُ الحَادِيَةُ والأَرْبَعُونَ ۞

وتعرف بالتنيسية

اخبر الحرث بن همام قال اطعت دواعي التصابي ۞ في غلواء شبابي ۞ فلم
ازل زِيرًا للغيد ۞ وأُذنًا للاغاريد ۞ الى ان وافى النذير ۞ وولى

العيش النضير • فقرمت الى رشد الانتباه • وندمت على ما فرطت فى
جنب الله • ثم اخذت فى كسع الهنات بالحسنات • وتلافى الهفوات
قبل الفوات • فملت عن مغاداة الغادات • الى ملاقاة التقاة وعن
مقاناة القينات • الى مداناة اهل الديانات • وآليت الا اصحب الا من
نزع عن الغى • وفاء منشره الى الطى • وان الفيت من هو خليع الرسن
مديد الوسن • اتأيت داري عن داره • وفررت عن عره وعاره • فلما
القتنى الغربة بتنيس • واحلتنى مسجدها الانيس • رايت به ذا حلقة
ملتحمة • ونظارة من دجنة • وهو يقول بجاش متين • ولسان مبين
مسكين ابن ادم واى مسكين • ركن الى الدنيا الى غير ركين • واستعصم
منها بغير مكين • وذبح بغير سكين • يكلف منها لغباوته • ويكلب
عنها لشقاوته • ويعتد فيها لمفاخرته • ولا يتزود منها لآخرته • اقسم
بمن مرج البحرين • ونوّر القمرين • ورفع قدر الحجرين • لو عقل ابن ادم
لما نادم • ولو افكر فيما قدّم • لبكى الدم • ولو ذكر المكافاة • لاستدرك
ما فات • ولو نظر فى المآل • لحسن قبح الاعمال • يا عجبا كل العجب • لمن
يقتحم ذات اللهب • فى اكتناز الذهب • وخزن النشب • ثم من ابدع
العجب • ان يعظك وخط المشيب • وتؤذن شمسك بالمغيب
ولست ترى ان تنيب • وتهذب المعيب • ثم اندفع ينشد

انشاد من يرشد

يا ويح من انذره شيبه • وهو على غى الصبا منكمش
يعشو الى نار الهوى بعدما • اصبح من ضعف القوى يرتعش

ويمتطي اللهو ويمتده ۞ اوطاء ما يفترشه المفترش
لم يهب الشيب الذي ما راى ۞ نجومه ذو اللب الا دهش
ولا انتهى عما نهاه النهى ۞ عنه ولا بالى بعرض خدش
فذاك ان مات فسحقاً له ۞ وان يعش عُدَّ كان لم يعش
لا خير في محيا امرئٍ نشره ۞ كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه طيّبٌ ۞ يروق حسناً مثل بُردٍ رقش
فقل لمن شاكه ذنبه ۞ هلكت يا مسكين او تنتقش
فاخلص التوبة تطمس بها ۞ من الخطايا السود ما قد نقش
وعاشر الناس بخلق رضى ۞ ودار من طاش ومن لم يطش
ورش جناح الحر ان حصه ۞ زمانه لا كان من لم يرش
وانجد الموتور ظلماً فان ۞ عجزت عن انجاده فاستجش
وانعش اذا ناداك ذو كبوةٍ ۞ عساك في الحشر به تنتعش
وهاك كاس النصح فاشرب وجد ۞ بفضلة الكاس على من عطش

قال فلما فرغ من مكيلته ۞ وقضى انشاد ابياته ۞ نهض صبيٌّ قد شدن واعرى البدن ۞ وقال يا ذوي الحصاة ۞ والانصات الى الوصاة ۞ قد وعيتم الانشاد ۞ وفقهتم الارشاد ۞ فمن نوى منكم ان يقبل ۞ ويصلح المستقبل فليبن ببرّي عن نيته ۞ ولا يعدل عني بعطيته ۞ فوالذي يعلم الاسرار ويغفر الاصرار ۞ ان سرّي لكما ترون ۞ وان وجهي ليستوجب الصون فاعينوني رزقتم الصون ۞ قال فاخذ الشيخ فيما يعطف عليه القلوب ويستنّي له المطلوب ۞ حتى انبط حفره ۞ واعشوشب قفره ۞ فلما ان

نزف

نزع الكيس انصلت يميس ويحمد تنيس ولم يحل للشيخ المقام بعد ما انصاع الغلام فاسترفع الايدى للدعاء ثم نحا نحو الانكفاء قال الراوى فارحت الى ان اعجمه واحل مترجمه فتبعته وهو يشتد فى سمته ولا يفتق رتق صمته فلما امن المفاجى وامكن التناجى لفت جيده الىّ وسلم تسليم البشاشة علىّ فقال اراقك ذكاء ذاك الشويدن فقلت اى والمومن المهيمن فقال انه فتى السروجىّ ومخرج الدر من اللجىّ فقلت اشهد انك لشجرة ثمرته وشواظ شرارته فصدق كهانتى واستحسن ابانتى ثم قال هل لك فى ابتدار البيت لنتنازع كاس الكميت فقلت له ويحك اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم فافترّ افترار متضاحك ومرّ غير مماحك ثم بدا له ان يراجع الىّ

وقال احفظها عنى وعلىّ

اصرف بصرف الراح عنك الاسى ... فقد قدح القلب ولا تكتئب
وقل لمن لامك فيما به ... تدفع عنك الهم قدك اتئب

ثم قال اما انا فسانطلق الى حيث اصطبح واغتبق واذا كنت لا تصحب وتلايم من يطرب فلست لى برفيق ولا طريقك لى بطريق فخلّ سبيلى ونكّب ولا تنقّر عنى ولا تنقّب ثم ولّى مدبرًا ولم يعقّب قال الحرث بن همام فالتهبت وجدًا عند انطلاقه ووددت لو لم الاقه

المقامة الثانية والاربعون

وتعرف بالنجرانية

حكى الحرث بن همام قال ترامت بى مرامى النوى ومسارى الهوى الى ان

صرت ابن كل تربة ۞ واخا كل غربة ۞ الا انى لم اكن اقطع واديا ۞ ولا
اشهد ناديا ۞ الا لاقتباس الادب المسلى عن الاشجان ۞ المغلى قيمة الانسان
حتى عرفت لى هذه الشنشنة ۞ وتناقلتها عنى الالسنة ۞ وصارت اعلق
بى من الهوى ببنى عذرة ۞ والشجاعة بال ابى صفرة ۞ فلما القيت الجران
بنجران ۞ واصطفيت بها الخلان والجيران ۞ تخذت انديتها معترَكى ۞ ومعوّم
فكاهتى وسمركى ۞ فكنت اتعهدها صباح ومساء ۞ واظهر فيها على ماسرّ وساءَ
فبينما انا فى نادٍ محشود ۞ ومحفل مشهود ۞ اذ جثم لدينا هِمٌّ ۞ عليه هِدمٌ
فحيا تحية ملق ۞ بلسان ذلق ۞ ثم قال يا بدور المحافل ۞ وبحور النوافل
قد تبيّن الصبح لذى عينين ۞ وناب العيان مناب عدلين ۞ فماذا ترون
فيما ترون ۞ اتحسنون العون ۞ ام تتأوّن اذ تدعون ۞ فقالوا تالله لقد
غظت ورمت ان تنبط نفضت ۞ فنا فدهم الله عما اذا صدهم ۞ حتى اذا
استوجب ردهم ۞ فقالوا كنا نتناضل بالالغاز ۞ كما تتناضل يوم البراز
فما لك ان شئت من المنضول ۞ والحق هذا الفضل بنمط الفضول فلسنه
لسن القوم ۞ ووخزوه باسنة اللوم ۞ واخذ هو يتنصل من هفوته
ويتندّم على فوهته ۞ وهم مُضِبّون على مواخذته ۞ وملبّون داعى منابذته
الى ان قال لهم يا قوم ان الاحتمال من كرم الطبع ۞ فعدوا عن اللذع والقذع
ثم هلم الى ان نلغز ۞ ونحكم المبرز ۞ فسكن عند ذلك توقدهم ۞ وانحلّت
عقدهم ورضوا بما شرط عليهم ولهم ۞ واقترحوا ان يكون اولهم ۞ فامسك
ريثما يعقد شسع ۞ او يشد نسع ۞ ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش ۞ ولقيتم شسع
العيش ۞ وانشد ملغزًا فى مروحة الخيش ۞

وجارية

وجاريةٍ في سيرها مشمعلةٍ ❁ ولكن على اثر المسير قفولها
لها سايق من جنسها يستحثها ❁ على انه في الاحتثاث رسيلها
ترى في اوان القيظ تنطف بالندى ❁ ويبدو واذا ولى المصيف قحولها

ثم قال وهاكم يا اولي الفضل ومراكز العقل وانشد ملغزا في جابول النخل

ومنتسبٍ الى امٍّ ❁ تنشّا اصله منها
يعانقها وقد كانت ❁ نفته برهةً عنها
به يتوصّل الجاني ❁ ولا يلحا ولا ينهـا

ثم قال ودونكم الخفية للعلم ❁ المعتكرة الظلم ❁ وانشد ملغزًا في القلم

وما مسومٍ لبسه عُرف الامامُ ❁ كما باهت بصحبته الكرامُ
له اذ يرتوي طيشان صادٍ ❁ ويسكن حين يعروه الاوامُ
ويذري حين يستسقي دموعًا ❁ يرقّن كما يروق الابتسامُ

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قيل وانشد ملغزا في الميل

وما ناكح اختين جهرًا وخفيةً ❁ وليس عليه في النكاح سبيلُ
متى يغش هذي يغش في الحال هذه ❁ وان مال بعلٌ لم تجده يميلُ
يزيدهما عند المشيب تعهدًا ❁ وبرًّا وهذا في البعول قليلُ

ثم قال وهذه يا اولي الالباب ❁ معيار الاداب وانشد ملغزًا في الدولاب

وجافٍ وهو موصولٌ وصولٌ ليس بالجافي ❁ غريقٌ بارزٌ فاعجب ❁ له من راسبٍ طافي
يسح دموع مهضومٍ ❁ وللهضم هضم تلافي ❁ وتخشى منه حدته ❁ ولكن قلبه صافي

فلما رشق بالخمس التي نسق ❁ قال يا قوم تدبروا هذه الخمس ❁ ثم رايكم
وضمّ الذيل ❁ والازدياد من الكيل ❁ قال فاستفزت القوم شهـوة

الزيادة ۞ على ما اشربوا من البلادة ۞ فقالوا ان وقوفنا دون حده ۞ ليفحمنا
عن استيراء زندك ۞ فان تممت عشرًا فمن عندك ۞ فاهتز اهتزاز من فلج
سهمه ۞ وانخذل خصمه ۞ ثم افتتح النطق بالبسملة ۞

ومسرورة معمومة طول دهرها ۞ وما هي تدري ما السرور ولا النعم
تقرب احيانًا لاجل حينها ۞ وكم ولدٍ لولاه طلقت الامم
وتبعد احيانًا وما حال عهدها ۞ وابعاد من لم يستحل عهده ظلم
اذا قصر الليل استلذ وصالها ۞ وان طال فالاعراض عن وصلها نعم
لها ملبس بادٍ انيقٌ مبطنٌ بما ۞ يزدري لكن لما يزدري الحكم

ثم كشف عن انيابه الصف ۞ وانشد ملغزًا في الظفر

ومرهوب الشبا نامٍ ۞ وما يرعى وما يشرب
يرى في العشر ون النحر ۞ فاسمع وصفه فاعجب

ثم تحارز العفريت ۞ وانشد ملغزًا في طاقة الكبريت

وما محقورة تدنى وتقصى ۞ وما منها اذا افكرت بدّ
لها راسان مشتبهان جدًا ۞ وكلٌّ منهما لاخيه ضدّ
تعذّب ان هما خضبا ويلغى ۞ اذا عدما الخضاب ولا تعدّ

ثم تخمط تخمط القرم ۞ وانشد ملغزًا في حلب الكرم

وما شيء اذا فسدا ۞ تحول غيه رشدا
وان هو راق اوصافًا ۞ اثار الشر حين بدا
زكي العرق والده ۞ ولكن بيس ما ولدا

ثم اعتضد عصا التسيار ۞ وانشد ملغزًا في الطيار

وذي

وذى طيتين شقه مايل ۞ وما عابه بهما عاقل
يرى ابدا فوق علية كما ۞ يعتلى الملك العادل
تساوى لديه الحصى والنضار ۞ وما يستوى الحق والباطل
واعجب اوصافه ان نظرت ۞ كما ينظر الكيس الفاضل
تراضى الخصوم به حاكما ۞ وقد علموا انه مايل

قال فظلت الجماعة تهيم فى اودية الاوهام ۞ وتجول جولان المستهام الى ان طال الامد ۞ وحصحص الكمد ۞ فلما راهم يزندون ولا سنا ويقضون النهار بالمنى ۞ قال يا قوم الامَ تنظرُون ۞ وحتام تُنظرون الم يان لكم استخراج الخبى ۞ او استسلام الغبى ۞ فقالوا لقد اعوصت ونصبت الشرك فقنصت ۞ فحكم كيف شيت ۞ وخذ الغنم والصيت فرض على كل معمى فرضا ۞ واستخلصه منهم نضا ۞ ثم فتح الاقفال ووسم الاغفال ۞ وحاول الاحفال ۞ فاعتلق به مدرة القوم ۞ وقال لا لبس بعد اليوم ۞ فاستنسب قبل الانطلاق ۞ وهبها متعة الطلاق فاطرق حتى قلنا مريب ۞ ثم انشد والدمع مجيب ۞

سروج مطلع شمسى ۞ وربع لهوى وانسى
لكن حرمت نعيمى ۞ بها ولذة نفسى
واعتضت عنها اغترابا ۞ امر يومى وامسى
مالى مقر بارض ۞ ولا قرار لعنسى
ويوما بنجد ويوما ۞ بالشام اضحى وامسى
ازجى الزمان بقوت ۞ منغص مستخس

ولا ابيت وعندي فلس ومن لي بفلس
ومن يعش مثل عيشي باع الحياة ببخس

ثم انه اختزن خلاصة النض وندّ ضاربًا في الارض فناشدناه ان
يعود واسنينا له الوعود فلا وابيك

المقامة الثالثة والاربعون

وتعرف بالحضرمية

اخبر الحرث بن همام قال هفا بي البين المطوح والسير المبرح الى ارض
يضل بها الخرّيت وتفرق فيها المصاليت فوجدت ما يجد الحاير
الوحيد ورايت ما كنت منه احيد الا اني شجعت قلبي المزؤود
ونسات نضوي المجهود وسرت سير الضارب بقدحين المستسلم
للحين ولم ازل بين وخدٍ وذميل واجازة ميل بعد ميل الى ان
كادت الشمس تجب والضياء يحتجب فارتعت لاظلال الظلام
واقتحام جيش حام ولم ادر اكفت الذيل وارتبط ام اعتمد
الليل واختبط وبينا انا اقلب العزم وامخض الحزم ترائى لي شبح
جمل مستذر بجبل فتوسمته تفرس مريح وقصدته قصد مشيح
فاذا الظن كهانة والعقد عيانة والمريح قد ازمل ببجاده واكتحل
برقاده فجلست عند راسه حتى هب من نعاسه فلما ازدهر
سراجاه واحس بمن فاجاه نفر كما ينفر المريب وقال اخوك ام
الذيب فقلت بل خابط ليل ضل المسلك فاضئ لي اقدح لك
فقال ليسر عنك همك فرب اخٍ لم تلده امك فانسرى عند ذلك

اشفاقي

اشفاقي ۞ وسرى الوسن الى اماقي ۞ فقال عند الصباح يحمد القوم السرى
فهل ويحك ما ارى ۞ فقلت اني لا طوع من حذايك ۞ واوفق من غذايك
نصدع بحجتي ۞ ونجنح بصحبتي ۞ ثم احتملنا مُجِدّين ۞ وارتحلنا مدلجين
ولم نزل نعاني السرى ۞ ونعاصي الكرى ۞ الى بلغ الليل غايته ۞ ورفع
الفجر رايته ۞ فلما اسفر الفاضح ۞ ولم يبق الا الواضح ۞ توسمت رفيق
رحلتي ۞ وسمير ليلتي ۞ فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد ۞ ومعلم
الراشد ۞ فتهادينا تحية المحبين ۞ اذا التقيا بعد البين ۞ ثم تباثثنا الاسرار
وتناثثنا الاخبار ۞ وبعيري يئط من الكلال ۞ وراحلته تزف زفيف
الرئال ۞ فاعجبني اشتداد اسرها ۞ وامتداد صبرها ۞ واخذت استشف
جوهرها ۞ واسيله من اين تخيرها ۞ فقال ان لهذه الناقة ۞ خبرا حلو
المذاقة ۞ مليح السياقة ۞ فان احببت استماعه فانخ ۞ وان لم تشا فلا تصخ
فانخت لقوله نضوي ۞ واهدفت السمع لما يروي ۞ فقال اعلم اني
استعرضتها بحضرموت ۞ وكابدت في تحصيلها الموت ۞ ومازلت اجوب
عليها البلدان ۞ واطيس بها الظران ۞ الى ان وجدتها عبر اسفار
وعدة فرار ۞ لا يلحقها العناء ۞ ولا يواهقها الوجناء ۞ ولا تدري ما الهناء
فارتصدتها للخير والشر ۞ واحللتها محل البر والسر ۞ فاتفق ان ندّت
من مدة ۞ ومالي سواها عدة ۞ فاستشعرت الاسف ۞ واستشرفت
التلف ۞ ونسيت كل رزء سلف ۞ ومكثت ثلثا ۞ لا استطيع انبعاثا
ولا اطعم النوم الا احتثاثا ۞ ثم اخذت لاستقراء المسالك ۞ وتفقد المسارح
والمبارك ۞ وانا لا استنشي منها ريّا ۞ ولا استفشي ياسامر ريّا ۞ وكلما

ادكرت نضاها فى السير وانبراها لمباراة الطير لاعن الادكار
واشتهوتنى الافكار فبينما انا فى حوائج ببعض الاحياء اذ سمعت من
شخص متبعد وصوت منجد من ضلت له مطية حضرمية وطية
جلدها قد وسم وعرتها قد حسم وزمامها قد ظفر وظهرها كان
كسر ثم جبر تزين الماشية وتصين الناشية وتقطع المسافة النائية
وتظل ابدا لك مدانية لا يفتورها الونا ولا يعترضها الوجا ولا
تحوج الى العصا ولا تعصى قيمن عصا قال ابو زيد فجذبني
الصوت الى الصايت وبشرني بدرك الفايت فلما افضيت اليه
وسلمت عليه قلت له سلم المطية وتسلم العطية فقال وما
مطيتك عفرت خطيئتك فقلت ناقة جثتها كالهضبة وذروتها
كالقضبة وحلبها ملء العلبة وكنت اعطيت بها عشرين حين حللت
يبرين فاستزدت الذى اعطى وددت انه اخطا قال فاعرض حين
سمع صفتى وقال لست بصاحب لقطتى فاخذت بتلابيبه وهممت
بتمزيق جلابيبه وهو يقول يا هذا ما مطيتي بطلبك فاكفف من
غربك وعد عن سبك والا فقاضني الى قاضي هذا الحي البرك
من الغي فان اوجبها لك فتسلم وان زواها عنك فلا تتكلم فلم
ار دواء قصتى ولا مساغ غصتى الا ان اتى الحكم ولو لكم فانحطنا
الى شيخ ركين النصبة انيق العصبة يونس منه سكون الطاير
وان لنيس بالجاير فاندرات اتظلم وانا آتلم وصاحبي مرم لا يترمرم
حتى اذا انثلت كنانتي وقضيت من القصص لبانتي ابرز نعلا

رزينة الوزن * محذورة لمسلك الحزن * وقال هذه التي عرفت * واياها
وصفت * فان كانت هي التي اعطى بها عشرين * وما هو من المبصرين * فقد
كذب في دعواه * وكبر ما افتراه * اللهمّ الا ان يمدّ تذلاله * ويبين مصداق
ما قاله * فقال الحكم اللهم غفرا * وجعل يقلب النعل بطنا وظهرا
وقال اما هذه النعل فنعلي * واما مطيتك في رحلي * فانهض لتسلم
ناقتك * وافعل الخير بحسب طاقتك * فقمت وقلت *

اقسم بالبيت العتيق ذي الحرم * والطائفين العاكفين في الحرم
انك ما بين الورى نعم الحكم * وخير قاض في الاعاريب حكم
فاسلم ودم دوم النعام والنعم *

فاجاب من غير روية * ولا عقد نية * وقال

جزيت عن شكرك يا ابن عم * اذ لست استوجب شكرا يلتزم
شر الانام من اذا استرعى ظلم * ثم من استرعى فلم يرع الحرم
فذان والكلب سواء في القيم *

ثم انه نفذ بين يديّ * من سلم الناقة اليّ * ولم يمتن عليّ * فرحت اجر
ذيل الطرب * واقول يا للعجب * قال الحرث بن همام * فقلت له تالله
لقد اطرفت * وهرفت بما عرفت * فناشدتك الله هل لقيت اسحر منك
بلاغة * واحسن اللفظ صياغة * فقال اللهم نعم * فاسمع وانعم * كنت
عزمت حين اتهمت * على ان اتخذ ظعينة * لتكون لي معينة * فحين تعين
الخطب * وكاد الامر ان يستتب * افكرت فكر المحترز من الوهم * المتأمل
كيف مسقط السهم * وبت ليلتي اناجي القلب المعذب * واقلب العزم

المذبذب • الى ان اجمعت على ان اسحر • واشاور اول من ابصر • فلما
قوضت الظلماء اطنابها • وولت الشهب اذنابها • غدوت غدو المتنوق
وابتكرت ابتكار المتشوق • فانبرى لى يافع • فى وجهه شافع •
فتيمنت بمنظره البهيج • واستقدحت رايه فى التزويج • فقال اتبغيها
عوانًا • او بكرًا نعانا • فقلت اختر لى ما ترى • فقد القيت اليك العرى
فقال الىّ التبيين • وعليك التعيين • فاسمع انا افديك • بعد ان
اعاديك • اما البكر فالدرة المخزونة • والبيضة المكنونة • والباكورة الجنية
والسلافة الشهية • والروضة الانف • والطوق الذى ثمن وشرف
لم يدنسها لامس • ولا استغشاها لابس • ولا مارسها عابث • ولا
وكسها طامث • ولها الوجه الحيى • والطرف الخفى • واللسان العيى
والقلب النقى • ثم هى الدمية الملاعبة • واللعبة المداعبة • والغزالة
المغازلة • والملحة الكاملة • والوشاح الطاهر القشيب • والضجيع
الذى يشب ولا يشيب • واما الثيب فالمطية المذللة • واللهنة المعجلة
والبغية المسهلة • والطبة المعللة • والقرينة المحببة • والحليفة المتقربة
والصناع المدبرة • والفطنة المختبرة • ثم انها عجالة الراكب • وانشوطة
الحاطب • وقعدة العاجز • ونهزة المبارز • عريكتها لينة • وعقلتها
هينة • ودخلتها مبينة • وخدمتها مزينة • واقسم لقد صدقتك فى
النوعين • واجتليت المهاتين • فبايهما هام قلبك • وعلى ايتهما قام
ربك • قال ابو زيد فرايته جندلة يتقيها المراجم • وتدمى منها
المحاجم • الا انى قلت له • كنت سمعت ان البكر اشد حبا • واقل خبا •

فقال

فقال قد نمري قبل هذا • ولكن كم قولٍ اذى • ويحك اما هي المهرة الابية
العنان • والمطية البطية الاذعان • والزندة المنصرة الاقتداح • والقلعة
المستصعبة الافتتاح • ثم ان مونتها كثيرة • ومعونتها يسيرة • عشرتها صلفة
ودالتها مكلفة • ويدها خرقاء • وفتنتها صماء • وعريكتها خشناء
وليلتها ليلاء • وفي رياضتها عناء • وعلى خبرتها غشاء • وطالما
اخزت المنازل • وفركت المغازل • واضغت الهازل • واضرعت
الفنيق البازل • ثم تقول انا البس واجلس • فاطلب من يطلق
ويحبس • فقلت له فما ترى التيب • يا ابا الطيب • فقال ويحك اما
ترغب في فضالة المأكل • وثمالة المنهل • واللباس المستبدل • والوعا
المستعمل • والذواقة المتطرفة • والخراجة المتصرفة • والمعقاح
المتسلطة • والمتحكمة المتسخطة • ثم كلمتها كنت وصرت • وطالما بغي
عليّ فنصرت • وشتان بين اليوم وامس • واين القمر من الشمس • وان
كانت الحنانة البروك • او الطامحة الهلوك • فهي الغل والقمل • والجرح
الذي لا يندمل • فقلت له هل ترى ان اترهب • واسلك هذا المذهب
فانتهرني انتهار المودب • عند زلة المتادب • ثم قال ويحك اتقتدي
بالرهبان • والحق قد استبان • اف لك ولوهن رايك • وتبا لك
ولأوليائك • اتراك ما سمعت بان لا رهبانية في الاسلام • ولا حدثت
بمناكح نبيك عليه ازكى السلام • ثم الم تعلم ان السكن الصالحة
ترب بيتك • وتلبي صوتك • وتغض طرفك • وتطيب عرفك
وبها ترى قرة عينك • وريحانة انفك • وفرحة قلبك • وذخيرة

يومك وغدك • فكيف رغبت عن سنة النبيين • ومتعة المتاهلين
وشرعة المحصنين • ومجلبة المال والبنين • والله لقد سانى فيك
ما سمعت من فيك • ثم اعرض اعراض المغضب • ونزا نزوان العنظب
فقلت له قاتلك الله • انتطلق متبخترًا • وتذرني متحيرًا • فقال اظنك
تدعى الخيرة • لتجلد عميرة • وتستغنى عن المهيرة • فقلت له قبح الله
ظنك ولا اشبّ قرنك • ثم رحت عنه مراح الخزيان • وتبت من
مشاورة الصبيان • فقلت اقسم بمن انبت الايك • ان الجدل منك
واليك • فاغرب فى الضحك • وطرب طربة المنهتك • ثم قال العق
العسل ولا تسل • فاخذت اسهب فى مدح الادب • وافضل رتبه على
ذى النشب • وهو ينظر الى نظر المستجهل • ويغضى عنى اغضاء الممهل
فلما افرطت فى العصبية • للعصابة الادبية • قال لى صه • واسمع منى
وافقه • يقولون ان جمال الفتى • وزينته ادب راسخ
وما ان يزين سوى المكثرين • ومن طود سودده شامخ
فاما الفقير فخيرٌ له • من الادب القرص والكامخ
واى جمال له ان يقال • اديب يعلم او ناسخ
ثم قال سيفصح لك صدق لهجتى • واستنارة حجتى • وسرنا لا نالوا جهدًا
ولا نستفيق جهدًا • حتى اداتنا السير • الى قرية عزب عنها الخير • فدخلنا
ها للارتياد • وكلانا منفضٌ من الزاد • فما ان بلغنا المحط • والمناخ المختط
او لقينا غلام لم يبلغ الحنث • وعلى عاتقه ضغث • فحياه ابو زيد تحية
المسلم • وساله وقفة المفهم • فقال وعمّ تسال وفقك الله • قال

ارطب

ايباع ههنا الرطب بالخطب • قال لا والله ولا البلح بالملح • قال كلا والله
ولا الثمر بالسمر • قال هيهات ولا العصايد بالقصايد • قال اسكت عافاك
الله • قال ولا الترايد بالفرايد • قال اين يذهب بك ارشدك الله
قال ولا الدقيق بالمعنى الدقيق • قال عدّ عن هذا اضحكك الله • فقال
واستحلى ابوزيد تراجع السوال والجواب • والتكايل من هذا الجراب
ولمح الغلام ان الشوط بطين • والشيخ شيطين • فقال له حسبك
يا شيخ فقد عرفت فنّك • واستبنت انك • فخذ الجواب صبرة • واكتف
به خبرة • اما بهذا المكان فلا يشترى الشعر بشعيرة • ولا النثر بنثارة
ولا القصص بقصاصة • ولا الرسالة بغسالة • ولا حكم لقمان بلقمة
ولا اخبار الملاحم بلحمة • واما جيل هذا الزمان فما فيهم من يميح
اذا صيغ له المديح • ولا من يجيز • اذا نظمت له الاراجيز • ولا من
يغيث • اذا اطربه الحديث • ولا من يمير • ولو انه امير • وعندهم ان
مثل الاديب • كالربع الجديب • ان لم تجد الربع ديمة • لم تكن له قيمة
ولا دانته بهيمة • وكذا الادب ان لم يعضده نشب • فدرسه نصبٌ
وحزنه حصبٌ • ثم انسدر يعدو • وولّى يغدو بحدو • فقال لي ابوزيد
اعلمت ان الادب قد بار • وولت انصاره الادبار • فبؤت له بحسن
البصيرة • وسلمت بحكم الضرورة • فقال دعنا الان من المصاع • وخذ
في حديث القصاع • واعلم ان الاسجاع • لا تشبع من جاع • فما التدبير
فيما يمسك الرمق • ويطفى الحرق • فقلت الامر اليك • والزمام بيديك
فقال ارى ان ترهن سيفك • لتشبع جوفك وضيفك • فناولنيه واقم

لانقلب اليك بما نلتقم ۰ فاحسنت به الظن ۰ وقلدته السيف والرهن
ثم البث ان ركب الناقة ۰ ورفض الصدق والصداقة ۰ فمكثت مليا
ارقبه ۰ ثم نهضت اتعقبه ۰ فكنت كمن ضيع في الصيف ۰ ولم القه ولا السيف

۰ المقامة الرابعة والاربعون ۰

حكى الحرث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم ۰ فاحمة اللمم ۰ الى نار تضرم على علم ۰ وتخبر عن كرم ۰ وكانت ليلة جوها مقرور ۰ وجيبها مزرور ۰ ونجمها مغموم ۰ وغيمها مركوم ۰ وانا فيها اصرد من عين الحربا والعنز الجربا ۰ فلم انص عنسي ۰ واقول طوبى لك ولنفسي ۰ الى ان تبصر الموقد آلي ۰ وتبين ارقالي ۰ فانحدر يعدو الجمزى وينشد مرتجزا

حييت من خابط ليل سار ۰ هداه بل اهداه ضوء النار
الى رحيب الباع رحب الدار ۰ مرحب بالطارق الممتار
رحاب جعد الكف بالدينار ۰ ليس بمزور عن الزوار
ولا بمعتام القرى مختار ۰ اذا اقشعرت ترب الاقطار
وضنت الانواء بالامطار ۰ فهو على بوس الزمان الضاري
جم الرماد مرهف الشفار ۰ لم يخل في ليل ولا نهار
۰ من خر وار واقتداح وار ۰

ثم تلقاني بمحيا حيي ۰ وصافحني براحة اريحي ۰ واقتادني الى بيت عشاره تخور ۰ وعشاره تفور ۰ وولائده تمور ۰ وموائده تدور ۰ وبا كساره اضياف قد حبسهم حابس ۰ وقلبوا في قالبي ۰ وهم يجتنون

فالهم

فاكهة الشتاء • ويرجون مرح ذوى الفتاء • فاخذت ماخذهم فى الاصطلاء
ووجدت بهم وجد الثمل بالطلاء • ولما ان سرى الحضر • وانسرى
الحضر • اوتينا بموايد كالهالات دورًا • والروضات نورًا • وقد شحن
باطعمة الولايم • وحمين من العايب واللايم • فرفضنا ماقيل فى
البطنة • وراينا الامعان فيها من الفطنة • حتى اذا اكتلنا بصاع
الحطم • واشفينا على خطر التخم • تداورنا مشوس النجر • ثم تبوانا
مقاعد السمر • واخذ كل منا يشول بلسانه • وينشر مافى صوانه
ماعدا شيخًا مشتبهًا فواده • مخلولقًا برداه • فانه ربض مجرة • فاوسعنا
هجرة • فغاظنا تجنيه • الملتبس بوجيه • المعذور فيه موننبه • الا
انا النا له القول • وخشينا فى المسيلة العول • وكلما رمنا ان يفيض
كما فضنا • او يُفيض كما افضنا • اعرض اعراض العلية عن الارذلين
وتلا ان هذا الا اساطير الاولين • ثم كان الحمية هاجته • والنفس
الابية ناجته • فذلف وازدلف • وجلح الصلف • وبذل ان يتلافى
ماسلف • ثم استرعى سمع السامر • واندفع كالسيل الهامر وانشد

عندى اعاجيب ارويها بلا كذب • عن العيان فكنونى ابا العجب
رايت يا قوم اقوامًا غذاوهم • بول العجوز وما اعنى ابنة العنب

بول العجوز لبن البقرة والعجوز ايضا من اسما الخمر

ومنتين من الاعراب قوتهم • ان يثتوا خرقة تغنى عن السغب

الخرقة القطعة من الجراد

وكاتبين وماخطت انا ملهم • حرفًا ولا قراوا ماخط فى الكتب

الكاتبون الخرّازون يقال كتب السقاء والمزادة اذا خرزهما

وتابعين عقابًا في مسيرتهم • على تكميتهم في البيض واليلب

العقاب الراية وكانت راية النبي صلى عليه تسمى العقاب

ومنتدين ذوي نبل بدت لهم • نبيلةٌ فانثنوا منها الى الهرب

النبيلة الجيفة ومنه نبتل البعير اذا مات واروح

وعصبةٌ لم ترَ البيت العتيق وقد • حجت جثيًّا بلا شك ولا ريب

معنى حجت جثيًّا اي غلبت بالحجة مجادلين جاثين على الركب وجُثِيّ جمع جاثٍ

ونشوة بينما ادلجن من حلبٍ • صبحن كاظمةً من غير ما تعب

كاظمة في هذا الموضع كاظمة الغيظ اي متجرعته

ومدلجين سروا من ارض كاظمةٍ • واصبحوا حين لاح الصبح في حلبٍ

اصبحوا يحلبون اللبن

وقادرين متى ما ساءَ صنعهمُ • وقصّروا فيه قالوا الذنب للحطبِ

القادر الطابخ في القدر والقدير المطبوخ فيها

ويا نعامٍ يلامس قط غانيةً • عاهرته وله نسلٌ من العقبِ

النسل هنا العدو ومنه قوله تع من كل حدب ينسلون والعقب موخر القدم

وشائبًا غير محتفٍ للمشيب بدا • في البدو وهو فتىّ السن لم يشبِ

الشائب هنا مازج اللبن والمشيب اللبن الممزوج يقال فيه مشوب ومشيب

ومرضعًا بلبانٍ لم يفه فمهُ • رايته في شجارٍ بيّن السببِ

الشجار المحفة ما لم تكن مظلة فان ظللت فهو الهودج والسبب الحبلُ

وزائرًا غادرةً حتى اذا صعدت • صارت عنبرًا يهواها اخو الطربِ

العنبر

السكرتة

الغبير السكر المتخذ من الذرة وفى الحديث اياكم والغبيرا فانها خمر العالم ويسمى ايضا
وراكضًا وهو مغلول على فرسٍ • قد غلّ ايضًا وما ينفكّ من جببِ
المغلول هنا العطشان وغل اى عطش
ورايتُ طلق يقتاد راحلتهُ • مستعجلاً وهو ماسورٌ اخو كربِ
الماسور هو الذى يجد الاسر وهو احتباس البول
وجالسًا ماشيًا تهوى مطيتهُ • به وما فى الذى اوردت من ريبِ
الجالس الاتى نجدًا والماشى الذى كثرت ماشيته وعليه فسّر قوله
تعالى ان امشوا كانه دعاء لهم بالنماء والماشية
وحايكًا اجذم الكفين ذا خرسٍ • فان عجبتم فكم بالخلق من عجبِ
الحايك ههنا الذى اذا مشى حرك منكبيه وفجّ بين ركبتيه
وصادعًا بالقنا من غير ان علقت • كفاه يومًا برمحٍ لا ولم يثبِ
القنا هنا ارتفاع الانف وصدع به اى كشفه
وذا شظاظٍ كصدر الرمح قامته • صادفته يمنىً يشكو من الحدبِ
الحدب ما ارتفع من الارض
وساعيًا فى مسرات الانام يرى • افراحهم مأثمًا كالظلم والكذبِ
افراحهم اثقالهم بالدّين ومنه قوله عليه السلام لا
يترك فى الاسلام مفرحا وهو صاحب الدَّيْن
ومغرمًا بمناجاة الرجال له • وماله فى حديث الخلق من اربِ
الخلق هنا الكذب ومنه قوله عز وجلّ ان هذا الا خُلُقُ الاولين
وذا ذمامٍ وفت بالعهد ذمتهُ • ولا ذمام له فى مذهب العربِ

النمام هنا الثاني جمع ذمة وهي البئر القليلة الماء وعنى بالمذهب المِلْكَ
اي ماله في البدو ابار قليلة الماء

وذا قوىً ما استبانت قط لينته • ولينه مستبينٌ غير محتجبِ
اللين النخل الدقل ومنه قوله تع ما قطعتم من لينة

وساجدًا فوق فحل غير مكترثٍ • بما اتى بل يراه افضل القربِ
الفحل الحصير المتخذ من فحال النخل

وعاذرًا مومئًا من ظل يعذره • مع التلطف والمعذور في صخبِ
العاذر الخاين والمعذور المختون

وبلدةً ما بها ماءٌ لمغترفٍ • والماء يجري عليها جري منسربِ
البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى ايضًا البلجة

وقرية دون افحوص القطا ثخنت • بديلم عيشهم من خلسة السلبِ
القرية بيت النمل والديلم النمل الكثير

وكوكبًا يتوارى عند رؤيته • الانسان حتى يرى في امنع الحجبِ
الكوكب البياض الذي يحدث في العين والانسان هنا انسان العين

وروثةً قومت مالًا له خطرٌ • ونفس صاحبها بالمال لم تطبِ
الروثة مقدم الانف

وصحفةً من نضارٍ خالص شربت • بعد المكاس بقيراط من الذهبِ
النضار هنا شجر النبع وقول بعض التابعين لا باس ان يشرب في قدح النضار عنى به هذا

ومستجيشًا بخشخاش ليدفع ما • اظله من اعاديه فلم يجبِ
الخشخاش جماعة عليهم دروع واسلحة

وطالما مر بي كلب وفي فمه • ثور ولكنه ثور بلا ذنبِ

الثور

الثور القطعة من الاقط

وكم راى ناظرى فيلاً على جملٍ • وقد تورّك فوق الرحل والقتب

الفيل الرجل الفايل الراى

وكم لقيت بعض البيد متشكيًا • وما اشتكى قط فى جدٍ ولا نصبٍ

المشتكى المتخذ شكوةً وهى القربة الصغيرة

وكنت ابصرت كرازًا لدا عينٍ • بالدوّ ينظر من عينين كالشهب

الكراز كبش يحمل عليه الراعى اداته

وكم رات مقلتى عينين ماء وهما • يجرى من الغرب والعينان فى حلبٍ

الغرب مجرى الدمع والعينان المقلتان

وكم نزلت بارضٍ لا نخيل بها • وبعدهم رايت البسر فى القلبِ

البسر بسره وهو الماء الحديث العهد بالمطر

وكم رايت بانطاد الفلا طبقًا • يطير فى الجو منصبًا الى صببٍ

الطَبَق القطعة من الجراد

وكم مسايخ فى الدنيا رايتهم • مخلّدين ومن ينجو من العطبِ

المخلّد الذى ابطاء شيبه

وكم بدا لى وحشٌ يشتكى سغبًا • بمنطق ذلق امضى من القضبِ

الوحش الجايع

وكم دعانى مستنجٍ فحادثنى • وما اخلّ ولا اخللت بالادبِ

المستنج الجالس على نجوةٍ وهى المكان المرتفع

وكم انخت قلوصى تحت جنبذةٍ • تظل ما شيت من عُرب ومن عربِ

الجنبذة القبة والعُرُبُ جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها

وكم نظرت الى من سرّ سا عنه • ودمعه مستهل القطر كالسحب

سرّ اى قطع سرّه وسُرّه ويسمى ما بقى بعد القطع السرّة

وكم رايت قميصاً ضرّ صاحبه • حتى انثنى واهى الاعضاء والعصب

القميص الدابة الكثير القماص

وكم ازارٍ لوان الدهر اتلفه • لجفّ لبد جثيت السير مضطرب

الازار المراة ومنه قول الشاعر فذى لك من اخى ثقة ازارى وقيل عنى بالازار نفسه

هذا وكم من افانين محجبةٍ • عندى ومن ملحٍ تلهى ومن نخبِ

فان فطنتم للحن القول بان لكم • صدقى ودكّم طلعى على الرطبِ

وان شدهتم فان العار فيه على • من لا يميز بين العود والحطب

قال الحرث بن همام فطفقنا نخبط فى تقليب قريضه • وتاويل معاريضه

وهو يلهو بنا لهو الخلى بالشجى • ويقول ليس بعشك فادرجى • الى ان

تعسر النتاج • واستحكم الارتياج • والقينا اليه المقادة • وخطبنا منه الافادة

فوقفنا بين الطمع والياس • وقال الايناس قبل الابساس • فعلمنا انه

ممن يرغب فى الشكم • ويرتشى فى الحكم • وساءنا مثوانا التعرض للغرم • ام

نخيّب بالرغم • فاحضرنا قنة عيدية • وحلة سعدية • وقال له هنالك

حلالاً • ولا ترزاءُ ايضاً فى نسلاً • فقال اشهد انها شنشنة اخزمية

واريحية حاتمية • ثم قابلنا بوجه بشره يشف • ونضرته ترف • وقال

ياقوم ان الليل قد اجلوذ • والنعاس قد استحوذ • فافزعوا الى المراقد

واغنموا راحة الراقد • لتتشربوا نشاطاً • وتبعثوا نشاطاً • فتعواما

افتر • ويتبهل لكم المتمتر • فاستصوب كل ما اداه • وتوسد وسادة كراه • فلما وسنت الاجفان • واغفت الضيفان • وثب الى الناقة فرحلها ثم ارتحلها وحلها • وقال مخاطبا لها

سروج يا ناق فسيرى وخدى • وادلجى واقبى واسيدى
حتى تطأ خفاك مرعاها الندى • فتنعمى حينئذ وتسعدى
وتامنى ان تتهمى وتنجدى • ايه فدتك النوق جدى واجهدى
وافرى اديم فدفد ففدفد • واقتنعى بالنشح عند المورد
ولا تخطى دون ذاك المقصد • فقد حلفت حلفة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمد • انك ان احللتنى فى بلدى
حللت منى بمحل الولد •

قال فعلمت انه السروجى الذى اذا باع انباع • واذا ملئ الصاع انصاع ولما انبلج صباح اليوم • وهبّ النوام من النوم • اعلمتهم ان الشيخ حين اغشاهم السبات • طلقهم البتات • وركب الناقة وفات فاخذهم ما قدم وما حدث • ونسوا ما طاب منه بما خبث • ثم انشعبنا فى كل مشعب • وذهبنا تحت كل كوكب

تفسير ما اودع هذه المقامة

قال الشيخ الامام ابو محمد القسم بن على الحريرى رضى الله عنه • قد فسرت كل لغز تخته • ولم اجد على من يقراه كشفه • وقد بقيت الفاظ اشتملت عليها هذه المقامة • وربما التبس تفسيرها على بعض من يقع اليه • فاحببت ايضاحها له ليكفى حيرة الشبهة • وكلفة الفكرة ووصمة البحث والمسيلة • وبالله الاستعانة والقوة قوله عشوت الى

نار يعنى تنورها فتصرتها • فان لم يقصدها فقلت عشوت عنها • قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا اى يعرض • وقوله كنت احرد من عين الحربا • والعنز الجربا • هذان مثلان يضربان لمن يبلغ منه البرد • وذلك لان الحربا يدور ابدًا مع الشمس ويستقبلها بعينه والى هذا اشار ابن الرومى في قوله

ما بالها قد حسّنت ورقيبها • ابدًا قبيح قُبّح الرقباءُ
ماذاك الا انها شمس الضحى • ابدًا يكون رقيبها الحربا

والعنز الجربا لا تدفأ في الشتاء لقلة شعرها • وذكر بعضهم ان عنز الجربا تصحيف المثل الاول • وقوله نحر وابٍ • يعنى الجمل المكتنز شحمًا الكثير لحمًا • وقوله عشارة تخور • واعشارة تفور • العشار النوق الحوامل والاعشار البرمة العظيمة كانها شُعّبت لعظمها • ويقال برمة اعشار وجفنة اكسار • وثوب اسمال • وبرد اخلاق • وحبل رمام • ووصف الجماعة منها كوصف الواحد • وقوله فاكهة الشتا كنا بها عن النار

ومنه قول بعض المحدثين

النار فاكهة الشتاء فمن يرد • اكل الفواكه شاتيًا فليصطلِ
ان الفواكه فى الشتاء شهية • والنار للمقرور افضل ماءٍ كلِ

وقوله ومواقد كالهالات • يعنى دارات القمر • ودارة الشمس تسمى الطفاوة وقوله مشوش الغمر يعنى المنديل • يقال مشّ يده بالمنديل اذا مسحها

ومنه قول امرئ القيس

نمش باعراف الجياد اكفنا • اذا نحن قمنا عن شواءٍ مضهبِ

وقوله

وقوله مشتهبا قوداه اى مار من الشيب فى لون الاشهب

ومنه قول امرئ القيس

قالت الخنساء لما جيتها • شاب بعدى راس هذا واشتهب

وقوله ربض جمة اى ناحية • ويقال لمن يشاركك فى الرخا • ويجانب عند البلا • يرتع وسطا ويربض جمة • وقوله واسترعى سمع السامر يعنى السمار • لان السامر اسم للجمع • كالحاضر اسم للحى النازلين على الماء • وكالباقر اسم لجماعة البقر • وقال بعض اهل اللغة وهو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السامر من السمر • وهو ظل القمر ماخوذ من السمرة • فلما كان غالب احوال السمار انهم يتحدثون فى ظل القمر • اشتق لهم منه اسم والى هذا قولهم لا اكلمه السمر والقمر وقوله ليس بعشك فادرجى • هذا مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغى له • العش ما يكون فى شجرة • فان كان فى حايط او كهف جبل فهو وكر وقوله الايناس قبل الابساس • هذا مثل ايضا • ومعناه انه ينبغى ان يونس الانسان ثم يكلف • واصله ان حالب الناقة يونسها حين يروم حلبها • ثم يبس لها للحلب • والابساس ان يقول لها بس بس لتسكن وتدر • وتسمى الناقة التى تدر على الابساس البسوس وقوله يرغب فى الشكم • الشكم ما اعطيته على سبيل المجازاة فان اعطيت متبديا فهو الشكد وقوله سال ابا مثوانا يعنى المضيف الذى اووا اليه • وثووا عنده وقوله ناقة عيدية قيل انها منسوبة الى فحل منجب وقيل هى منسوبة الى مهرة يقال لهم بنو عيد بن الامرى على وزن العامرى ابن مهرة • وكانت مهرة وعيد يتخذان نجايب الابل وقوله حلة سعيدية

منسوبة الى سعيد بن العاص • وكان رسول الله كساه وهو غلام حلة
فنسب جنسها اليه وقوله لا تنزرا اضيافى زبلًا • اى لا تنزراهم شيئًا
ولو قل • والاصل فى الزبال ما تحمله النملة بفيها وقوله شنشنة اخزمية
اشار الى المثل الذى ضربه جد حاتم بن عبيد الله بن سعيد بن الحشرج
بن اخزم الطائى • حين نشا حاتم وتقيل اخلاق جده اخزم فى الجود
فقال شنشنة اعرفها من اخزم وتمثل عقيل بن علفة حين قال

ان بنى ضرجونى بالدمِ • من يلق اساد الرجال يُكلَمِ
شنشنة اعرفها من اخزمِ •

ومن ادعى ان المثل له فقد سها فيه وقوله اجلوذ اى اسرع فى الذهاب
ومثله اخروط وقوله وثب على الناقة فرحلها • يعنى شد عليها الرحل
وبه سميت الراحلة • لانها فاعلة بمعنى مفعولة • كقوله تع فى عيشة راضية
اى مرضية وقوله من ماء دافق اى مدفوق • والراحلة تقع على الناقة
والجمل • ودخول الها فيها للمبالغة • مثل داهية وراوية وقوله ارتحلها
اى ركبها • وفى الحديث ان النبى سجد فركبه الحسن فابطا فى سجوده • فلما
قضى صلاته • قال ان ابنى ارتحلنى فكرهت ان اعجله وقوله ورحّلها اى
ازعجها واشخصها واجدّ بها فى الرحيل • ومنه الخبر يخرج عند اقتراب الساعة
نار من قعر عدن ترحّل الناس وقوله فادلجى واوّبى واسيدى • الادلاج
ان يسير الليل كله • والاسم منه الدَلجة بفتح الدال • والادّلاج بالتشديد
ان يسير من اخره • والاسم منه الدُلجة • وقيل الدَلجة بفتح الدال وضمها بمعنى
والتاويب سير النهار وحده • والاساد ان يسير ليلاً ونهارًا • والنشح

ان

ان تشرب دون الركب وقوله فاخذهم ما قدم وما حدث يقال ذلك لمن يستولى عليه الهم • والدال فى هذا الموضع من حدث تضم لتوافق لفظ قدم • فان افرد حدث عن قدم وجب فتح الدال من حدث • ومثله هنانى ومرانى بحذف الالف من مرانى اذا ذكر مع هنانى • فان افرده وجب ان تقول امرانى الشى و قوله ذهبنا تحت كل كوكب هذا المثل يضرب لمن يختلق فى السفر طرقهم • وتتباين سبلهم

المقامة الخامسة والاربعون

وتعرف بالرملية

حكى الحرث بن همام قال كنت اخذت عن اولى التجاريب • ان السفر مراة الاعاجيب • فلم ازل اجوب كل تنوفة • واقتحم كل مخوفة • حتى اجتليت كل اظروفة • فمن احسن ما لمحته • واغرب ما استملحته • انى حضرت قاضى الرملة • وكان من ارباب الدولة والصولة • وقد ترافع اليه بال فى بال وفتاة ذات جمال فى اسمال • فهم الشيخ بالكلام • وتبيان المرام • فمنعته الفتاة من الافصاح • وصانته عن النباح • ثم نفت عنها فضلة الوشاح

وانشدت بلسان السليطة الوقاح

ياقاضى الرملة يا ذا الذى • فى يده السمرة والجمره
اليك اشكو جور بعلى الذى • لم يحج البيت سوى مره
و ليته لما قضى نسكه • وخف ظهرا اذ رمى الجمره
كان على راى ابى يوسف • فى صلة الحجة بالعمره
هذا على انى مذ ضمنى • اليه لم اعص له امره

ثمره اما الفة حلوة * ترضى واما فرقة مره
من قبل ان اخلع ثوب الحيا * في طاعة الشيخ ابي مره

فقال له القاضي قد سمعت ما عزتك اليه * وتوعدتك عليه * فجانب منا عزك * وحاذر ان تفرك وتعرك * فجثا الشيخ على ثفناته * وفجر ينبوع نفثاته وقال

اسمع عداك الذم قول امرء * يوضح فيها رابها عذره
والله ما اعرضت عنها قلى * ولا هوى قلبي قضى نذره
وانما الدهر عدا صرفه * فابتزنا الدرة والذره
فمنزلي قفر كما جيدها * عطل من الجزعة والشذره
وكنت من قبل ارى في الهوى * ودينه راي بني عذره
فمذ نبا الدهر هجرت الدمى * هجران عوف احذ حذره
وملت عن حرثي لا رغبة * عنه ولكن اتقي بذره
فلا تلم من هذه حاله * واعطف عليه واحتمل هذره

قال فانتطت المراة لمقاله * وانتضت الحج لجداله * وقالت له ويحك يا رقعان يا من هو لا طعام ولا طعان * اتضيق بالولد ذرعا * ولكل اكولة مرعى * لقد ضل فهمك * واخطا سهمك * وسفهت نفسك * وشقيت بك عرسك فقال لها القاضي * اما انتي لو جادلتي الخنساء * لانثنت عنك خرساء واما هو فان كان صدق في زعمه * ودعوى عدمه * فله في هم تبقبن * ما يشغله عن ذمه بذره * فانزوت المراة انزوا من ملكه الخفر * او حاق به الظفر * ثم اطرقت تنظر ازورارا * ولا ترجع جوارا * فقال لها الشيخ

تعساً لك ان زخرفت • او كتمت ما عرفت • فقالت ويحك • وهل بعد
المنافرة كتم • او يبقى لنا على سر ختم • وما فينا الا من صدق • وهتك صونه
اذا نطق • فليتنا لاقينا البكم • ولم نلق الحكم • ثم التفعت بوشاحها
وتباكت لافتضاحها • وجعل القاضي يعجب من خطبهما ويعجّب • ويلوم
الدهر لهما ويؤنّب • ثم احضر من العرق العين • وقال ارضيا بهما
الاجوفين • وعاصيا النازغ بين الالفين • فشكراه على حسن السراح
وانطلقا وهما كالماء والراح • وطفق القاضي بعد مسرحهما • وتنائي
شبحهما • يثني على ادبهما • ويقول هل من عارف بهما • فقال له عين
اعوانه • وخالصة خلصانه • اما الشيخ فالسروجي المشهود بفضله • واما
المراة فقعيدة رحله • واما تحاكمهما فمكيدة من فعله • واحبولة من حبايل
ختله • فاحفظ القاضي ما سمع • وتلهّب كيف خدع • ثم قال للواشي
بهما • فردّهما ثم اقصدهما وصدهما • فنهض ينفض مذرويه • ثم عاد يضرب
اصدريه • فقال له القاضي اظهرنا على ما نبثت • ولا تخفِ ما استخبثت
فقال مازلت استقري الطرق • واستفتح الغلق • الى ان ادركتهما مصحرين
وقد زمّا مطيّ البين • فضمنت لهما العلل • وكفلت لهما بنيل الامل • فاشرب
قلب الشيخ ان يايس • وقال الفرار بقراب اكيس • وقالت هي بل العود
احمد • والفرو قة ابداً يكمد • فلما تبين للشيخ سفه رايها • وغرب اجتزايها
امسك ذلاذلها ثم انشا يقول لها

دونك نصحي فاقتفي سبله • واغني عن التفصيل بالجمله
طيري متى نفّرت عن نخلة • وطلقيها بتة بتله

وحاذر العود اليها ولو • ستلها ناطورها الابله

فخير ما للص ان لا يرى • ببقعة فيها له عمله

ثم قال لي قد غنيت • فيما وليت • فارجع من حيث جيت • وقل لمرسلك ان شيت

رويدك لا تعقب جميلك بالاذى • فتضحى وشمل المال والحمد منصدع

ولا تتغضب من تزيد سايل • فما هو من صوغ اللسان بمبتدع

وان تك قد سانك مني خديعة • فقبلك شيخ الاشعرين قد خدع

فقال القاضي قاتله الله فما احسن شجونه • واملح فنونه • ثم انه اصحب رايده بردين • وصرة من العين • وقال له سر سير من لا يرى الالتفات الى ان ترى الشيخ والفتاة • فندّ بيتهما بهذا الحباء • وبين لهما انخداع الادباء • قال الراوي فلم ار في الاغتراب كهذا العجاب • ولا سمعت بمثله ممن جال وجاب •

• المقامة السادسة والاربعون •

وتعرف بالحلبية

حكى الحرث بن همام قال نزع بي الى حلب شوق غلب • وطلب ياله من طلب • وكنت يومئذ خفيف الحاذ • حثيث النفاذ • فاخذت اهبة السير وخففت نحوها خفوف الطير • ولم ازل مذ حللت ربوعها • وارتبعت ربيعها • افاني الايام الى ان اقصر القلب عن ولوعه • واستطار غراب البين وقوعه • فاغراني البال الخلو • والمرح الحلو • بان اقصد حمص لاصطاف ببقعتها • واسبر رقاعة اهل رقعتها • فاسرعت اليها اسراع النجم • اذا انقض للرجم • فحين خيمت بروسها • ووجدت

روح نسيمها • لمح طرفى شيخاً قد اقبل هريره • وادبر غريره • وعنده عشر صبيان • صنوان وغير صنوان • فطاوعت فى قصده الحرص لاخبر ادبا محص • نبش بى حين وافيته • وحيانى احسن مما حييته فجلست اليه لابلو جنى نطقه • وهل يثنى عن عقله وحمقه • فما لبث ان اشار بعصيته • الى اكبر صبيته • وقال انشد الابيات العواطل واحذر ان تماطل فجاجثوة ليث وانشد من غير ريث

اعدد لحاسدك السلاح • واورد الامل ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها • واعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لادراك محل سما • عماده لا لادراع المراح
والله ما السودد حسو الطلا • ولا مراد الحمد رود رداح
واها لحر صدره واسع • وهمه ما سر اهل الصلاح
موده حلو لسواله • وماله ما سالوه سطاح
ما اسمع الاملَ رداً ولا • ماطله والمطل لوم صراح
ولا اطاع اللهو لما دعا • ولا كسا راحه كاس راح
سوده اصلاح سره • وردعه لهواه والطماح
وحصل المدح له علمه • فانهمر العود مهود الصحاح

فقال له احسنت يا بدير • يا راس الدير • ثم قال لتلوه • المشتبه بصنوه • اُدن يا نويرة • يا قمر الدويرة • فدنا ولم يتباطا • حتى حل منه مقعد المماطا • فقال له اجل الابيات العرايس • وان لم يكن نفايس فبرى القلم وقط • ثم احتجر اللوح وخط

فتنتني فجننتني تجنّي • بتجنٍ بفترٍ غِبّ تجنِ
شغفتني بجفن ظبي غضيض • غنج يقتضي تقبّض جفني
غشيتني بز ينتين فشفتني • بزي يشفّ بين تثني
فتظنّيت تجتبيني فتجزيني • بنفثٍ يشفي فخيّب ظنّي
ثبّتت في غش جيب بتزيين • خبيث يبغي تشفي ضغنِ
فتزت في تجنبي فثنتني • بنشيج يبقي بفتٍّ بفنِّ
ثم نظر الشيخ الى ما حبّره • وتصفّح ما زبره • قال له بورك فيك من طلا كما بورك في لا ولا • ثم هتف اقرب يا قطرب • فاقترب منه فتى يحكى نجم دُجية • او تمثال دُمية • فقال له ارقم الابيات الاخياف • وتجنب الاحلاف

فاخذ القلم ورقم

اسمح فبث السماح زين • ولا تخب آملاً تضيّف
ولا تجز رد ذي سؤالٍ • شيّب ام في السؤال خفف
ولا تظن الدهور تبقي • مال ضنينٍ ولو تقشّف
واحلم فخفض الكرام يقضي • وصدرهم في العطاء نفّف
ولا تخن عهد ذي ودادٍ • ثبتٍ ولا تبغِ ما تزيّف

فقال له لا شلّت يداك • ولا كلّت مُداك • ثم نادى يا غشمشم • يا عطر مَنْشم • فلبّاه غلام كدرّة غوّاص • وجؤذر قنّاص • فقال له اكتب الابيات المتاتيم • ولا تكن من المشائيم • فتناول القلم المتقف

وكتب من غير ان يتوقف

زُيّنت زينب بقدٍ يقدُّ • وتلاه ويلاه نهدٌ يهدُّ

جنّدها جيدها وظرفٌ • وطرفٌ ناعس ناعش بحدٍّ يحدُّ
قدرها قدّرها وتاهت وباهت • واعتدت واغتدت بخدٍّ يخدُّ
فارقتني فأرّقتني وشطّت وسطت • ثمّ نمَّ وجدٌ وجدٌّ
فدنت فُديت وحنّت وحيّيت • مغضيًا مفضيًا بودٍّ يودُّ

فطفق الشيخ يتأمّل ما سطره • ويقلّب فيه نظره • فلما استحسن خطّه واستصح ضبطه • قال لا يشلك عشرك • ولا استخبث نشرك • ثم اهاب بفتىً فتّان • يسفر عن ازهار بستان • فقال له انشد البيتين المطرفين المشتبهي الطرفين • اللذين اسكتا كل نافثٍ • وامنا ان يعززا بثالثٍ فقال اسمع لا وقر سمعك • ولا هزم جمعك ثم انشد من غير تلبث ولا تريّث

سِم سمةً تحسن اخلاقها • واشكر لمن اعطى ولو سمسمهْ
والمكر مهما استطعت لا تاتهِ • لتقتني السودد والمكرمهْ

فقال له يا زغلول • يا ابا الغول • ثم نادى اوضح يا ياسين • ما يشكل من ذوات السين • فنهض ولم يتانّ • ثم انشد بصوتٍ اغنّ

نِفس الدواة وسغ الكف مشتبهٌ • سيّان ان هما خُطّا وان درسا
وهكذى السين في قسب وباسقةٍ • والسفح والبخس وافترس وقتبس قبسا
وفي تقسست بالليل الكلام وفي • مسيطرٍ وشموس واتخذ حرسا
وفي فريسٍ وبردٍ قارس فخذا • صوابٌ مني وكن للعلم مقتبسا

فقال له احسنت يا نُعيش • يا صناجة الجيش • ثم قال ثب يا عنبسه وبين الصادات الملتبسه • فوثب وثبة شبل مثار ثم انشد من غير عثار

بالصاد تكتب قد قبضت دراهمًا • بانا ملي واصغ لتستمع الخبر

وبصقت ابصق والصماخ وصنجة • والقص وهو الصدر واقتص الاثر
وبحصت مقلته وهذى فرصة • وقد ارعدت منه الفريصة للخوف
وقصرت هنداً اى حبست وقد دنا • فصح النصارى وهو عيد منتظر
وقرصته والخمر قارصة اذا • حذت اللسان وكل هذا مستطر
فقال له رعياً لك يا بنى • فلقد قررت عينى • ثم استنهض ذا جثة كالبيدق
وتغنج كالسوذق • وامره بان يقف بالمرصاد • ويسرد ما يجرى على السين
والصاد فنهض يسحب برديه انشد مشيراً بيديه
ان شيت بالسين فاكتب ما ابينه • وان تشا فهو بالصادات تكتتب
مغس وفقس ومسطار ومملس • وسالغ وسراط الحق والسغب
المغس الرجع المعترض فى الجوف • والفقس فقس البيضة • والسطار الخمر المزة
ويقال لها المسطارة ايضاً • والمملس الذى يسقط من يده ولا يدرى • والسالغ
اخر اسنان ذوات الظلف • والسقب القرب
والساغان وسقر والسويق وس • لاق وعن كل هذا تفصح الكتب
الساغان جانبا الفم • والسلاق الشديد الصوت ومنه قوله تع سلقوكم بالسنة حداد
ثم قال احسنت يا حبقه يا عين بقه • ثم نادى يا دغفل يا بازنفل • فقال
له ما عقد هجاء الافعال • التى اخرها حرف الاعتلال • فقال له اسمع لا
صُمّ صداك • ولا سمع عداك ثم انشد وما استرشد
اذا الفعل يوماً غُمّ عنك هجاوهُ • فالحق به تا الخطاب ولا تقف
فان تر قبل التاء ياءً فكتبه • والا فهو تكتب بالالف
ولا تحسب المهموز الفعل الثلاثى والذى • تعداه والمهموز فى ذاك يختلف

فطرب

فطرب الشيخ لما اداه • وعوذه وفداه • ثم قال هلم يا قعقاع • يا باقعة البقاع • فاقبل احسن من نار القرى • في عين ابن السرى • فقال له اصدع بما يميز الظاء من الضاد • لنصدع اكباد الاضداد • فاهتز لقوله واهتش

وانشد بصوت اجش

ايها السايلي عن الضاد والظاء • لكيلا تضله الالفاظ
ان حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها استماع امرء له استيقاظ
هي ظميا والمظالم والاظلام • والظلم والظبى واللحاظ
والعظاوة والظليم والظبى • والشيظم والظل واللظى والشواظ
والتظني واللفظ والنظم • والتقريظ والقيظ والظمى واللماظ
والحظى والنظير والظير والجاحظ • والناظرون والايقاظ
والتشظى والظلف والعظم • والظنبوب والظهر والشظا والشظاظ
والاظافر والمظفر والمحظور • والحافظون والاحفاظ
والوظيفات والمواظب والكظة • والانتظار والالظاظ
ووظيف وظالع وعظيم • وظهير والفظ والاغلاظ
ونظيف والظرف والظلف • الظاهر ثم الفظيع ثم الفلاظ
وعكاظ والظعن والمظ • والحنظل والقارظان والاوشاظ

المظ رمان البر • والقارظون جاني القرظ وهو نبات يدبغ به • والاوشاظ الاخلاط والجماعات

وظراب الظران والشظف • الباهظ والجعظري والجواظ

الظراب الربا الصغار واحدها ظرب • والظران الحجارة المحددة واحدها ظرر

والجعظري المنتفخ بما ليس عنده • والجواظ الفاجر • وقيل الأكول
المختال • والشظف البوس وسوء العيش

والظربين والخناظب والعنظب • ثم الظيان والارعاظ

الظربين جمع ظربانٍ وهي دابة لا يطاق فسوها • وتجمع ايضاً على ظرابي بحذف
النون وعلى ظرابي وهو جمع شاذ • والخناظب ذكور الخنافس • والعنظب
ذكر الجراد • والظيان ياسمين البر • والارعاظ جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم

والشناظي واللظ والظاب • والظبظاب والعنظوان والجنعاظ

والشناظي نواحي الجبل واللظ الدفع • والظاب الصخب وقد تبدل الياء منه ميما
وقيل ان الظاب والظام اسمان لسلف الرجل • والظبظاب الداء • والجنعاظ الاحمق وقيل المتسخط
عند الطعام

والشناظير والتعاظل والعظلم • والبظر منه والانعاظ

الشناظير جمع شنظير وهو سيء الخلق • والتعاظل تلازم الجراد والكلاب
عند السفاد • والعظلم الخطمي

هذي هي سوى النوادر فا • حفظها لتقفوا آثار الحفاظ
واقض فيما صرفت منها كما • تقضيه في اصله كقيظ وقاظوا

فقال له الشيخ احسنت لا فُضّ فوك • ولا بُرّ من يجفوك • فوالله انك
مع الصبا الغض • لأحفظ من الارض • واجمع من يوم العرض • ولقد اورثتك
رفقتك زلالي • وثقفتكم تثقيف العوالي • فاذكروني اذكركم • واشكروا
لي ولا تكفرون • قال الحرث بن همام تعجبت لما ابدى من براعة • مجونة
برقاعة • واظهر من حذاقة • ممزوجة بحماقة • ولم يزل بصري يصعد
فيه ويصوب • وينقر عنه وينقب • وانا كمن ينظر في ظلماء • او يسري

في

في بهماء • فلما استرات تنبهي • واستبان تدلهي حملق الي وتبسم • وقال
لم يبق من يتوسم • فبهت لتحوك كلامه • ووجدته ابا زيد عند ابتسامه
واخذت الومه على تدبير بقعة النوكى • وتخير حرفة الحمقى • فكأنّ وجهه
أُسِفَ رمادا • او اشرب سوادا • الا انه انشد وتمادى

تخيرت حمص وهذه الصناعة • لارزق حظوة اهل الرقاعة
فما يصطفي الدهر غير الرقيع • ولا يوطن المال الا بقاعه
ولا لأخي اللبِّ من دهره • سوى ما لغير ربيطٍ بقاعه

ثم قال اما ان التعليم اشرف صناعة • واربح بضاعة • وانجح شفاعة
وافضل براعة • وربه ذو امرةٍ مطاعة • وهيبة مشاعة • ورعية مطواعة
يتسيطر تسيطر امير • ويترتب ترتيب وزير • ويحكم تحكم قدير
ويتشبه بذي مُلْكٍ كبير • الا انه يخرف في امدٍ يسير • ويتسم بحمقٍ
شهير • ويتقلب بعقل صبي صغير • ولا ينبئك مثل خبير • فقلت
له تالله انك لابن الايام • وعَلَم الاعلام • والساحر اللاعب بالافهام
المذلل له سبل الكلام • ثم ازل معتكفا بناديه • ومغترفا من سيل
واديه الى ان غابت الايام الغر • ونابت الاحداث الغبر • ففارقته
ولعيني العبر •

اَلْمَقَامَةُ السَّابِعَةُ وَالاَرْبَعُونَ

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ احتجت الى الحجامة • وانا بحجر اليمامة
فارشدت الى شيخٍ يحجم بلطافةٍ • ويسفر عن نظافةٍ • فبعثتُ غلامي
لاحضاره • وارصدت نفسي لانتظاره • وابطأ بعد ما انطلق • حتى

خلته قد ابق • او ركب طبقاً عن طبق • ثم عاد عود المخفق مسعاه • الكَلّ
على مولاه • فقلت له ويلك ابطأت فند • وصلود زند • فزعم ان الشيخ
اشتغل من ذات النحيين • وفي حرب كحرب حنين • فعفت المشي الى حجام
وصرت بين اقدام واحجام • ثم رايت ألا تعنيف • على من ياتي الكنيف فلما
شهدت موسمه • وشاهدت ميسمه • رايت شيخاً هيئته نظيفه
وحركته خفيفه • وعليه من النظارة اطواق • ومن الزحام طباق
وبين يديه فتى كالصمصامه • مستهدف للحجامه • والشيخ يقول اراك
وقد ابرزت راسك • قبل ان تبرز قرطاسك • وولّيتني قذالك ولم
تقل لي ذالك • ولست ممن يبيع نقدًا بدين • ولا يطلب اثرًا بعد عين
فان انت رضخت بالعين • حجمت في الاخدعين • وان كنت ترى الشح
اولى • وخزن في النفس احلى • فاقرأ عبس وتولّى • واعزب عني • والّا
فقال الفتى والذي حرم صوغ المين • كما حرم صيد الحرمين • اني لامفلس
من ابن يومين • فثق بسيل تلعتي • وانظرني الى سعتي • فقال الشيخ
ان مثل الوعود • كغرس العود • هو بين ان يدركه العطب • او يدرك منه
الرطب • فما يدريني ايحصل من وعدك جنىً • ام احصل منها على ضنىً
ثم ما الثقة بانك حين تبتعد • تفي بما تعد • وقد صار الغدر
كالتحجيل • في حلية هذا الجيل • فارحني بالله من التعذيب • وارحل
الى حيث يعوي الذيب • فاستوى الغلام اليه • وقد استولى الخجل عليه
وقال والله ما يخيس بالوعد • غير الخسيس الوغد • ولا يرد غدير

الغدر

الغدر • غير وضيع القدر • ولو عرفت من انا • لما اسمعتني الخنا • لكنك
جهلت فقلت • وحيث وجب ان تسجد بلت • وما اقبح الغربة والاقلا ل

واحسن قول من قال

ان الغريب الطويل الذيل ممتهنٌ • فكيف حال غريبٍ ماله قوتُ
لكنه ما يشين الحرّ من جهه • فالمسك يسحق والكافور مفتوتُ
وطالما اُصلى الياقوت جمر غضًا • ثم انطفى الجمر فالياقوت ياقوتُ

فقال له الشيخ يا ويلة ابيك • وعولة اهليك • اأنت في موقف فخرٍ يظهر
وحسبٍ يشهر • او موقف جلدٍ يكشط • وَقَفًا يشرط • وهبك كما ادعيت
وسلّم ان لك البيت • ايحصل بذلك • ججم قذالك • لا والله ولوان اباك
اناف • على عبد مناف • او لخالك دان • عبد المدان • فلا تضرب في حديد
باردٍ • ولا تطلب ما لست له بواجدٍ • واذا باهيت فباهِ بموجودك • لا
بجدودك • وبمحصولك • لا باصولك • وبصفاتك • لا برفاتك • وباعلاقك
لا باعراقك • ولا تطع الطمع فيذلّك • ولا تتبّع الهوى فيضلك ولله القايل لابنه

بُنيّ استقم فالعود تنمى عروقه • قويمًا ويغشاه اذا ما التوى توى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتىً • اذا التهبت احشاوه بالطوى طوى
وعاصِ الهوى المردىّ فكم من محلّقٍ • الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى
واسعف ذوى القربى فيقبح ان يرى • على من الى الحرّ الكريم انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخون اذا نبا • زمانٌ ومن يرعى اذا ما النوى نوى
وان تقتدر فاصفح فلا خير في امرىٍ • اذا اعلقت اظفاره بالشوى شوى
واياك والشكوى فلم ترَ ذا نُهى • شكا بل اخو الجهل الذى ما ارعوى عوى

فقال الغلام للنظارة يا للعجب • والطرفة الغريبة • انفٌ في السماء • واستٌ في الماء
ولفظ كالصهباء • وفعل كالحصباء • ثم اقبل على الشيخ بلسان سليط • وغيظ
مستشيط • وقال أُفٍّ لك من صوّاغٍ باللسان • روّاغٍ عن الاحسان • تأمر
بالبر • وتعق عقوق الهر • فان يكن سبب تعنّتك • نفاق صنعتك • فرماها
الله بالكساد • وافساد الحساد • حتى ترى افرغ من حجّام ساباط • فقال له
الشيخ بل سلط الله عليك بثر الفم • وتبيّغ الدم • حتى تلجا الى حجّام عظيم
الاشتطاط • ثقيل الاشراط • كليل المشراط كثير المخاط والضراط • قال فلمّا
تبيّن للفتى انه يشكو الى غير مصمِت • ويزاول افتتاح باب مصمت • اضرب
عن رجع الكلام • واحتفز للقيام • وعلم الشيخ انه قد الَمّ بما اسمع الغلام
فجنح الى سلمه • وبذل ان يذعن لحكمه • وطفق يبغي اجتراءً عن جرمه • وابى الغلام
الا المشي بدائه • والهرب من لقائه • وما زال في حجاج وسباب • ولزاز وجذاب
الى ان ضجّ الفتى من الشقاق • وتلا ردنه سورة الانشقاق • فاعول حينئذٍ
لوفارة خسره • وانحطاط وضعه وطمره • واخذ الشيخ يعتذر من فرطاته
وليفيض من عبراته • وهو لا يصغى الى اعتذاره • ولا يقصر عن استعباره • الى
ان قال له فداك عمك • وعداك ما يغمك • اما تسأم الاعوال • اما تعرف
الاحتمال • الم تسمع بمن قال • واخذ بقول من قال
اخمد بحلمك ما يذكيه ذو سفهٍ • من نار غيظك واصفح ان جنى جاني
فالحلم افضل ما ازداد اللبيب به • والاخذ بالعفو احلى ما جنى الجاني
فقال الغلام اما انك لو ظهرت على عيشي المنكّد • لعذرت في دمعي المنهمر
ولكن هان على الاملس ما لاقى الدبر • ثم كانه نزع على الاستحياء • فاقلع

عن

عن البكاء وفاء الى الارعواء وقال للشيخ قد صرت الى ما اشتهيت فارقع ما وهيت فقال هيهات شغلت شعابى جدواى فتشم بارق سواى ثم انه نهض يستقرى الصفوف ويستجدى الوقوف وينشد فى ضمن ما يطوف

اقسمت بالبيت الحرام الذى • يهوى اليه الزمرا لمحرمه
لوان عذرى قوت يوم لما • مست يدى المشراط والمحجمه
ولا ارتضت نفسى التى لم تزل • تسمو الى المجد بهذه السمه
ولا اشتكى هذا الفتى غلظة • منى ولا شاكته منى حمه
لكن صروف الدهر غادرتنى • كخابط فى الليلة المظلمه
واضطرنى الدهر الى موقف • من دونه خوض اللظى المضرمه
فهل فتى تدركه رقة • علىّ او تعطفه مرحمه

قال الحرث بن همام فكنت اول من اوى لبلواه ورق لشكواه فنحته بدرهمين نقلت لاكانا ولوكان ذامين فابتهج بباكورة جناه وتفاءل بها لغناه ولم تزل الدراهم تنهال عليه وتنثال لديه حتى آل ذا عيشة خضراء وحقيبة بجراء فازدهاه الفرح عند ذلك وهنأ نفسه هنالك وقال للغلام هذا ريع انت بذره وحلب لك شطره فهلم لنقتسم ولا تحتشم فتقاسماه بينهما شق الابلمة ونهضا مقتفى الكلمة ولما انتظم عقد الاصطلاح وهم الشيخ بالرواح فقلت له قد تبوغ دمى ونقلت اليه قدمى فهل لك فى ان تحجمنى وتكفكف ما دهمنى فصوب بطرفه فىّ وصعد ثم ازدلف الىّ وانشد

كيف رايت خدعتى وختلى • وما جرى بينى وبين سخلى

حتى انثنيت فايزًا بالخصل • ارعى رياض الخصب بعد المحل
بالله يامهجة قلبى قل لى • هل ابصرت عيناك قط مثلى
يفتح بالرقية كل قفل • ويستبى بالسحر كل عقل
ويمزج الجد بماء الهزل • ان يكن الاسكندرى قبلى
فالطل قد تبدو امام الوبل • فالفضل للوابل لا للطل
قال فنبهتنى ارجوزته عليه • وارتنى انه شيخنا المشار اليه • فقرعته
على الابتذال • ولا لتحاق بالارذال • فاعرض عما سمع • ولم يبل بما قرع
وقال كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع • ثم فاصانى مغاصاة المهان • وانطلق وابنه
كفرسى رهان • تفسير ما اودع المقامة
قال الشيخ الامام الاوحد ابو محمد القسم بن على الحريرى • قد اودعت هذه
المقامة بضعة عشر مثلاً من امثال العرب • فسرت منها ما خلته يلتبس
على من يقتبس اما قوله بطء فند فهو ان عايشة بنت سعد بن ابى وقاص
وكان بعثه بالمدينة ليقتبس لها نارًا • فقصد مصر واقام بها سنة • ثم
جاها بعد سنة بشتد ومعه جمر تبدد • فقالت تعست العجلة واما ذات
النحيين فهى امراة من تيم الله ابن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها
نحيا سمن • فاستخلا بها خوات بن جبير الانصارى ليبتاعهما منها ففتح
احدهما ذاقه • ودفعه اليها فاخذته باحدى يديها • ثم فتح الاخر وذاقه
ودفعه اليها فامسكته بيدها الاخرى • ثم غشيها وهى لاتقدر على الدفع
عن نفسها لحفظها فم النحيين • وشحها على السمن • فلما قام عنها قال
لا هناك فضرب • بهذا المثل فيمن شغل • وهى فى هذا المثل بمعنى مفعولة

لانه

لانه متغلب عليها • واكثر الامثال التي على فعل تاتي من فعل الفاعل
واما قوله انف في السماء • واست في الماء • يضرب هذا المثل لمن يتكبر
مقالاً • ويصغر افعالاً واما قوله افرغ من حجام ساباط • فذكر انه كان حجاما
لا زماً ساباط المداين يحجم الجندي بدانق نسيئة • وربما مرت عليه برهة
لا يقربه فيها احد • فكان يخرج امه عند تمادي عطلته يحجمها لكيلا يقرع
بالبطالة • فما زال يحجمها حتى نزف دمها وماتت واما قوله تشكو الى غير
مصمت • فهو مثل يضرب لمن لا يكترث بشان صاحبه • ولا يبالي باستمرار
شكايته • لانه لو اشكاه لصمت وامسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملا
انك لا تشكو الى مصمت • فاصبر على الحمل الثقيل او مت
ونحو هذا المثل هان على الاملس ملاقي الدبر واما قوله شغلت شعابي
جدواي • والمراد به انه ليس يفضل عني ما اصرفه الى غيري • والشعاب
النواحي واحدها شعب وقوله كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع • معناه
ان المجهود يقنع بما يجد • والوقع ان يصيب الحجارة القدم فتوهنها
فاما البعير الموقع فهو الذي يكثر اثار الدبر بظهره

المقامة الثامنة والاربعون

وتعرف بالبصرية

روى الحرث بن همام قال ما زلت مذ رحلت عنسي • وارتحلت عن
عرسي وغرسي • احن الى عيان البصرة • حنين المظلوم الى النصرة
لما اجمع عليه ارباب الدراية • واصحاب الرواية • وخصايص معالمها
وعلمايها • ومآثر مشاهدها وشهدايها • واسل الله ان يوطيني

ثراها • لا فوز بمراها • وان يطيني قراها • لاقتري قراها • فلما احلنيها
الحظ • وسرح لي فيها اللحظ • نشعر

رايت بها ما يملأ العين قرة • ويسلي عن الاوطان كل غريب

فتغلست في بعض الايام • حين نصل خضاب الظلام • وهتف ابو المنذر
بالنوام • لا خطو في خططها • واقضي الوطر من توسطها • فادّاني الاختراق
في مسالكها • والانصلات في سككها • الى محلة موسومة بالاحترام
منسوبة الى بني حرام • ذات مساجد مشهودة • وحياض مورودة • ومبانٍ
وثيقة • ومغانٍ انيقة • وخصايص اثيرة • ومزايا كثيرة نشعر

بها ما شيت من دينٍ ودنيا • وجيرانٍ تنافوا في المعاني
فمشغوفٌ بايات المثاني • ومفتونٌ برنات المثاني
ومضطلعٌ بتلخيص المعاني • ومطّلعٌ الى تخليص عاني
وكم من قاريٍ فيها وقارٍ • اضرّ بالجفون وبالجفاني
وكم من معلمٍ للعلم فيها • ونادٍ للندى حلو المجاني
ومغنى لا تزال يغنّ فيه • اغاريد الغواني والاغاني
فصل ان شيت من فيها يصلّي • واما شيت فادن من الدناني
ودونك صحبة الاكياس فيها • والكاسات منطلق العناني

قال فبينما انا انفض طرقها • واستشف رونقها • اذ لمحت عند دلوك
براح • واظلال الرواح • مسجدًا مشتهرًا بظرايفه • من دهرًا بطوايفه • وقد
احرى اهله ذكر حروف البدل • وجروا في حلبة الجدل • فنجحت نحوهم
لاستمطر نوءهم لا لاقتبس نحوهم • فلم يكن الا كقبسة العجلان • حتى

ارتفعت

ارتفعت الاصوات بالاذان • ثم ردف التاذين بروز الامام • فاغمدت ظبى
الكلام • وحلّت الحبى للقيام • وشغلنا بالقنوت • عن استمداد القوت
وبالسجود • عن استنزال الجود • ولما قضى الفرض • وكاد الجمع ينفض • انبرى
من الجماعة • كهل حلو البراعة • له مع السمت الحسن • ذلاقة اللسن
وفصاحة الحسن • وقال يا جيرتى الذين اصطفيتهم على اغصان شجرتى
وجعلت خطتهم دار هجرتى • واتخذتهم كرشى وعيبتى • واعددتهم
لحضرى وغيبتى • اما تعلمون ان لبوس الصدق ابهى الملابس الفاخرة
وان فضوح الدنيا اهون من فضوح الاخرة • وان الدين امحاض النصيحة
وارشاد عنوان العقيدة الصحيحة • وان المستشار موتمن • والمستشهد
بالنصح قمن • وان اخاك من عذلك لا من عذرك • وصديقك من صدقك
لا من صدّقك • فقال الحاضرون ايها الخل الودود • والخدن المودود •
وما سر كلامك الملغز • وما شرح خطابك الموجز • وما الذى تبتغيه منا
لننجز ولو اعجز • فوالذى حبانا بمحبتك • وجعلنا من صفوة احبتك
ما نالوك نصحًا • ولا نذخر عنك نضحًا • فقال جزيتم خيرًا • ووقيتم ضيرًا
فانكم ممن لا يشقى بهم جليس • ولا يصدر عنهم تلبيس • ولا يخيب فيهم
ظنون • ولا يطوى عنكم كنون • فسانبئكم ما حلّ فى صدرى • واستفتيكم
فيما عيل له صبرى • اعلموا انى كنت عند صلود الزند • وصدود الجد
اخلصت مع الله تعالى نية العقد • واعطيته صفقة العقد • الا اسبأ
مدامًا ولا اعاقر ندامى • ولا احتسى قهوة • ولا اكتسى نشوة • فسوّلت
لى النفس المضلة • والشهوة المذلة • ان نادمت الابطال • وعاطيت

الارطال • واضعت الوقار • وارتضعت العقار • وامطيت مطا الكميت
وتناسيت التوبة كالميت • ثم لم اقنع بما تيكم المرة • في طاعة ابي مرة
حتى عكفت على الخندريس • في يوم الخميس • وبت صريع الصهباء في
الليلة الغراء • وها انا بادي الكابة • لرفض الانابة • نافى الندامة • لوصل
المدامة • شديد الاشفاق • من نقض الميثاق • مغترف بالاسراف • في عب
السلاف • فيا قوم هل كفارة تعرفونها تباعدني من ذنبي • وتدنيني الى ربي
قال ابو زيد فلما حل انشوطة نفثه • وقضى الوطر من اشتكا بثه • ناجتني
نفسي يا ابا زيد • هذه نهزة صيد • فشمر عن يد وايد • فانتهضت من مجثمي
انتهاض المنهم • وانخرطت من الصف انخراط السهم • وقلت

ايها الاروع الذي • فاق مجدا وسوددا • والذي يبتغي الرشاد • لينجو به غدا
ان عندي علاج • ما بت منه مسهدا • فاستمعها عجيبة • غادرتني مبلددا
انا من ساكني سروج • ذوي الدين والهدى • وكنت ذا ثروة بها • ومطاعا مسوددا
ربعي مالف الضيوف • ومالي لهم سدى • اشتري الحمد باللهى • واقي العرض بالجدا
لا ابالي بمنفس طاح • في البذل والندا • اوقد النار باليفاع • اذا النكس اخمدا
ويراني المؤملون • ملاذا ومقصدا • لم يشم بارقي صد • فانثني يشتكي الصدا
لا ولا رام قابس • قدح زندي فاصلدا • طالما ساعد الزمان • فاصبحت مسعدا
فقضى الله ان • يغير ما كان عودا • بوّأ الروم ارضنا • بعد ضغن تولدا
فاستباحوا حريم من • صادفوه موحدا • وحووا كلما استسر • بها لي وما بدا
فتطوحت في البلاد • طريدا مشردا • اجتدي الناس بعدما • كنت من قبل مجتدا
وترك بي خصاصة • اتمنى لها الردى • والبلا الذي به • شمل انسي تبددا

استبا

استبا ابنتي التي • اسروها ليفتدى • فاستبن محنتي ومدّ • الى نصرتي يدا
واجرني من الزمان • الذي جار واعتدى • ولعتني على فكاك • ابنتي من يدي العدا
فبذا يمحي المأثم • عمّن تمرّدا • وبه تقبل الانا • بة ممن تزهّدا
وهو كفّارة لمن زاغ • من بعدما اهتدى • ولئن قمت منشدًا • فلقد قمت مرشدا
فاقبل النصح والهدا • ية واشكر لمن هدا • واسمح الان بالذي • يتسنّى لتحمدا
قال ابو زيد فلما الممت هذه حتى • واوهم المسؤول صدق كلمتي • اغراه الغرم
الى الكريم بمواساتي • ورغّبه الكلف بحمل الكلف في مقاساتي • فرضخ لي على
الحافرة • ونفح لي بالعدة الوافرة • فانقلبت الى وكري • فرحًا بنجح مكري
وقد حصلت من صوغ المكيدة • على سوغ الثريدة • ووصلت من حوك
القصيدة • الى لوك العصيدة • قال الحرث بن همام فقلت له سبحان من
ابدعك • فما اعظم خُدَعَكَ • فاستغرب في الضحك ثم انشد غير مرتبك

عش بالخداع فانت في • دهرٍ بنوه كاسد بيشه
وادر قناة المكر حتى • تستدير رحى المعيشه
وصد النسور فان تعذّ • ر صيدها فاقنع بريشه
واجن الثمار فان تفتك • فرضّ نفسك بالحشيشه
وارح فؤادك ان نبا • دهرٌ من الفكر المطيشه
فتغاير الاحداث يوذن • باستحالة كل عيشه

المقامة التاسعة والاربعون

وتعرف بالساسانية

حكى الحرث بن همام قال بلغني ان ابا زيد حين ناهز القبضة • وابتزّه

قيد الهرم النهضة • احضر ابنه بعدما استجاش ذهنه • وقال له يا بُنيّ
انه قد دنا ارتحالي من الفنا • واكتحالي بمرود الفنا • وانت بحمد الله ولي
عهدي • وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي • ومثل لا تقرع له العصا
ولا ينبّه بطرق الحصا • ولكن قد نُدب الى الاذكار • وجعل صقيلا للافكار
واني اوصيك بما لم يوص به شيث الانباط • ولا يعقوب الاسباط
فاحفظ وصيتي • وجانب معصيتي • واحذ مثالي • واقتف امثالي
فانك ان استنصحت بنصحي • واستصبحت بصبحي • امرع خانك • وارتفع
دخانك • وان تناسيت سورتي • ونبذت مشورتي • قلّ رماد اثافيك
وذهد اهلك ورهطك فيك • يا بُنيّ اني جرّبت حقايق الامور • وبلوت
تصاريف الدهور • فرايت المرءَ بنشبه لا بنسبه • والفحص عن مكسبه
لا عن حسبه • وكنت سمعت ان المعايش • امارة • وتجارة • وزراعة • وصناعة
فمارست هذه الاربع • لانظر ايها اوفق وانفع • فما حمدتُ منها معيشة
ولا استرغدت فيها عيشة • اما فرص الولايات • وخلس الامارات • فكاضغاث
الاحلام • والفئ المنتسخ بالظلام • وناهيك غصة بمرارة الفطام • واما بضايع
التجارات فعُرضةٌ للمخاطرات • وطعمة للغارات • وما اشبهها الّا بالطيور
والطيّارات • واما اتخاذ الضياع • والتصدي للازدراع • فمنهكة للاعراض
وقيود عايقة عن الارتكاض • وقلّما خلا ربّها من اذلال • او رزق روح
بال • واما حرف اولي الصناعات • فغير فاضلة عن الاقوات • ولا نافقة
في جميع الاوقات • ومعظمها معصوبٌ بشبيبة الحياة • ولم ارَ ما هو بارد المغنم
لذيذ المطعم • وافي المكسب • صافي المشرب • الّا الحرفة التي وضع ساسان

اساسها

اساسها • ونوّع اجناسها • واضرم فى الخافقين نارها • واوضح لبنى غبرا
منارها • فشهدت وقايعها معلمًا • واخترت سيماها لى ميسمًا • اذ كانت
المتجر الذى لا يبور • والمنهل الذى لا يغور • والمصباح الذى لا يعشو
اليه الجمهور • ويستصبح به العمى والعور • وكان اهلها اعز قبيل • واسعد
جيل • لا يرهقهم مس حيف • ولا يقلقهم سل سيف • ولا يخشون حُمة
لاسع • ولا يدينون لدان ولا شاسع • ولا يرهبون مَنْ برق ورعد
ولا يحفلون بمن قام وقعد • وانديتهم منزّهة • وقلوبهم مرفّهة
وطعمهم معجّلة • واوقاتهم غرٌّ محجّلة • اينما سقطوا لقطوا • وحيثما انخطوا
خرطوا • لا يتخذون اوطانًا • ولا يتقون سلطانًا • ولا يمتازون عمّا
تغدو خماصًا وتروح بطانًا • فقال له ابنه يا ابت لقد صدقت • فيما
نطقت • ولكنك رتقت وما فتقت • فبيّن لى كيف اقتطف • ومن اين
يوكل الكتف • فقال يا بنى ان الارتكاض بابها • والنشاط جلبابها
والفطنة مصباحها • والقحة سلاحها • فكن احول من قطرب • واسرى
من جندب • وانشط من ظبى مقمرٍ • واسلط من ذيب متمرٍ • واقدح
زند جدّك بجدّك • واقرع باب رزقك بسعيك • وجُب كل فجٍّ • وخض
كل لجٍّ • وانتجع كل روض • والق دلوك الى كل حوض • ولا تسأم الطلب
ولا تملّ الداب • فقد كان مكتوبًا على عصا شيخنا ساسان • من طلب جلب
ومن جال نال • واياك والكسل فانه عنوان النحوس • ولبوس ذوى
البوس • ومفتاح المتربة • ولقاح المتعبة • وشيمة العجزة الجهلة
وشنشنة الوكلة التكلة • وما اشتار العسل • من اختار الكسل • ولا

ملاءة الراحة من استوطا الراحة وعليك بالاقدام ولو على الضرغام فان
جرأة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وبها تدرك الحظوة وتملك
الثروة كما ان الخَوَر صنو الكسل وسبب الفشل ومبطاة للعمل
ومخيبة للامل ولهذا قيل في المثل مَن جسر ايسر ومن هاب خاب
ثم ابرز يا بني في بكور ابي زاجر وجرأة ابي الحرث وحزامة ابي قترة
وختل ابي جعدة وحرص ابي عقبة ونشاط ابي وثّاب ومكر ابي الحصين
وصبر ابي ايوب وتلطّف ابي غزوان وتلوّن ابي براقش واخلب
بصرح اللسان واخدع بسحر البيان وارتد السوق قبل الجلب وامتر
الضرع قبل الحلب وسايل الركبان قبل المنتجع ودمّث لجنبك قبل
المضطجع واشحذ بصيرتك للعيافة وانعم نظرك للقيافة فان من
صَدَقَ توسمه طال تبسّمه ومن اخطأت فراسته ابطأت فريسته
وكن يا بني خفيف الكل راغباً عن الظلّ قانعاً من الوبل بالطلّ وعظّم
وقع الحقير واشكر على النقير ولا تقنط عند الرد ولا تستبعد رشح الصلد
ولا تأيس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
واذا خُيّرت بين دَرّة منقودة ودُرّة موعودة فمل الى النقد وفضّل
اليوم على الغد فان للتاخير آفات وللعدات معقّبات وبينها وبين
النجز عقباتٌ يالها عقبات وعليك بصبر اولي العزم ورفق ذوي الحزم
وجانب خرق المشتطّ وتخلّق بالخلق السبط وقيّد الدرهم بالربط
وشب البذل بالضبط ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط ومتى نبا بك بلدٌ او نابك فيه كمدٌ فبتّ منه املك واسرح

عنه جملك • فخير البلاد ما حملك • ولا تستثقلن الرحلة • ولا تكرهن النقلة
فان اعلام شريعتنا • واشياخ عشيرتنا • اجمعوا على ان الحركة بركة
والطراوة سفتجة • وزروا على من زعم ان الغربة كربة • والنقلة مثلة
وقالوا هي تعلة • من اقتنع بالرذيلة • ورضي بالحشف وسوء الكيلة
فاذا ازمعت الاغتراب • واعددت له العصا والجراب • فتخير الرفيق
المسعد • من قبل ان تصعد • فان الجار قبل الدار • والرفيق قبل
الطريق • خذها اليك • وصية لم يوصها قبلي احد • غراء حاوية خلاصات
المعاني والزبد • نحتها تنقيح من محض النصيحة واجتهد • فاعمل بما
مثلته عمل اللبيب اخي الرشد • حتى يقول الناس هذا الشبل من
ذاك الاسد ثم قال يا بني قد اوصيت واستقصيت • فان اقتديت فواها
لك • وان اعتديت فاها منك • والله خليفتي عليك • وارجو الا
يخلف ظني فيك • فقال له يا ابت لا وضع عرشك • ولا رفع نعشك
فلقد قلت سددا • وعلمت رشدا • ونحلت ما لم ينحل والد ولدا • ولئن
أمهلت بعدك • ولا ذقت فقدك • فلا تأدبن بادابك الصالحة • ولاقتدين
باثارك الواضحة • حتى يقال ما اشبه الليلة بالبارحة • والغادية بالرائحة
فاهتز ابو زيد لجوابه وابتسم • وقال من اشبه اباه فما ظلم • قال
الحرث بن همام فاخبرت ان بني ساسان • حين سمعوا هذه الوصايا
الحسان • فضلوها على وصايا لقمان • وحفظوها كما تحفظ ام القرآن
حتى انهم ليرونها الى الان • اولى ما لقنوه الصبيان • وانفع لهم
من نحلة العقيان •

المقامة الخمسون

وتعرف بالمقامة

حكى الحرث بن همام قال اشعرت فى بعض الايام همًّا برّح بى اشعاره
ولاح على شعاره ۰ وكنت سمعت ان غشيان مجالس الذكر ۰ يسرو
غواشى الفكر ۰ فلم ار لاطفاء ما بى من الجمرة ۰ الا قصد الجامع بالبصرة
وكان اذ ذاك مأهول المساند ۰ مشفوه الموارد ۰ تجتنى من رياضه
ازاهير الكلام ۰ ويسمع فى ارجائه صرير الاقلام ۰ فانطلقت اليه غير
وانٍ ۰ ولا لاوٍ على شانٍ ۰ فلما وطئت حصاه ۰ واستشرفت قصاه
ترائى لى ذو اطمارٍ بالية ۰ فوق صخرة عالية ۰ وقد عصبت به عُصَبٌ لا
يحصى عديدهم ۰ ولا ينادى وليدهم ۰ فابتدرت قصده ۰ وتوردت
ورده ۰ ورجوت ان اجد شفاءى عنده ۰ ولم ازل اتنقل فى المراكز
واتخطى للالاكز واللواكز ۰ الى ان جلست تجاهه ۰ وبحيث امنت اشتباهه
فاذا هو شيخنا السروجى لا ريب فيه ۰ ولا لبس يخفيه ۰ فتسرّى بمرآه
همّى ۰ وارفضت كتيبة غمّى ۰ وحين رآنى ۰ وبصر بمكانى ۰ قال يا اهل
البصرة ۰ رعاكم الله ووقاكم ۰ وقوّى تقاكم ۰ فما اضوع ريّاكم ۰ وافضل
مزاياكم ۰ بلدكم اوفى البلادِ طهرةً ۰ وازكاها فطرةً ۰ وافسحها رقعةً
وامرعها نجعةً ۰ واقومها قبلةً ۰ واوسعها دجلةً ۰ واكثرها نهرًا ونخلةً
واحسنها تفصيلاً وجملةً ۰ دهليز البلد الحرام ۰ وقبالة الباب والمقام
واحد جناحى الدنيا ۰ والمصر المؤسس على التقوى لم يتدنس ببيوت
النيران ۰ ولا طيف فيه بالاوثان ۰ ولا سجد على اديمه لغير الرحمن ذو

المشاهد

المشاهد المشهودة • والمساجد المقصودة • والمعالم المشهورة • والمقابر
المزورة • والاثار المحمودة • والخطط المحدودة • ملتقى الفلك والركاب
والحيتان والضباب • والحادى والملاح • والقانص والفلاح • والناشب
والرامح • والسارح والسابح • وله اية المد الفايض • والجزر الغايض
واما انتم فمن لا يختلف فى خصايصهم اثنان • ولا ينكرها ذو شنان • دهماوكم
اطوع رعية لسلطان • واشكرهم لاحسان • وزاهدكم اورع الخليقة
واحسنهم طريقة على الحقيقة • وعالمكم علامة كل زمان • والحجة فى
كل اوان • ومنكم من استنبط علم النحو ووضعه • والذى ابتدع ميزان
الشعر واخترعه • وما من فخر الا ولكم فيه اليد الطولى • والقدح المعلى
وانتم احق به واولى • ثم انكم اكثر اهل مصر موذنين • واحسنهم فى
النسك قوانين • وبكم اقتدى فى التعريف • وعرف التسحير فى الشهر
الشريف • ولكم اذا اقرت المضاجع • وهجع الهاجع • تذكار يوقظ
النايم • ويونس القايم • ولا ابتسم ثغر فجر • ولا بزغ نوره فى برد ولا
حر • الا ولتاذينكم بالاسحار • ذوى كذوى النحل فى الاشجار • وبهذا
صدع النقل • واخبر النبى صلى الله عليه وسلم من قبل • وبين ان دويكم
بالاسحار كدوى النحل • فشرفا لكم ببشارة المصطفى • واما المصر كسم
وان كان قد عفا • ولم يبق منه الا شفا • ثم انه حزن لسانه • وخطم
بيانه • حتى صدح بلا ابصار • وقرف بلا انتصار • فتنفس تنفس من فيد
لقود • او ضبثت به براثن اسد اسد • ثم قال اما انتم يا اهل البصرة
فما منكم الا العلم المعروف • ومن له المعرفة والمعروف • واما انا فمن

عرف عرفتى فانا ذاك • وشرّ المعارف من اذاك • ومن لم يثبت عرفتى
فسأصدقه صفتى • انا الذى انجد واتهم • وايمن واشام • واصحر وابحر
وادلج واسحر • نشات بسروج • وربيت على السروج • ثم ولجت
المضايق • وفتحت المغالق • وشهدت المعارك • والنت الارايك
واقتدت الشوامس • وارغمت المعاطس • واذبت الجوامد وامعت
الجلامد • سلوا عنى المشارق والمغارب • والمناسم والغوارب
والمحافل والجحافل • والقبايل والقنابل • واستوضحونى من نقلة
الاخبار • ورواة الاسمار • وحداة الركبان • وحذاق الكهان
لتعلموا كم فجٍّ سلكت • وحجاب هتكت • ومهلكة اقتحمت • وملحمة
الحمت وكم الباب خدعت • وبدع ابتدعت • وفرص اختلست • واسد
افترست • وكم محلّق غادرته لقىً • وكامنٍ استخرجته بالرُقى • وحجر
سحته حتى انصدع • واستنبطت زلاله بالخدع • ولكن فرط ما فرط
والغصن رطيب • والفود غربيب • وبرد الشباب قشيب • فاما الان
فقد استشنّ الاديم • وتاوّد القويم • واستنار الليل البهيم • فليس
الا الندم ان نفع • وترقيع الخرق الذى اتسع • وكنت رويت فى الاثار
المسندة • والاخبار المعتمدة • ان لكم من الله فى كل يوم نظرة • وان
سلاح الناس كلهم الحديد • وسلاحكم الادعية • فقصدتكم انضى
الرواحل • واطوى المراحل • حتى قمت هذا المقام فيكم • ولا منّ لى
عليكم • اذ ما سعيت الا فى حاجتى • ولا تعبت الا لراحتى • ولست ابغى
اعطيتكم • بل استدعى ادعيتكم • ولا اسالكم اموالكم • بل استنزل سوالكم

فادعوا

فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب • والاعداد للمآب • فانه رفيع الدرجات
مجيب الدعوات • وهو الذي يقبل التوبة عن عباده • ويعفو عن السيات

ثم انشد

استغفر الله من ذنوبي • افرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلاً • ورحت في الغيّ واغتديت
وكم اطعت الهوى اغترارًا • واجتلت واغتلت وافتريت
وكم خلعت العذار ركضًا • الى المعاصي وما ونيت
وكم تباهيت في التخطّي • الى الخطايا وما انتهيت
فليتني كنت قبل هذا • نسيًا ولم اجن ما جنيت
فالموت للمجرمين خيرٌ • من المساعي التي سعيت
يا ربّ عفوًا فانت اهلٌ • للعفو عني وان عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمدّه بالدعا • وهو يقلّب وجهه في السما
الى ان دمعت اجفانه • وبدا رجفانه • فصاح الله اكبر • بانت امارة
الاستجابة • وانجابت غشاوة الاسترابة • فجزيتم يا اهل البصرة جزاء
من هدى من الحيرة • فلم يبق في القوم الا من سرّ لسروره • ورضخ له
بميسوره • فتقبل عفوبرهم • واقبل يرهف في شكرهم • ثم انحدر من
الصخرة • يؤمّ شاطي البصرة • فاعتقبته الى حيث تخالينا • وامنّا
التجسس والتحسس علينا • فقلت له لقد اغربت في هذه النوبة
فما رايك في التوبة • فقال اقسم بعلّام الخفيات • وغفّار الخطيات
ان شاني لعجابٌ • وان دعا القوم لمجابٌ • فقلت زدني ايضاحًا

زادك الله صلاحا • فقال والله لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع
ثم انقلبت بقلب المنيب الخاشع • فطوبى لمن صغت قلوبهم اليه
وويل لمن باتوا يدعون عليه • ثم ودعني وانطلق • واودعني القلق
فلم ازل اعاني لاجله الفكر • واتشوق الى خبرة ما ذكر • وكلما استنشيت
خبره من الركبان • وجوابة البلدان • كنت كمن حاور عجماء • او نادى
صخرة صماء • الى ان لقيت بعد تراخي الامد • وتراقي الكمد • ركبا قافلين
من سفر • فقلت هل من مغربة خبر • فقالوا ان عندنا خبرا اغرب من
العنقاء • واعجب من نظر الزرقاء • فسالتهم ايضاح ما قالوا • وان
يكيلوا لي ما اكتالوا • فحكوا انهم الموا بسروج بعدما فارقها العلوج
فراوا ابازيدها المعروف • قد لبس الصوف • وام الصفوف • وصار بها
الزاهد الموصوف • فقلت اتعنون ذا المقامات • فقالوا انه الان ذا الكرا
مات • فحفزني اليه النزاع • ورايتها فرصة لا تضاع • فارتحلت
رحلة المعد • وسرت نحوه سير المجد • حتى حللت بمسجده • وقرارة
معبده • فاذا به قد تبدا صحبة اصحابه • وانتصب في محرابه • وهو
ذو عباءة مخلولة • وشملة موصولة • فهبته مهابة من ولج على
الاسود • والفيته ممن سيماهم في وجوههم من اثر السجود • ولما فرغ
من سبحته • حياني بمسبحته • من غير ان نغم بحديث • ولا استخبرني
عن قديم ولا حديث • ثم اقبل على اوراده • وتركني اعجب من اجتهاده
واغبط من يهدي الله من عباده • ولم يزل في قنوت وخشوع • وسجود
واخبات وخضوع • الى ان كمل اقامة الخمس • وصار اليوم امس • فحينئذ

انكفا

انكفا بی الى بيته • واسهمنی فی قرصه وزيته • ثم نهض الى مُصلّاه
وتخلّى بمناجاة مولاه • حتى اذا التمع الفجر • وحُقَّ للمتهجّد الاجر • عقّب
تهجده بالتسبيح • ثم اضطجع ضجعة المستريح وجعل ينشد بصوت فصيح

خلّ ادّكار الاربع • والمعهد المرتبع
والظاعن المودّع • وعدّ عنه ودع
واندب زمانا سلفا • سوّدت فيه الصحفا
ولم يزل معتكفا • على لقبيح الشنّع
كم ليلة اودعتها • ماثمًا ابدعتها
لشهوة اطعتها • فی مرقد ومضجع
وكم خُطىً حثثتها • فی خزية احدثتها
وتوبة نكثتها • لملعب ومرتع
وكم تجرّات على • رب السموات العلى
ولم تراقبه ولا • صدقت فيما تدّعی
وكم غمطت برّهُ • وكم امنت مكرهُ
وكم نبذت امرهُ • نبذ الحذا المرقّع
وكم ركضت فی اللّعِبْ • وفهت عمدًا بالكذبْ
ولم تراع ما يجب • من عهده المتّبع
فالبس شعار الندم • واسكب شآبيب الدم
قبل زوال القدم • وقبل سوء المصرع
واخضع خضوع المعترف • ولذ ملاذ المقترف
واعص هواك وانحرف • عنه انحراف المقلع

الامر تسهو وتني • ومعظم العمر فني
فيما يضر المقتني • ولست بالمرتدع
اما ترى الشيب وخط • وخطّ فى الراس خطط
ومن يلح وخط الشمط • بفوده فقد نُعي
ويحك يا نفس احرصي • على ارتياد المخلص
وطاوعي واخلصي • واستمعي النصح وعي
واعتبري بمن مضى • من القرون وانقضى
واخشي مفاجاة القضا • وحاذري ان تخدعي
وانتهجي سبل الهدى • وادكري وشك الردى
وان مسواك غدا • في قعر لحدٍ بلقع
اهًا له بيت البلا • والمنزل القفر الخلا
ومورد السفر للأولى • واللاحق المتّبع
بيتٌ يرى من اودعهْ • قد ضمّه واستودعهْ
بعد الفضاء والسعهْ • قيد ثلاث اذرع
لا فرق ان يحلّهُ • داهيةٌ او ابلهُ
او معسرٌ او من لهُ • ملكٌ كملك تُبّع
وبعده العرض الذي • يحوي الحييّ والبذي
والمبتدي والمجتذي • ومن رعى ومن رُعي
فيا مفاز المتقي • وربح عبدٍ قد وُقي
سوء الحساب الموبق • وهول يوم الفزع

فيا خسارة

ويا خسارة من بغى • ومن تعدى وطغى
وشب نيران الوغا • لمطعم او مطمح
يامن عليه المتكل • قد زاد ما بي من وجل
لما اجترحت من زلل • في عمري المضيع
فاعف لعبد مجترم • وارحم بكاه المنسجم
فانت اولى من رحم • وخير مدعو دعي

قال الحرث ولم يزل يرددها بصوت رقيق • ويصلها بزفير وشهيق حتى بكيت لبكا عينيه • كما كنت من قبل ابكي عليه • ثم برز الى مسجده بوضوء تهجده • فانطلقت ردفه • وصليت مع من صلى خلفه • ولما انفض من حضر • وتفرقوا شغر بغر • اخذ يهينم بدرسه • ويسبك يومه في قالب امسه • وفي ضمن ذلك يرتل ارنان الرقوب • ويبكي ولا بكا يعقوب • ثم استبنت انه التحق بالافراد • واشرب قلبه هوى الانفراد • فاخترت بقلبي عزمة الارتحال • وتخليته للتخلي بتلك الحال فكانه تفرس ما نويت • او كوشف بما اخفيت • فزفر زفير الاواه • وقال فاذا عزمت فتوكل على الله • فثبت عند ذلك من اتهام المحدثين وايقنت ان في الامة محدثين • ثم دنوت اليه كما يدنو المصافح • وقلت اوصني ايها العبد الصالح • فقال اجعل الموت نصب عينك • وهذا فراق بيني وبينك • فودعته وعبراتي تتحدر • من الماقي • وزفراتي يتصعد من • التراقي • وكانت هذه خاتمة • التلاقي •

قال الشيخ الامام ابو محمد القسم بن على بن محمد بن عثمان الحريري البصري رحمه الله هذا اخر مقامات التي انشاتها بلا اغترار • وامليتها بلسان الاضطرار • وقد الجيت الى ان ارصدتها للاستعراض وناديت عليها في سوق الاعتراض • هذا مع معرفتي بانها من سقط المتاع • ومما يستوجب ان يباع • ولا يبتاع • ولو غشيني نور التوفيق • ونظرت لنفسي نظر الشفيق • لسترت عواري الذي لم يزل مستورًا • ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورًا • وانا استغفر الله تعالى مما اودعتها من اباطيل اللغو • واضاليل اللهو واسترشده الى ما يعصم من السهو • ويحظى بالعفو • انه اهل التقوى • واهل المغفرة • وولي الخيرات في الدنيا والاخرة والحمد لله رب العالمين امين

وان تجد عيبًا فسد الخللا جل من لا فيه عيب وعلا

وكان النجاز من نسخ الكتاب في عشرة ايام خلت من شهر رمضان الذي هو من شهور سنة خمسة وثلاثين ومايتين والف هجرية على يد احقر خلق الله نطفةً • واعظمهم وصمةً سعد بن فرنسيس باز ابو شاكر من قرية دير القمر • واكمله لنفسه ولمن شاء الله من بعده فمن وجد به غلط ام نقصان بعض نقط • فليعذرني وليعلم انه ليس كامل سوى الله تعالى

وما من كاتبٍ الا سيبلا ويبقي الدهر ما صنعت يداهُ
فلا تكتب بكفك غير شيءٍ يسرك في القيامة ان تراهُ

هذا من انشاء الشيخ الامام ابى محمد القاسم بن على الحريرى رحمه الله

كتب احديهما وهى الشينية الى الشيخ شمس الشعرا طلحة بن احمد بن طلحة النعمانى رحمه الله • والثانية وهى السينية على لسان الامير امين الملك ابى الحسن ابن فطير المدايني • وكان يتولى ديوان الاستيفا بالبصرة • الى الامير الاجل الحسامى • وكان قد دعاه الاسفهسلاّ • والاجل النفيس والقابه تجى فى الرسالة • وقد كان نزل على الحسام • وشربا جميعًا فى داره بالبصرة فى المحلة المعروفة ببنى حرام • وهى محلة الشيخ الحريرى • وكان امين الملك جاره • وصديق بن يثقراب النفيس • فلم يدعه • فكتب اليه يداعبه على لسانه • الرسالة الشينية

بسم الله الرحمن الرحيم

بارشاد المنشى • شغفى بالشيخ شمس الشعراء • ريش معاشه • وفشا رياشه • واشرق شهابه • واعشوشبت شعابه • يشاكل شعف المنتشى بالنشوة • والمرتشى بالرشوة • والشادن بشرخ الشباب والعطشان بشم وشكرى لتجشمه ومشقته • وشواهد شغفه يشاكل شكر الناشد للمنشد • والمرتشد للمرشد • والمستشعر للمبشر والمستجيش للمشمر • وشعارى انشاد شعره • واشجا الكاشح والمكاشر بنشره • وشغلى اشاعة وشايه • وتشييد شوامخه • والاشادة بشذوره وشنوفه • والمشودة بتشفيعه وتشريفه • واشهد شهادة المشنّع الكاشف • والمنشر المكاشف • لانشادة نشدة الشايب والناشى ويلاشى شعر الناشى • والمشاهرة كاشتيار الشهد • وتباشير

الرشد • والمشاحنة تشفي المشاحن • ومشاجرته تنشر المشاين
ولمشاغبته تشظى الاشطان • وتشيظ الشيطان • فشرف للشيخ شرفًا
وشفعًا بشنشنته شفعًا • فاشعاره مشهورة • شأى الشعراء المشمّلين
شعره • فشانيه مشجو الحشا ومشاءه وشرّه • ترقيش المرقّش ترقّشه
فاشياعه يشكونه • ومعاشره وشاق الشباب الشم • والشيب وشيّب
فمنشوره بشرى المشوق وفاشره • شمايله مشوقة كشموله • وشريبه
مستبشر • ومعاشره شكور ومشكور • وحشو مشاشه شهامة شمير
يطيش مشاجره شقاشقه مخشية • وشبانه شيا شر فجاش للشر
شاهره • شفي بالاناشيد الشاوك وشفّهم • فمشفية مستشف • وشاكيه
شاكره • ويشرف فيهتش الشحيح لشدوه • ويشغفه انشاده فيشاطره
وتجشم غشياني فشرّد وحشتي • وبشّر مغشاه ببشر باشره • سانشده
شعرًا يشرق شمسه • واشكره شكرًا تشيع بشايره • واشهد شهادة
شاهد الاشيا • وشبّع الاحشاء • ليشعلنّ اشواط اشواق شحطه
وليشعرنّ شمل انشاطي نشطه • فانشد الشيخ اشعرا يستحاشي
لشيوعه واجهاشي لتشييعه • ووشايتي تعشيه شيهه وتغشاه
فليتشفف شرح شجوني لمشطونه • وليرشحني الحشاشة • ومنتشر
البشاشة • محشود الشعار • منتشر الشرار • شتامًا للاشرار • شحاذًا
اباره شعار • يسترشح ويجوش • وينتقش المنقوش • بمشية الشديد
البطش الشامخ العرش • وتشريفه لبشير
البشر • وشفيع المحشر

الرسالة السينية

بسم السميع القدوس استفتح ٭ وباسعاده استنجح ٭ سيرة سيدنا
الاسفهسلار السيد النفيس ٭ سيد الروسا ٭ سيف السلاطين
حرست نفسه ٭ واستنارت شمسه ٭ واتسق انسه ٭ وبسق غرسه
استمالة الجليس ٭ ومساهمة الانيس ٭ ومساعدة الكسير والسليب
ومواساة السحيق والنسيب ٭ والسيادة تستدعى استدامة السنن
وحراسة الرسم الحسن ٭ وسمعت بالامس تدارس سلاسة خندريسية
فى سلسال كووسية ٭ ومحاسن مجالس مسرته ٭ واحسان مسمعه
وستاره ٭ فاستسلفت السراء ٭ وتوسمت الاستدعاء ٭ وسوفت نفسى
بالاحتساء ٭ ومؤانسة الجلساء ٭ وجلست استقرى السبل ٭ واستطلع
واستطرف تناسى اسمى ٭ واُسائل الوساوس لاستحالة رسمى شعر

وسيف السلاطين مستاسر ٭ بانس لسماح وحسو الكووس
تسلانى ولبس لباس السلو ٭ يناسب حسن سمات النفليس
وسرحسودى وسن تناسى جلاسه ٭ واسوا السجايا تناسى الجليس
وسرحسودى يمس الر ٭ سوم كرس النفوس
وساقى الحسام بكاس السلاف ٭ واسهمنى بعبوس وسوس
واسكرنى حسرة واستعاض ٭ لقسوته سكرة الخندريس
ساكسوه لبسة مستقبس ٭ وامسك امساك سال يوس
واسطر بسبيانه سسيرة ٭ تسير اساطيرها كالبسوس

والحمد لله رب العالمين
امين